الدكتور
محمد كاظم حسين الفتلاوي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
جامعة الكوفة

مناهج المفسرين

دراسة في النظرية والتطبيق

تقديم
العلاّمة الدكتور الشيخ
محمد حسين الصغير
الأستاذ الأول المتمرس في جامعة الكوفة

الطبعة الثانية

المؤلف..... الدكتور محمّد كاظم الفتلاوي
الكتاب..... مناهج المفسّرين / دراسة في النظرية والتطبيق
الناشر ..... دار حدود / بيروت
الطبعة ..... الثانية / ٢٠٢٠م
المطبعة ..... الرافد / بغداد

التصميم والإخراج الفني
مكتب محمد الخزرجي ٠٧٨٠٠١٨٠٤٥٠
العراق – النجف الأشرف

الترقيم الدولي:
ISBN: 978 – 600 – 6593 – 40 – 1

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٦٢٨) لسنة ٢٠١٧م

محفوظة جميع الحقوق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

سورة الزمر، الآية ١٧ - ١٨

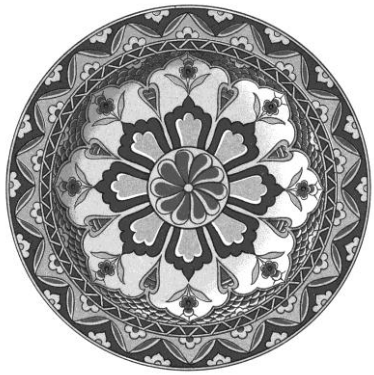

الإهـــداء

إليكم .. يامَنْ أورقتم في فؤادي الأمل وأنا استشعر في ملامح وجوهكم غداً يُخفف وطئ معانات اليوم ..

إليكم .. حتى تعلموا أنّكم لم تغيبوا عن خاطري ، فمتى ما تكونوا وأكون، يكن هذا الكتاب شاهداً على صدق دعواي ..

الى طلبتي..

حباً واعتزازاً

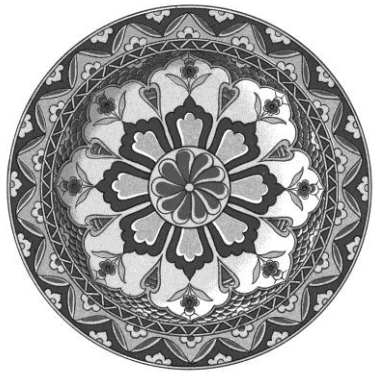

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي شق ليلَ العدم بفلق نهار الوجود، وأظهر صُنعه من خفاء اللبس الى فضاء الأنسِ، الذي كان كامناً في سرادقات غيبِ الإمكان فصار بارزاً في عرصات الظهور والجنان. والصلاة على النبي الهادي بعد غسق الجهالة، والدليل بعد الظُلم والظلالة، والضياء بعد الحيرة والإقالة، وعلى آله الهداة الراكبين متون العز والفخر والبسالةِ.

اما بعد..

فغيرُ خفي على ذوي الأفهام الواقدة والاذهان الناقدة والاطباع القويمة، ان مناهج المفسرين لها مالها من العنايات عند الكثيرين ممن ناقش فيها وباحث وصاول وحاول التماس غرة الوصول الى الهدف المأمول حتى تجاوزوا الهموم والاكدار، وامتطوا راحلات الاسفار الى الامصار كي يرتشفوا من أمواه الآداب ويخوضوا في متعاطيات الفنون ويبتغوا من طرائفها، وتنزهوا في البطاح حتى اوصلوا المنهج الى عليين في مرات عديدة، فصنفوا موسوعاتهم وتآليفهم بطرق تباينت تبعاً لتباين حكمتهم في خدمة الكتاب المجيد، ولعمَري لقد أجهدوا أقلامهم وأناملهم حتى وفوا بما سَطروا، وصدقوا وابهروا فأعذروا[1].

ويسرني بالغ السرور أن أُقدم لقرائي الكرام الطبعة الثانية من كتابنا: "**مناهج المفسرين – دراسة في النظرية والتطبيق** –" وهي تحفل بزيادات كثيرة وتشذيب

---

[1] الكتابة في مجال المناهج والاتجاهات التفسيرية: فإنه يُعد كتاب (طبقات المفسرين) لجلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) من أقدم الكتب في هذا المجال حيث تناول فيه المؤلف ترجمة لحياة المفسرين وآثارهم، ومن ثم يلية كتاب (طبقات المفسرين) لتلميذه الداوودي (ت:٩٤٥هـ) الحافظ شمس الدين الذي جمع بأسهاب تراجم أعلام المفسرين حتى أوائل القرن العاشر للهجرة. ومن الكتب الأُخرى المدوُّنة في هذا المجال كتاب (مذاهب التفسير الاسلامي) لجولد زيهر(ت:١٩٢١م)، و(التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب) للشيخ هادي معرفة، والذي هو صياغة جديدة لكتاب(التفسير والمفسرون) للدكتور محمد حسين الذهبي، وكتاب (التفسير ورجاله) لمحمد بن عاشور، وغيرها من المؤلفات الكثير الكثير.. وكل منها وضع أُسساً علميّة في النهضة التفسيرية، وأسدى خدمات كبيرة الى فهم النص القرآني – مع ما فيها من الإشكالات – والتعرض لها ليس ها هنا مقامه.

وتهذيب جاءت بعد طول عناءٍ ودراسة، ويعود الفضل في ذلك كله لواهب الفضل ﷻ. ومما يدعو للسرور ان بعض فصول هذه الطبعة قد اكتملت بعد الأخذ بالاعتبار ما لاحظه فيها ثلةٌ من الأخوة من أهل الاختصاص حتى تميزت بزيادات هامة في كثير من جنباتها وبأسلوب جديد يتفق والسنة الدراسية المناسبة لطلبتنا الأعزاء وفي مرحلتي البكالوريوس والماجستير حتى أريد لها أن تكون رياً روياً لهم، ومؤنةً كاشفة بأيديهم يتخللون بها مقاصيَر قصورِ العلوم، ويتفيؤون ظلال آرائك الكتاب العزيز، ويتنافسون تنافس اللاهثين إليه.

وعليَّ أن أقدم خالص شكري وامتناني لأستاذي الكبير العلامّة الأستاذ الأول المتمرس الدكتور **محمد حسين الصغير** لعطفه وعنايته في متابعة فصول الكتاب وتفضله بكلماتٍ غنية لتقديم الكتاب.

ولا أنسى بالشكر الأستاذ الدكتور حكمت عبيد الخفاجي والدكتور صادق فوزي النجادي لما أبدياه من ملحوظات قيمة بعد قراءة فصول من الكتاب.

كما ان الشكر موصول للقارئ الكريم بأن يرفدنا بما يلاحظه من وعيه لتعزيز قيمة المؤلَف، فلستُ أدَّعي في ذلك كمالاً فكم من كلام تنشئه تجدك قد سبقك إليه متكلِّم، وكم من فهم تستظهره وقد تقدَّمك إليه متفهِّم.

وإن تجِدْ عيبًا فسدَّ الخللا فجلَّ مَن لا عيبَ فيه وعلا

والحمد لله رب العالمين.

الدكتور
محمد كاظم الفتلاوي
جامعة الكوفة / النجف الأشرف
٢٠٢٠م

بسمه تعالى وبه نستعين

تقديم

بقلم
العلامة الدكتور الشيخ
محمد حسين الصغير
الأستاذ الأول المتمرس في جامعة الكوفة

تحتل الدراسات القرآنية الصدارة في حياة علوم القرآن العظيم وتفسيره، وقد دأب جيل من الباحثين الأفذاذ على تكريس جهودهم المضنية لأستكناه ما في القرآن الكريم من معارف وخزائن وكنوز، واستخرجوا ما شاء لهم الأستنباط من معادنه وجواهره تلكم الشذرات الرائعة في نصوصه وبراهينه، وتمحضوا لأصوله وفروعه، فيما حققوه من الإبداع في لغته وبيانه، وما أدركوه – كليا أو جزئياً – من إفاضاته في معانيه وألفاظه، فكان التفسير معلماً بارزاً، في الكشف عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، أو التوصل الى ما يقرّ به من الأذهان بما يستطاع حسب الامكان.

وكانت البداية في تفسير القرآن بالأثر والرواية الصادرة عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام والصحابة المتمحضين لذلك، ونشأ في ضوء ذلك مدارس ثلاث هي:

مدرسة مكة المكرمة، ومدرسة المدينة المنورة، ومدرسة الكوفة الغراء ...

وهذه المدارس هي الأصل الأول في المبادئ العامة لتفسير القرآن المجيد، كما أوضحنا ذلك في دراسات سابقة ولاحقة خلال أربعين عاماً، ضمت كوكبة من المفسرين الأوائل في تلكم المدارس.

وبدأت بعد هذا وفي ضوئ منه الدراسات اللغوية في تفسير مفردات القرآن عند الفراء وأبي عبيدة والأخفش والزجّاج وسواهم من أرباب الصناعة، وكان السابق إليهما ابن عباس في أجوبته مسائل نافع بن الأزرق.

ثم توالى التفسير العام للقرآن العظيم إبتداءً من فاتحة الكتاب وإنتهاءً بالمعوذتين لتلامذة الأئمة عليهم السلام، كأبي حمزة الثمالي وفرات الكوفي وسواهما، ثم بدأت الموسوعات التفسيرية الكبرى لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، والشيخ الطوسي محمد بن الحسن، وجار الله الزمخشري، والطبرسي، وابن كثير، والثعلبي، ومحمد بن عمر الرازي، وقد سبقهم جميعاً علي بن ابراهيم الأشعري في تفسيره، والعياشي في شذرات منه بحسب إختياره، وتدافعت في شتى العصور حتى اليوم موجات عارمة في التفسير بشتى معالمه وفنونه وأبعاده منذ عصر النهضة حتى نهاية القرن العشرين وبمناهج متعددة كشف عنها هذا الكتاب.

وإنه لعمل مشكور لتلميذنا الدكتور **محمّد كاظم الفتلاوي** الأستاذ المساعد في كلية التربية في جامعة الكوفة، أن ينهد بالبحث لأستيعاب مناهج المفسرين بين النظرية والتطبيق، فيجمع بين أشتاتها، ويضم بين متفرقاتها، ويبرزها للعيان بإسلوب علمّي رصين، وتسلسل تأريخي دقيق في حدود كثيرة.

وهذا لا يعني موافقتنا له في كل ما كتب، فهنالك ملاحظات على جملة من المناهج لا نتفق معه فيها، فيما قرره عنها، لا سيما في المنهج العلمّي لأن القرآن كتاب هداية وتشريع وليس كتاباً للعلم الحديث، ولكنه يدعو الى العلم، ولا يتعارض في ذلك، وهذا لا ينافي في أنه قام بعمل رائع جليل، تبقى حسناته، وتجدد مبرّاته، والله ولي التوفيق.

وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم، عليه توكلت وإليه أنيب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

النجف الأشرف: محمّد حسين الصغير

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

أما بعد.. فإنّ منزلة التفسير القرآني ضمن العلوم الإسلاميّة لمنزلة أثيرة، مردّها محوريّة النصّ الديني في الضّمير الإسلامي؛ فقد عُدّ المصدر الأوّل من مصادر التشريع تُستمدّ منه الأحكام، وعُدَّ أيضاً نصّاً يمتح منه المسلم معاني التوجيه إلى السلوك القويم وقيم الهداية وتغذية الأفق الأخروي في نفوس المسلمين، فلا غرابة إذن، أن يكون التفسير فاتحة علوم القرآن ومفتاحها في الآن نفسه.

وقديماً قال الرَّاغب (ت:٤٢٥هـ): (أشرفُ صناعةٍ يَتعاطاها الإنسان، تفسيرُ القرآن)[١].

فكان لي الشرف في بذل الجهد وغمض العين عن كثير من متاع الحياة الدنيا، آملاً الزلفى عند الله سبحانه وخدمة أهل القرآن فيما اودعت في هذا الكتاب من كلمات في مناهج المفسرين التي هي مفاتيح الى فهم النص القرآني ومراد الله سبحانه،

---

[١] السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٢/٤٦٥.

إذ إن اساليب البحث في مناهج التفسير تتنوع حسب معطيات العصر، ومسار البحث قد يختلف عن السابق حسب الزاوية التي يحددها المؤلف ويدخل منها الى ظلال النصوص الوارفة، ومن ثم يظفر ببعض الثمار، كل ذلك ناتج عن طريق المنهج الذي يسلكه المفسر في بيان آيات القرآن الكريم.

وكذلك كان الاعتبار الآخر في تأليف هذا الكتاب إنه لا يوجد – فيما أعلم – كتاباً واضح اللفظ وفيه الاختصار غير المخل أو الاطالة المملة في مناهج المفسرين، فكان التوضيح أحد دواعي الكتابة والتأليف في ان أُبسط هذه العلوم بأسلوب ميسر يدني فيه البعيد، واوضح فيه المستغلق، واجلو به المبهم، كما ذكر أهل العلم والشأن من قبل ذلك، إذ قال حاجي خليفة (ت:١٠٦٧هـ): (.. ينبغي لكلّ مُؤلف كتاباً، في فَنٍ قد سُبق إليه، أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد:

- إستنباط شيء إن كان معضلاً.
- أو جمعه إن كان مفرقاً.
- أو شرحه إن كان غامضاً.
- أو حُسن نَظمٍ وتأليف.
- أو إسقاطُ حشوٍ وتطويل)[١].

وأرجو أن لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذُكرت تسهيلاً لطالب العلم، وبما ان القرآن الكريم هو أساس قواعد الشرائع والعلوم، ومقياس ضوابط المنطوق والمفهوم فقد عنيت في تأليفه بالأسلوب الاكاديمي، وكذلك بالجانب التربوي في ثناياه ما كان هنالك سبيلاً من خلال النماذج التفسيرية.

---

[١] كشف الظنون، ٣٥/١.

اما **خطة الكتاب** فتتضمن مبادئ عامة في مناهج المفسرين، ومنهج التفسير الأثري، ومنهج التفسير بالرأي، ومنهج التفسير اللغوي، ومنهج التفسير البياني الأدبي، ومنهج التفسير الصوفي والباطني والاشاري والعرفاني، ومنهج التفسير العلمي، ومنهج التفسير الموضوعي، ومنهج التفسير الاجتماعي الاصلاحي، ومنهج التفسير الكلامي أو الحجاجي. مع ذكر نماذج تفسيرية تطبيقية لكل منهج تفسيري مع نبذة عن حياة مفسر ومنهجه في التفسير.

ولأن التربية بالقرآن الكريم لا تكون إلا بفهمه وبيان معانيه، قدمنا لهذه الدراسة ببحوث عن أهداف تدريس التفسير ومناهج المفسرين، والأسس العامة لمناهج المفسرين، والعلاقة بين اتجاهات التفسير ومناهج المفسرين والأغراض المقصودة من التفسير – المقاصد القرآنية –، وضوابط لتقويم التفاسير، وعرض بعض أخطاء المفسرين، والعلوم والآداب والعلوم التي يحتاجها المفسر.

ان المسلمين اليوم في حاجة ماسة إلى فهم معاني القرآن الكريم، والتأثر به، والعمل بما فيه من أحكام[١]، فتفسير القرآن متجدد بتجدد الأزمنة والعصور لتضمنه إشارات إلى قوانين علمية لم تكشف بعد ومعجزات كونية لم تظهر شواهدها فيما مضى، فالقرآن نزل ليكون دستوراً لحياة الناس يسترشدون به إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة[٢]، ولا يكون ذلك إلا بمعرفة علم التفسير وما يتعلق به من اتجاهات تفسيرية، ومناهج للمفسرين[٣]، فمادة التفسير والمواد المتعلقة بها من أبرز المواد في التعليم الإسلامي، لأنها تهدف إلى التسليم المطلق بما في القرآن الكريم، فتوصل المتعلم إلى

---

[١] ظ: صلاح، سمير يونس أحمد، وسعد محمد الرشيدي، التربية الإسلامية وتدريس العلوم الشرعية، ص١٢٨.
[٢] ظ: عبد الرحمن صالح عبد الله، المرجع في علوم الشريعة، ١٥٥/٢ .
[٣] ظ: محمود عبد الرزاق فيق وآخر ،تاريخ التربية، دراسة تاريخية، ثقافية، اجتماعية، ص١٨٥.

القناعة العقلية بأن القرآن هو النظام الشامل للحياة البشرية الذي يصلح لكل زمان ومكان، فيُرسخ في الأذهان ربط الواقع بالقرآن ربطاً قائماً على إنه حل مشكلات المجتمع أفراداً وجماعات، ويسد حاجاتهم المتجددة، وينهض بهم إلى أرقى المنازل والدرجات[١].

إذ لا يُمكن دراسة التفسير، وفهم معاني القرآن الكريم وأحكامه من غير دراسة اتجاهات التفسير، ومناهج المفسرين، كما واختلفت أنظار المفسرين وطرقهم ومناهجهم في التفسير تبعاً لاختلاف مشاربهم، فمنهم من غلبت عليه النزعة الفكرية العقائدية فتوسع توسعاً كبيراً في شرح الآيات المتصلة بهذه المعاني، ومنهم من غلبت عليه النزعة الفقهية الشرعية فتوسع توسعاً كبيراً في هذه النواحي وهكذا من توسع في القصص والأخبار ومن توسع في الأخلاق والتصوف والمواعظ وآيات الله في الأنفس والآفاق وغير ذلك، وهذا هو مجال الدراسة الحالية.

وختاماً: لا أدعي أن البحث اتسم بالكمال والخلوِّ من النقص والعيوب، إنما أُقرُّ بالنقص سلفاً فهذا طبع البشر أولاً.. وثانياً مُراعاة طريقة سلكتها حرصتُ فيها على أن تُناسب قُراءنا من طلبتنا الاعزاء والراغبين في التحصيل.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

د. محمّد كاظم الفتلاوي

الشامية / ٢٠١٧م

[١] ظ: محمد صالح سمك، فن التدريس للتربية الدينية وارتباطاتها النفسية وأنماطها السلوكية، ص١٥٨.

الفصل الأول

مبادئ عامة
في مناهج المفسرين

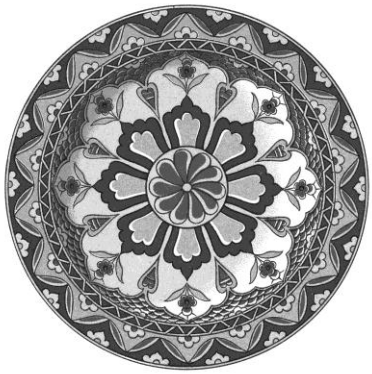

أولاً:

أهداف تدريس التفسير ومناهج المفسرين

لكل مادة تعليمية أهداف وتتمثل بـ: (الأهداف العامة، والأهداف الخاصة، والأهداف السلوكية)، فلمادة التفسير ومناهج المفسرين أهداف عامة وأهداف خاصة تُحدد وفق مفردات المادة المقررة، وأنواع الاتجاهات والمناهج التفسيرية المحددة تسعى بمجموعها للتوصل إلى تحقيق الأهداف التعليمية المنشودة من المادة، وأهدف سلوكية تشمل لمجالات المعرفية، والوجدانية، والنفس حركية، وفقاً لما يأتي[١]:

أ-الأهداف المعرفية:

الأهداف المعرفية للتفسير ومناهج المفسرين كثيرة ومن أهمها ما يأتي:

١. توضيح معاني المفردات والتراكيب.
٢. استنتاج الأحكام والقيم والتشريعات.
٣. تعرف علوم القرآن.
٤. تعرف أشهر كتب التفسير.
٥. تعرف وجوه إعجاز القرآن.
٦. تعرف اتجاهات التفسير العامة، ومناهج المفسرين المتنوعة.

ب- الأهداف الوجدانية:

الأهداف الوجدانية للتفسير ومناهج المفسرين كثيرة ومن أهمها ما يأتي:

١. تعميق حب القرآن الكريم وتقديسه.
٢. التقرب إلى الله ﷻ بتمثُّل القيم والاتجاهات التي حث عليها القرآن.

---

[١] للتوسعة ظ: حسين عليوي حسين الطائي، فاعلية بناء برنامج تعليمي لمادة مناهج المفسرين في تحصيل طلبة أقسام طرائق تدريس القرآن الكريم والتربية الإسلامية في ضوء حاجاتهم إليها، ص٥٨، د. محمد صالح الحمداني، التفسير ماهيته وطرائق تدريسه، ص٣٥.

٣. تقدير جهود العلماء والمفسرين من معرفة اتجاهات التفسير ومناهجه.
٤. التعبّد بتلاوة القرآن الكريم، وفهم معانيه.
٥. الحرص على تعلم القرآن الكريم، وتعليمه.
٦. توثيق العلاقة بالتراث القرآني، وبكل ما يتعلق به من علوم.

ج- الأهداف النفس حركية:

الأهداف النفس حركية للتفسير ومناهج المفسرين كثيرة أهمها ما يأتي:

١. إتقان تلاوة آيات القرآن الكريم، وفهم معانيه، والعمل به.
٢. تنمية مهارات كتابة القرآن الكريم بالرسم العثماني.
٣. تنمية مهارات التفكير عند الطلبة، من خلال اتجاهات التفسير ومناهجه.
٤. استعمال التقنيات التعليمية، للتوصل إلى فهم معاني القرآن وأحكامه.
٥. استعمال التفاسير المتنوعة.

- الأسس العامة لمناهج المفسرين:

لبناء منهج أو برنامج تعليمي يتعلق بفهم القرآن الكريم وتفسيره ينبغي تعرف الاتجاهات التفسيرية العامة، ومناهج المفسرين التي تتفرع منها، وأشهر كتب التفسير المؤلفة فيها، إذ يُعزز ذلك القدرة على الاستقصاء والبحث والمتابعة، ويُشجع على استمرارية التعلم والتعليم للقرآن الكريم[١]، ولقد تعددت الاتجاهات التفسيرية، ومناهج المفسرين المتفرعة منها تبعاً لتعدد الاتجاهات العامة التي ولدتها ثقافة كل عصر، وثقافة كل مفسر، وتخصصه، وتبحره في بعض العلوم، فلا بد من مراحل معينة يتبعها المفسر تكون الأسس والمصادر التي يقوم عليها المنهج التفسيري وقد حددت هذه المراحل والأسس في الاتجاهات الحديثة في تفسير القرآن الكريم في خطوات يجب على المفسر أن يتبعها وهي:

١. يجمع إلى الآية التي يُفسرها جميع ما في القرآن من آيات تتعلق بموضوعها.

---

[١] ظ: ماجد زكي الجلاد، تدريس التربية الإسلامية الأسس النظرية والأساليب العملية، ص٢٦٢.

٢. يجمع إلى الآية ما يتعلق بموضوعها من السنة الشريفة.
٣. ينظر في مدلول الألفاظ العربية فلا يُفهم القرآن على غير مقتضاها.
٤. يلتمس الصحيح من أقوال الصحابة والتابعين والعلماء السابقين في التفسير.
٥. ينظر في أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، للتوصل إلى التفسير السديد.
٦. يتدبر في القرآن الكريم ولا يقتصر على الظاهر منه، فإن ذلك يؤدي إلى فهم مقاصد مطلوبة وحكم سديدة.
٧. يُلم بالسيرة الشريفة، والحقائق التاريخية التي ترد الإشارة إليها في القرآن.
٨. لا يُفسر القرآن الكريم على ما يدور في خاطره وبحسب هواه؛ فيجعل تفسيره حاكماً على القرآن لا محكوماً به[١].

ومن الكفايات العلمية والمهنية المهمة لمدرس التربية الإسلامية أن يُفسر السور والآيات القرآنية المقررة في المنهج تفسيراً سليماً صحيحاً، وأن يوضح أثر القرآن الكريم وتفسيره في تفسير الظواهر العلمية المرتبطة بالحياة العملية، وأن يستعمل المعرفة في فهم المواد الدراسية الأخرى وتفسيرها كلما أمكن[٢]،مما يستلزم إطلاعاً واسعاً على اتجاهات التفسير ومناهج المفسرين، فمعرفة مناهج المفسرين وتعينها عوناً للقائمين على عملية تدريس التربية الإسلامية، ويرى الباحث أن البرنامج المقترح في الدراسة الحالية من الوسائل الجيدة المساعدة لتحقيق ذلك إذ يُهيئ مادة علمية غنية بمناهج المفسرين منذ عصر المعصوم عليه السلام إلى العصر الحديث.

[١] ظ: حسين درويش حنتوش، الاتجاهات الحديثة في تفسير القرآن الكريم، ص١٠ – ١٢.
[٢] ظ: حسين عليوي حسين الطائي، فاعلية بناء برنامج تعليمي لمادة مناهج المفسرين في تحصيل طلبة أقسام طرائق تدريس القرآن الكريم والتربية الإسلامية في ضوء حاجاتهم، ص٥٩.

ثانياً:

دواعي البحث في مناهج المفسرين

هناك دواع كثيرة للبحث في مناهج المفسرين، ونذكر منها:

١. أن القرآن الكريم لقي من الدراسة والبحث والتفسير ما لا يمكن أن يحيط به طالب علم بحال من الأحوال، فكان من باب تقريب هذه المادة العلمية الى الباحثين إطلاع طالب العلم على مناهج أصحابها ومسالكهم في كتبهم لتيسير الإفادة منها.

٢. أن تفسير القرآن الكريم بحر زاخر لا شاطئ له، لذا نجد كل مفسر ركز على جانب أو جوانب معينة بحسب ما تخصص فيه من العلوم، فكان لزاماً علينا إطلاع طالب العلم على طبيعة هذه التفاسير والجوانب التي اهتمت بها على حساب جوانب أخرى، وهذا كثيراً ما يساعد الباحث ويوفر عليه الجهد والوقت.

٣. أن القرآن الكريم يفسره اللسان كما يفسره الزمان، ولذلك نلحظ بعضاً من أقوال المفسرين مما كان يُعد تفسيراً لبعض آيات القرآن أثبت الزمن أنه لا يمكن أن يكون مثل ذلك تفسيراً لكتاب الله تعالى[١].

٤. إن أغلب ما وضع من التفاسير لا يخلو أن يكون قد كتبها أرباب نحل ومذاهب فكرية لا تسلم من النقد والطعن عليها، ووضعوا كان بغرض التمكين لمذاهبهم والترويج لها مما يستدعي تتبعها والتنبيه على ما فيها من محاذير ومفاسد.

٥. أن هذه التفاسير على اختلافها وتفاوتها من حيث الكمال فإنها لا تخلو جميعا من النقائص والثغرات، وأن هذه النقائص والثغرات قد تبلغ أحيانا درجة من الدقة والخفاء يصعب معها التنبه إليها.

---

[١] مثال ذلك قول القرطبي(ت:٦٧١هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ سورة الرعد، الآية:٣، حيث قال: (وفي هذا دليل على بطلان قول من قال بكروية الأرض من علماء الهيئة وغيرهم...)، الجامع لأحكام القرآن، ٤٧٧/٥. وفي تفسير الكشاف للزمخشري نلحظ تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ سورة البقرة، الآية:٢٢، إذ يقرر أن هذا دليل على فساد قول علماء الهَيئة بأن البحر هو مصدر الماء والمطر، ويرى أن مصدره السماء.. .، ظ: الكشاف، ١٢٥/١.

ثالثاً:

العلاقة بين مناهج المفسرين:

و(الاتجاه التفسيري، الطريقة، اللون)

المجال الأساس من مجالات الدراسة الحالية هو (مادة مناهج المفسرين) وللتعرف على مناهج المفسرين على نحوٍ دقيق لا بد من التعرف على (اتجاهات التفسير) و(طريقة التفسير) و(اللون التفسيري) والتفريق بينهما بإيجاد العلاقة التي تربطهما ببعض إذ لم يجد الباحث ما يدل دلالة أكيدة على التمييز والتفريق بين المصطلحات التفسيرية ومناهج المفسرين فهناك أدبيات كثيرة تناولتها ومناهج المفسرين بالبحث والدراسة والتحليل لكن لم يصرح أحد – على حد علم الباحث – بالتمييز والتفريق بينهما؛ فهناك من يكون عنوان الدراسة عنده اتجاهات التفسير، وهناك مَن يُعنون دراسته بعنوان مناهج المفسرين وآخر بطرائق التفسير واللون التفسيري، في حين نجد أن المحتوى متقارب جداً أن لم يكن متطابق، وتابع الباحث هذه المسالة وتوصل إلى أنه لا بد من تعريف التفسير وأنواع التفسير ومن ثم التوصل إلى العلاقة بين هذه الموضوعات (المصطلحات) التفسيرية ومناهج المفسرين؛ وعلى النحو الآتي:

أولاً: التفسير في اللغة والاصطلاح:

١. **في اللغة:** وهو مقلوب السفر، يقال أسفرت المرأة عن وجهها: إذا كشفته. وأسفر الصبح: إذا ظهر. وهو إظهار المعنى المعقول من الألفاظ والعبارات والإشارات[١]، واستعمل مرّة واحدة في القرآن بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَأْتُونَكَ**

[١] ظ: ابن منظور، لسان العرب، ٥٥/٥، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١٤٧/٢، الطريحي، مجمع البحرين، ٤٣٨/٣.

﴿بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[١]، أي: أحسن كشفاً وبياناً، فالمعنى اللغوي هو: كشف معاني الألفاظ هو الجامع لموارد استعمال لفظة التفسير.

٢. **التفسير اصطلاحاً:** عرّف المفسّرون التفسير بعبائر مختلفة، فتارة عرّفوا التفسير بشكل يشمل جميع المباحث المتعلقة بالقرآن الكريم، وبعض آخر يضيّقون دائرته ويخصّصونه بإزاحة الإبهام عن الألفاظ المشكلة والعبارات المبهمة[٢].

فالمعنى اللغوي والاصطلاحي كما نلحظ متقارب فيكون معنى التفسير في الاصطلاح هو: **محاولة فهم مراد الله سبحانه من القرآن الكريم.**

ثانياً: أنواع التفسير (الأساليب التفسيريّة):

يتركز مفهوم أنواع التفسير بـ: (الخطط والتفصيلات والأساليب التي عرض المفسرون تفاسيرهم من خلالها، وطبقوا مناهجهم عليها)[٣]، فتفسير القرآن الكريم نُهج فيه في مواكب العصور وتتابع الدهور أنواع متنوعة تطابق ظروف الحياة العامة، وتعكس في مرآتها الآراء المذهبية، والنظريات العلمية، والاتجاهات الفكرية، وألوان الثقافات والمعارف المختلفة منذ عصر الصحابة إلى العصر الحديث[٤]، وللتفسير أربعة أنواع رئيسة هي[٥]:

١. **التفسير الإجمالي:** يفسر المفسر فيه القرآن الكريم كله، ويقدم المعنى الإجمالي للآيات من غير توسع أو تفصيل أو زيادة في مباحث العقيدة، أو اللغة، أو الفقه، أو غيرها من أمور.

---

[١] سورة الفرقان، الآية ٣٣.
[٢] ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٤/١، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١٤٨/٢، محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ١٤/١.
[٣] ظ: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص٢٧.
[٤] ظ: محمد صالح سمك، فن التدريس للتربية الدينية وارتباطاتها النفسية، ص٤٠٠.
[٥] ظ: د. صلاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص٢٧.

٢. **التفسير التحليلي:** يفسر المفسر فيه كل آية من آيات القرآن الكريم؛ فيحللها تحليلاً موسعاً مفصلاً يتناول فيه مختلف المباحث من العقيدة واللغة والنحو والبلاغة والروايات والأخبار والقراءات والأحكام والتشريعات.

٣. **التفسير المقارن:** يقارن الباحث فيه بين عدة مفسرين على اختلاف مناهجهم، فيجمع تفسيرهم لسورة، أو مجموعة آيات أو موضوع معين فيتعرف على منهج كل مفسر منهم ويُحدد أحسن طرائق التفسير، ويُرجح المعنى الذي يراه مناسباً للترجيح.

٤. **التفسير الموضوعي:** ويهتم المفسر فيه بمتابعة موضوع خاص والبقاء معه وعدم الخروج منه إلى موضوعات أخرى.

٥. **التفسير الفردي،** أو المفردات، يقوم على تفسير المفردات فقط، ليس تتبع الكلمات القرآنية كلمة كلمة، وإنما يفسر المعاني التي يراد تفسيرها من المفردات.

ثالثاً: المنهج التفسيري

تعدَّدت تعريفات «المنهج التفسيريّ» عند العلماء والكُتّاب، وممّا ذُكر في تعريفه:

١. المنهج التفسيرِيّ هو الوسيلةُ المحقِّقة لغاية الاتّجاه التفسيرِيّ، والوعاءُ الذي يحتوي أفكار هذا الاتّجاه التفسيرِيّ أو ذاك[١].

٢. المنهج التفسيريّ هو السبيل التي تؤدّي إلى الهدف الذي يتّجه إليه المفسِّرون في تفاسيرهم[٢].

٣. المنهج التفسيرِيّ هو المسلك الذي يتّبعه المفسِّر في بيان المعاني، واستنباطها من الألفاظ، وربط بعضها ببعض، وذكر ما ورد فيهما من آثار، وإبراز ما تحمله من

---

[١] ظ: محمد إبراهيم شريف، اتِّجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، ص ٦٨.
[٢] ظ: فهد الرومي، اتِّجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ١/ ٢٢ .

دلالاتٍ، وأحكامٍ، ومعطَياتٍ، دينِيّةٍ وأدبِيّةٍ وغيرِها، تَبَعاً لاتّجاه المفسِّر الفكرِيّ والمنهجِيّ، ووِفْق ثقافته وشخصيّته[١].

٤. قد يُعبَّر عن المنهج التفسيرِيّ بالطريقة الموضوعِيّة التي عالج بها المفسِّر قضايا التفسير المختلِفة، مع إبراز رأيه، وتحديد موقفه، حيال هذه القضايا، بكلِّ ما يمكن من الوضوح[٢].

٥. المنهج التفسيرِيّ هو الطريقة التي يسلكها مفسِّر كتاب الله تعالى، وِفْق خطواتٍ منظَّمةٍ، يسيرُ عليها لأجل الوصول إلى تفسير الكتاب العزيز، طِبْقاً لمجموعةٍ من الأفكار، يُعنى بتطبيقها، وإبرازها، من خلال تفسيره، وبعبارةٍ أخرى: هو عبارة عن خطواتٍ يتبعها المفسِّر للوصول إلى غاياته وأهدافه[٣].

٦. مناهج المفسِّرين هي الأساليب التي يتّبعها المفسِّرون لبيان مراد الله تعالى من آيات القرآن الكريم حسب الطاقة البشرِيّة[٤].

٧. المنهج التفسيرِيّ هو طريقة كُلِّ مفسِّرٍ في تفسير القرآن الكريم، والأداة والوسيلة التي يعتمد عليها لكشف الستر عن وجه الآيات، وبالجملة هو ما يتَّخذه مفتاحاً لرفع إبهام الآيات[٥].

فمناهج المفسرين: الطرائق الواضحة،والخطوات المنضبطة، التي يتَّبعها المفسر للكشف عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالتها على مراد الله ﷻ، بوساطة قواعد معلومة لموضوع معين أو علم من العلوم؛ تكون السمة البارزة لعمله.

---

[١] ظ: محمد بكر إسماعيل، ابن جرير الطَّبَري ومنهجه في التفسير، ص ٣١، وقد تبنّى هذا التعريف أيضاً: محمد علي أيازي، المفسِّرون: حياتهم ومنهجهم، ص٣١ .

[٢] ظ: محمد علي أيازي، المفسِّرون، حياتهم ومنهجهم، ص٣٢، حسين درويش حنتوش، الاتجاهات الحديثة في تفسير القرآن الكريم، ص١٠..

[٣] ظ: هدى أبو طبره، المنهج الأَثَري في تفسير القرآن الكريم، حقيقته ومصادره، ص٢٣، ماجد زكي الجلاد، تدريس التربية الإسلامية الأسس النظرية والأساليب العملية، ص٤٢.

[٤] ظ: مصطفى مسلم، مناهج المفسِّرين (القسم الأوّل: التفسير في عصر الصحابة)، ص ١٥ .

[٥] ظ: جعفر السبحاني، المناهج التفسيريّة في علوم القرآن، ص ٧٣، محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد، ص٤٢.

فعلى أساس ذلك فإن منهج المفسر هو سيره بخطوات ثابتة لا يحيد عنها سعياً للوصول إلى المعنى المراد من كلام الله ﷻ، ومثالنا هنا منهج أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت:٢٠٩هـ) في التفسير التزامه منهجاً لا يكاد يحيد عنه:

١- يبدأ بشرح الآية بآية أخرى ما أمكن.

٢- يتبعها بحديث في المعنى نفسه.

٣- ثم يتبعها بالشاهد الشعري القديم، أو بكلام العرب الفصيح، كالخطب والأمثال والأقوال المأثورة. ويحرص أبو عبيدة على أن يؤكد دائماً صلة أسلوب القرآن وفنون التعبير فيه بأساليب العرب وفنونهم، فيذكر دائماً في ختام كلامه أن (العرب تفعل هذا)[١].

رابعاً: اتجاهات التفسير :

١. تعريف الاتّجاه في اللغة والاصطلاح:

- **لغةً:** هو ما يتوجّه إليه من شيء. ومن مصاديقه: ما يتوجّه إليه من ذات أو عمل، ومستقبل الشيء الَّذي يتوجّه إليه، والحالة المخصوصة الجالبة للتوجّه، والمنزلة والرتبة والجاه الَّتي توجب توجّهاً،والجهة والجانب والمكان يتوجّه إليها[٢].

- **اصطلاحاً:** تأثير ذوق المفسّر وخلفيّاته العقدية أو العصرية أو التخصّصيّة أو غيرها في فهمه لمعاني القرآن ومقاصده[٣].

إذن الاتجاه هو موقف المفسر ونظره ومذهبه ووجهته التي يوليها من العقائد الدارجة من السّنة والشيعة، والمعتزلة والأشاعرة، سواء كانت وجهته عند تفسير كتاب الله تعالى من تقليد أو تجديد، وكذلك من اعتماد على المنقول أو المعقول، أو الجمع بينهما في إطار معين.

---

[١] ظ: مجاز القرآن، تحقيق: د.محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٩٨١م.

[٢] ظ: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٦/٨٨-٨٩، الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن،ص٨٥٥.

[٣] ظ: محمد علي الرضائي، مناهج التفسير واتّجاهاته، ص١٨، جعفر السبحاني، المناهج التفسيريّة، ص٧٥-٧٦، عدنان زرزور، الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، ص٣٥٣.

وقد يسمى هذا الاتجاه بمدرسة التفسير، وموقف المفسر من مدارس التفسير، ولهذا قد يقال مدرسة التفسير بالمأثور والمنقول، ومدرسة التفسير بالمعقول، ومدرسة أهل السنة، ومدرسة أصحاب العقل، ومدرسة أهل البيت عليهم السلام.

٢. الفرق بين المنهج والاتّجاه التفسيريّين

يمكن لحاظ مجموعة من الأمور التي يفترق فيها المنهج عن الاتّجاه، منها[١]:

– المنهج هو طريق يسلكه المفسّر للكشف عن معنى الآية، بينما الاتّجاه يدور مدار خلفيّة المفسِّر وذوقه الذي يطبع فهمه للآية بطابع خاصّ بالمفسّر.

– يتقوَّم المنهج بمصادر التفسير وأدواته، بينما يتقوّم الاتّجاه بذوق المفسّر وطابعه الخاصّ.

– يظهر في المنهج المصدر أو المصادر الأساس التي اعتمد عليها المفسّر في تفسيره (قرآني، أثري، عقلي، تكاملي،...)، بينما يظهر في الاتّجاه أسلوب المفسّر بنحو جليّ (أدبيّ، كلاميّ، فلسفيّ،...).

خامساً: الطريقة

١. **تعريف الطريقة:** تناول العلماء والكُتّاب بيان معنى الطريقة في التفسير، فذكروا لها تعريفاتٍ متعدِّدةً، ومنها:

١. الطريقةُ التفسيرِيّة هي الشكلُ الفنّي لتفسير الآيات القرآنِيّة، وأحدُ أفرادها . وهو ما يُعرَف بالطريقة التقليدِيّة القديمة . تناوُلُ الآيات القرآنِيّة بشكلٍ متسلسلٍ، كما هي عليه في المصحف الشريف؛ ولها فردٌ آخر وهو ما يُعرَف باسم الطريقة الموضوعِيّة، أو المنهج الموضوعِيّ، كأن يلتزم المفسِّر لا بآياتٍ وسورٍ مرتَّبةٍ يفسِّرها، بل بموضوعٍ قرآنِيٍّ بعينه، يجمع الآيات الواردة فيه، مرتَّبَةً حسب نزولها، أو بترتيب توقيفها، ليخلص منها في النهاية، بعد تحليلها وتفسيرها، إلى الكلمة القرآنِيّة النهائِيّة في هذا

[١] ظ: محمد علي الرضائي، مناهج التفسير واتّجاهاته، ص١٧–١٨.

الموضوع؛ ومن أفرادها أيضاً ما يجمع بين الطريقة الموضوعِيّة والطريقة التقليدِيّة القديمة في آنٍ معاً؛ ومنها ما يُسمّى بالمقالة التفسيرِيّة التي يُدار الحديث فيها حول فكرةٍ بعينها، أو رأيٍ محدَّدٍ، يعتضد له بما ورد من آياتٍ قرآنيّةٍ في موضوعه، وتشهد لفكرة المفسِّر، أو رأيه المحدَّد[١].

وقد أطلق البعضُ على الطريقة بهذا المعنى اسم الخطّة، فقال: منذ عصرٍ مبكرٍ جعل القوم يتناولون تفسير القرآن على ترتيب سوره، يقفون منها عند بعض الآية، أو الآية، أو الجملة من الآي، فيبنون ما فيها على اللون الذي يؤثره المتناول وتضفيه شخصيّته على تفسيره، وما زالت تلك الخطّة هي السائدة في التفسير... وأقلُّ من ذلك أن يتبع المفسِّر موضوعاً خاصّاً في القرآن، يجمع متفرّقه...[٢].

٢. الطريقة التفسيرِيّة هي الأسلوب الذي يطرقه المفسِّر عند سلوكه للمنهج المؤدّي إلى الهَدَف أو الاتّجاه.

وقد تختلف طُرُق أصحاب المنهج الواحد في التفسير، فيبدأ أحدُهم بالنصّ أوّلاً، ثمّ بيان المفردات، ثمّ المعنى الإجمالِيّ للآيات، ثمّ يستخرج أحكامها؛ ويختلف آخرُ فيذكر النصّ أوّلاً، ويمزج بين المفردات والمعنى الإجمالِيّ، ويتوسَّعُ في هذا المقام فيبسط الحديث عند كلِّ قضيّةٍ، ويردُّ على الشُّبَه أثناء ذلك؛ ويختلف ثالثٌ فيذكرُ بعد النصّ بيانَ المفردات، ويخلطها بشيءٍ من المعنى الإجمالِيّ، ثمّ يعقد الأبحاث المطوَّلة بعد ذلك للقضايا التي تناولتها الآيات[٣].

إذن فالمنهج يفي بالدراسة الموضوعية والمسالك التفسيرية في بيان المعاني، واستنباطها من الألفاظ، والطريقة تعني بالناحية الشكلية التي انتخبها المفسر في ترتيب المباحث وتعيينها.

---

[١] ظ: محمد بكر اسماعيل، ابن جُزي ومنهجه في التفسير، ص ١٢٨. شريف، اتِّجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين، دار المعرفة، ١٩٦١م، ص٦٦.
[٢] ظ: أمين الخولي، منهاج التجديد، ص ٢٩٦.
[٣] ظ: فهد الرومي، اتِّجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ١/ ٢٢ . ٢٣.

٢. الفرق بين المنهج والطريقة

١. المنهج يفي بالدراسة الموضوعِيّة والمسالِك التفسيرِيّة في بيان المعاني، واستنباطها من الألفاظ؛ والطريقة تعنى بالناحية الشكلِيّة التي انتخبها المفسِّر في ترتيب المباحث وتعيينها[١] .

هذا وقد خلط أحدُ الكُتّاب بين مصطلحَيْ المنهج والطريقة، حيث اعتبر أنّ طُرُقَ التفسير نوعان: تفسيرٌ بالمأثور وتفسيرٌ بالرأي[٢]، وهذا نحوُ خلطٍ بين المصطلحَيْن؛ إذ من الواضح أنّ ما اعتبره طُرُقاً للتفسير هو مناهِجُ تفسيرِيّةٌ، بناءً على تعريفه للمنهج والطريقة، حيث قال: «المنهج التفسيريّ هو السبيل التي تؤدّي إلى الهدف الذي يتّجه إليه المفسِّرون في تفاسيرهم، وأمّا الطريقة التفسيرِيّة فهي الأسلوب الذي يطرقه المفسِّر عند سلوكه للمنهج المؤدّي إلى الهَدَف أو الاتّجاه»[٣].

سادساً: اللون

المراد من اللون هو أن الشخص الذي يفسّر نصاً، يلوّن هذا النص بتفسيره هو وفهمه ولغته إياه، إذ إنّ المتفهم لعبارة ما هو الذي يحدد بشخصيته المستوى الفكري لها، وهو الذي يعين الأفق العقلي، الذي يمتد اليه معناها ومرماها. يفعل ذلك كله وفق مستواه الفكري وعلى سعة أفقه العقلي، لإنه لا يستطيع أن يعد ذلك من شخصيته، ولا يمكنه مجاوزته أبداً، فلن يفهم من النص إلا ما يرقى اليه فكره ويمتد اليه عقله، وبمقدار هذا يحتكم في النص ويحدّد بيانه[٤] .

وهذا الاصطلاح نتيجة موقف المفسر واتجاهه، فعلى سبيل المثال نذكر مثالين من تلون التفسير بالمنهج النقلي والعقلي، فان المتصدي للتفسير النقلي، إنما يجمع

---

[١] ظ: محمد علي أيازي، المفسِّرون: حياتهم ومنهجهم، ص٣٢.
[٢] ظ: فهد الرومي، بحوث في أصل التفسير ومناهجه، ص ٧١.
[٣] ظ: فهد الرومي، اتّجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ١/ ٢٢.
[٤] ظ: أمين الخولي، منهاج التجديد، ص ٢٩٦.

حول الآية من المرويات ما يشعر أنها متجهة اليه، متعلقة به، فيقصد الى ما تبادر لذهنه من معناها، وتدفعه الفكرة العامة فيها، فيصل بينها وبين ما يُروى حولها في اطمئنان. وبهذا الاطمئنان يتأثر نفسياً وعقلياً حينما يقبل مروياً ويعني به، أو يرفض من ذلك مروياً.. ومن هنا نستطيع القول بأنه حتى في رواج التفسير النقلي وتداوله، تكون شخصية المتعرّض للتفسير هي الملونة له، المروّجة لصنف منه .

أما حين يكون التفسير عقلياً اجتهادياً، فان هذا التلوين الشخصي يبدو أوضح وأجلى، إذ أن ثقافته ونوع معارفه هما اللذان يحددان ناحية عنايته، وميدان نشاطه، وما ينتفع به في استخراج معاني العبارة، وما يعني به قبل غيره من هذه المعاني، فيتأثر بذلك كله.

وكذا في غيرهما من المذاهب والمناهج، سواء كانت المذاهب كلامية أو اجتماعية أو علمية و... الخ .

ملحوظة: ومع كل هذا يبقى الخلط قائماً بين هذه المصطلحات عند كثير من أهل الدراسات القرآنية وبأدنى تتبع يتضح[١]، ومن هُنا . أي بعد حصول الخَلْط لدى الكُتّاب بين المصطلحات، وبعد تعدُّد تعريفاتهم واختلافها . يمكننا القول . كما قال أحدُهُم .: (إنّ هذه المصطلحات اصطلاحاتٌ حديثةٌ لم أجِدْ لها، في ما قرأتُ، ذكراً عند أصحاب الدراسات القرآنِيّة الأوائل، وحتّى أصحابها في العصر الحديث لا تكاد تجدُ اتّفاقاً [بينهم] على معنىً واحِدٍ لكُلٍّ منها؛ ولهذا ترى كثيراً منهم يُعبِّر بهذه الكلمة مرّةً، وبالأخرى مرّةً، عن مدلولٍ واحِدٍ؛ وترى آخرين منهم يذكرون تعريفاً لكلِّ مصطلحٍ منها، ويذكر غيرُهم غيرَه)[٢].

---

[١] فهد الرومي، اتِّجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ١/ ٢٢.
[٢] ظ: محمد عباس دهيني، نت.

خلاصة القول:

ومع هذا يمكن أن نستخلص من هذه المصطلحات تعريفاً شامِلاً، ومتوافِقاً مع أغلب التعريفات المذكورة لها، فنقول:

المنهج التفسيريّ: هو السبيل والأداة والوسيلة التي يعتمِد عليها المفسِّر لبيان معنى الآيات القرآنِيّة، ورفعِ إبهامها، وبه يصل المفسِّر إلى تحقيق أهدافه من التفسير، ومن ذلك: منهج تفسير القرآن بالقرآن، ومنهج تفسير القرآن بالروايات والأحاديث، ومنهج تفسير القرآن بالأدِلّة العقلِيّة القطعِيّة، إلى غير ذلك من المناهج.

الاتّجاه التفسيريّ: هو الهدفُ والغايةُ التي يتوخّاها المفسِّر من تفسيره، فإنْ أراد أن يكون تفسيرُه مساعِداً على صلاح المجتمع، وتحلّيه بالأخلاق الإسلامِيّة، كان اتّجاهه في تفسير الآيات القرآنِيّة إصلاحِيّاً أخلاقِيّاً، وإنْ أراد التركيز على مسائل العقيدة، وتقريرها، وبسط معالمها، والذود عنها، كان اتّجاهُه في التفسير عقائدِيّاً، وهكذا في بقيّة الأهداف.

الطريقةُ في التفسير: هي المظهرُ الشكلِيُّ للأسلوب الذي اتّبعه المفسِّر في تفسيره، فقد يأخذ في تفسير الآيات مرتَّبةً وِفْق المصحف؛ وقد يختار موضوعاً معيَّناً ويرتِّب الآيات المتعلِّقة به وِفْق النزول؛ وقد يفرِّق بين بيان معاني الألفاظ وبيان معاني التراكيب والجُمَل، كما في تفسير مجمع البيان مثلاً؛ وقد يمزج بينهما، كما في تفسير الميزان مثلاً، وهذا كلُّه من المظاهِر الشكليّة للأسلوب الذي يختاره المفسِّر لتفسيره.

اللَّوْنُ والصِّبْغةُ: هما ما يظهر في التفسير من آثارٍ تدلُّ على شخصيّة المفسِّر، وطاقته الفكرِيّة، واستطاعته العقلِيّة، والعلوم والمعارِف المُلِمّ بها.

رابعاً:

الاغراض المقصودة من التفسير

- المقاصد القرآنية -

هناك مقاصد اصلية جاء بها القرآن الكريم نلخصها بإيجاز:

الأول: اصلاح الاعتقاد: وهذا يعني التحرير من الشرك والتخلص من الخضوع لغير الله لأن سواه ليس قادراً على فعل شيء قال تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾[١]، فاسند لآلهتهم زيادة تتبيبهم وليس هو من فعل الإله ولكنه من اثار الاعتقاد بالإله.

الثاني: تهذيب الاخلاق: قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢]، وقال النبيﷺ: (انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)[٣].

الثالث: التشريع: وهو الأحكام خاصه وعامة، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾[٥].

الرابع: صلاح الأمة وحفظ نظامها كالإرشاد الى تكوين الجامعة بقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[٦] .

---

[١] سورة هود، الآية ١٠١.
[٢] سورة القلم، الآية ٤.
[٣] المجلسي، بحار الانوار، ٢١٠/١٦.
[٤] سورة النحل، الآية ٨٩.
[٥] سورة النساء، الآية ١٠٥.
[٦] سورة الانفال، الآية ٤٦.

الخامس: الولاية –الإمامة– وفيها ديمومة الشريعة المحمّدية وسياسة الأمة والعدل الإلهي المتمثل برعاية الإمام المعصوم، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[١]. ودلالة الآية واضحة على ان الموصوف بهذه الصفات وهو الإمام علي عليه السلام.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ايها الناس اني تارك فيكم امرين لن تضلوا ان اتبعتموهما وهما كتاب الله، وأهل بيتي عترتي)، ثم قال: (أتعلمون اني أولى بالمؤمنين من انفسهم؟ ثلاث مرات، قالوا: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَن كنت مولاه فعلي مولاه)[٢].

السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين وما يؤهلهم الى تلقي الشريعة ونشرها وذلك علم الشرائع وعلم الاخبار وكان ذلك علم مخالطي العرب من أهل الكتاب وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة ميزان العقول وصحة الاستدلال في افانين مجادلاته الضالين وفي دعوته الى النظر ثم نوه بشأن الحكمة فقال: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[٣].

نعم لقد فجر القرآن العقلية الإسلامية وجعلها عقلية تفكير ومناظرة واستدلال وبرهان في حين كانت هذه العقلية قبل القرآن عقلية حفظ واستظهار يمكننا القول بقول ابن عاشور عن أهمية القرآن المعرفية: (وهذا اوسع باب انبجست منه عيون المعارف وانفتحت به عيون الأميين الى العلم)[٤].

السابع: القصص واخبار الأمم السالفة بصالح احوالهم: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآَنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾[٥] .

---

[١] سورة المائدة، الآية ٥٥.
[٢] الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٣/٣٢٤.
[٣] سورة البقرة، الآية ٢٦٩.
[٤] تفسير التحرير والتنوير، ١/٣٩.
[٥] سورة يوسف، الآية ٣.

الثامن: المواعظ والانذار والتحذير والتبشير وهذا يجمع آيات الوعد والوعيد والتحذير والتبشير وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين.

التاسع: الاعجاز بالقرآن ليكون دليلاً على صدق النبي الأكرم محمدﷺ في ادعائه النبوة والرسالة تحدى القرآن العرب ان يأتوا بمثله وهم البلغاء ثم تحداهم بعشر سور من مثله ثم تحداهم بالسورة .... وقد عجزوا واذعنوا لبلاغة القرآن على الرغم من تحديه لهم واقامة الحجة على العرب فكان تحدياً لغير العرب وبذلك يعني ان القرآن المعجزة العقلية الخالدة لرسول الله ﷺ وبذلك يختلف عنه باقي معجزات الرسل السابقين التي انتهت بوفاة الرسل عليهم السلام .

وأكثر من ذلك يعني ان القرآن وحده هو الدليل القاطع الذي نقل لنا معجزات الرسل السابقين كمعجزات نبي الله موسى عليه السلام ونبي الله عيسى عليه السلام ولعل الحكمة الكامنة وراء ذلك هي ان القرآن المجيد كتاب الإسلام خاتم الرسالات وتضمن معجزات الرسل السابقين لأنه اعترف بالرسالات السابقة لأن رسالات الانبياء تمتاز بوحدة المصدر وبوحدة الدعوة وامتاز الإسلام على غيره بشموليته وعالميته التي نص عليها القرآن: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾[1]، لذا كانت المعجزة الخالدة تتحلى بميزة غير الميزات التي امتازت بها المعجزات المؤقتة بتوقيت اتيانها واصحابها المرسلين زماناً ومكاناً.

[1] سورة سبأ، الآية ٣٤.

خامساً:

ضوابط تقويم التفاسير

يقع بعض دارسي التفاسير في اخطاء كثيرة، عندما لا يدرسون التفسير الذي بين ايديهم دراسة جيدة، حيث لا يقفون على حقيقة رأي المفسر في بعض القضايا والمسائل، فينسبون له مالم يقله، ويخرجون من الدراسة بنتائج خاطئة، ويحكمون عليه حكماً خاطئاً ظالماً. والسبب في هذا هو عدم مراعاتهم المنهج العلمي في الدراسة، والموضوعية في البحث، والأمان في النقل، والنزاهة في الحكم.

أو بمعنى آخر: عدم مراعاتهم الضوابط المنهجية الضرورية للدراسة، وأهم هذه الضوابط هي:

١- المعرفة التامة لعصر المفسر :

لا بدَّ للدارس ان يتعرف على العصر الذي عاش فيه المفسر، وان يقف على مختلف مظاهر الحياة فيه: السياسة والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، لأن المفسرَ الذي يعيشُ عصرَه، يفسّرُ القرآن لأهداف خاصة، لها صلة بقضايا ومشكلات عصره، ويركز في تفسيره على مسائل تهمُّ أمته في عصره، ويتناول بعض الأفكار والمذاهب المنتشرة في عصره، لذلك لا بدَّ للدارس أن يذهب الى المفسر، ليعيشَ معه في عصره.

ولا يليقُ بالدارس أن (يسلخَ) المفسر عن عصره، وأن يحضره الينا ليعيش عصرنا، أو ان يسلخ المفسر المعاصر عن عناصرنا، ليعيش عصراً سابقاً، ليس له مشكلات وقضايا واهتمام هذا العصر!.

٢- المعرفة التامة لشخصية المفسر :

على الدارس ان يتعرف على شخصية المفسر، ودراسة مراحل حياته، ومظاهر التأثر والتأثير فيها، ومعرفة دراسته وشيوخه وثقافته، والكتب التي درسها، والأماكن

التي ذهب اليها والوظائف التي اشغلها، والأعمال التي قام بها، ومعرفة تلاميذه الذين درسهم، ومعرفة أسرته وأولاده، إن تيسَّر له معرفة ذلك!

٣- الوقوف على أهداف المفسر من تفسيره:

الأصل في المفسر ان يكون له اهداف، يسعى الى تحقيقها من تفسيره، والهدف يحدد المنهج، والمنهج يوضح الطريقة! وعدم معرفة الدارس لأهداف المفسر يوقعه في اخطاء في البحث والتقويم. ويمكن الوقوف على اهداف المفسر من تفسيره، فقد يذكر ذلك في المقدمة، وقد يذكر بعضها أثناء التفسير، وعلى الدارس ان يحسن استخراج تلك الأهداف.

٤- تحديد قواعد منهج المفسر ومعالمه:

على الدارس ان يتعرف على منهج المفسر، وان يحدد قواعد ذلك المنهج، ثم طريقته في تطبيق ذلك المنهج. وقد يذكر المفسر بعض قواعد منهجه في المقدمة، وقد يذكر بعضها في التفسير، ولكل مفسرٍ إشاراتٌ وعباراتٌ مبثوثة في تفسيره، تعين الدارس على التعرف على ذلك المنهج.

٥- الاطلاع الكامل على نتاج المفسر ومؤلفاته:

لا بد للدارس ان يطلع على نتاج وكتابات المفسر، وليس تفسيره فقط، وأن يرتبها حسب تسلسلها التاريخي، حسب كتابة صاحبها لها. إن الاطلاع عليها وحسن ترتيبها التاريخي ضروري للدارس، ليقف على حقيقة افكار المفسر، فقد يغير المفسر أو يبدل في بعض آرائه على هدي مكتسباته العلمية الجديدة، وقد يتخلى على رأي له سابق في مسألة ما! فاذا لم يطلع الدارس على مؤلفات المفسر، ولم يرتبها تاريخياً، فسوف يظلم المفسر، وينسب له رأياً تخلى عنه في كتاب لاحق.

٦- الدراسة الشاملة الواعية الفاحصة المتأنية المتكررة للتفسير:

وأوكد على كل صفة وردت في هذا الضابط، فلا بد ان تكون دراسة الدارس للتفسير شاملة له كله، وان تكون واعية، بحيث يكون الدارس منتبهاً يقظاً فاحصاً،

يعي ويستوعب ما يقرأ، ولا بد ان تكون الدراسة متأنية متمهلة، وان لا يكون الدارس سريعاً متعجلاً، فقد يحتاج الى ان يدرس التفسير أكثر من مرة!

على الدارس ان يجمع كلام المفسر في المسألة الواحدة من المواضع المتفرقة في التفسير – وأن تكرر ذلك – لأنه لا يخلو من اضافة يضيفها المفسر.

٧- الموضوعية في البحث:

يجب ان تكون دراسة الدارس موضوعية، وأن يكون بحثه منهجياً، بحيث يسير مع المفسر حيث سار، ويصحبه في رحلته الطويلة من خلال التفسير.

يجب ان يكون هدف الدارس من خلال دراسته للتفسير بيان الحق في المسألة، وبيان الصواب في الموضوع.. وان يكون الدارس موضوعياً محايداً، يهمه التفسير الذي امامه، ليعرف ماله وما عليه.

لا يجوز ان يكون هدف الدراسة تتبُّع الأخطاء، وتصيُّد العيوب، وجمعَ المآخذ والسقطات، والخروج من هذا بحكم جائر على المفسر وتفسيره أو دعوة ظالمة لإلغاء تفسيره وطرحه وإهماله!

٨- النظرة المتزنة للمفسر:

الأصل ان تكون نظرة الدارس الى المفسر متزنة، متصفة بالتوسط والاعتدال، فلا يغالي في محبته وتقديره، حتى يوصله الى درجة قريبة من القداسة والعصمة. ولا يبالغ في النظرة الأخرى ضده، الى درجة تعمَّد التنقيص والتشويه، بحيث يصدر حكماً بالإعدام على تفسيره وعلمه ومؤلفاته.

لا يجوز ان يعمي حبُّ الدارس للمفسر عن رؤية مآخذ تؤخذ عليه، أو الإشارة الى أخطاء وقع فيها، كما أنه لا يجوز أن يعمي تعصب الدارس ضدَّ المفسر عن رؤية مزاياه وحسناته.

بمعنى آخر: ان ينظر الدارسُ الى المفسر بعينين اسلاميتين مبصرتين عادلتين ومنظار عادل يريه كل الامور والمسائل، يرى الحسنات ويثني على صاحبها ويرى

السيئات ويردها. لا يجوز ان يكون الدارس مغالياً في محبة المفسر، ولا مغالياً ضده، وقديماً قال الشاعر[١]:

وَعَينُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا

٩- عدم محاكمة المفسر الى مدرسة خاصة في التفسير:

على الدارس ان لا يحاكم المفسر الى مدرسة خاصة في التفسير، او صورة معينة للتفسير، او نموذج واحد للتفسير، ومن ثم طرح هذا التفسير اذا لم يتفق مع تلك المدرسة او النموذج !

كذلك على الدارس ان لا يحاكم المفسر الى مذهب كلامي او فقهي او فكري معين، ومن ثم الحكم عليه وتخطئته ان لم يتفق مع ذلك المذاهب.

على الدارس ان يحاكم المفسر وتفسيره الى الحقِّ الأصيل المتمثل في الكتاب والسنة، وفهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين، فاذا وافق المفسر هذا الحق والفهم كان مصيباً، ولا يحتاج الى تزكية بعد ذلك، بان يوافق هذا المذهب او ذاك، او يخالف هذا العالم او ذاك! لا يجوز اعتبار كلام الناس وفهمهم وآرائهم البشرية القاصرة اصلاً يحاكم اليه العلم وأصحابه، فالأصل في هذا هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

١٠- الموضوعية في التقويم والعدالة والنزاهة في الحكم:

على الدارس ان يحرص على الدقة وحسن الفهم، بحيث يطيل النظرة في التفسير، ويستوعب الفكرة، ويقلب وجوه الرأي ليحسن فهم كلام المفسر، ولا يظلمه بأن ينسب له رأياً لم يقل به.

وإذا جاء دور النقل فلا بد من توفر الأمانة العلمية لدى الباحث، بان ينقل عبارة المفسر كاملة، ويلاحظ ما قبلها وما بعدها، ولا يجوز ان يقتطع عبارة من سياقها، ليعتبرها إدانة للمفسر، على طريقة: ((لا تقربوا الصلاة !!))!

---

[١] الشافعي، ديوان الشافعي، ص٢٣.

ولا بد للدارس من ان يكون موضوعياً في تقويم التفسير، بأن يطرح الهوى جانباً، سواءٌ في جانب الحبَّ او جانب البغض، عليه في التقويم ان يلاحظ الحسنات والإيجابيات ويشيد بها، ويعرف نسبتها الى تفسير، وقيمة التفسير بسببها، ثم يلاحظ المآخذ والأخطاء، ويحسن تصنيفها – هل هي في المقصد او في المنهج او في بعض خطوات الطريق– ومدى تأثُّر التفسير بها، ومدى أثرها عليه.

ولا يجوز للدارس ان يجمع الأخطاء والمآخذ ويلغي الإيجابيات والحسنات، ثم (يُكبر) الأخطاء، حتى تطغى على الحسنات، ويعدم التفسير، ويدين صاحبه بسببها!

وبعدَ الأمانة في النقل، وحُسن الفهم والموضوعية في التقويم، يأتي دور الحكم.. لا بد للدارس من ان يكون نزيهاً عادلاً في الحكم، فعندما يضعُ التفسير في الميزان، عليه أن يكون ميزانه إسلامياً شرعياً، له كفَّتان: واحدة للمزايا والإيجابيات، والأخرى للمآخذ والأخطاء والسلبيات.

لا يجوز ان يكون ميزانه بكفة واحدة، لا يضع فيها الا الحسنات اذا كان يحب المفسر، أو لا تعرف الا الأخطاء اذا كان لا يحب المفسّر !!

على الدارس المتصف بهذه الصفات ان يتقي الله في حكمه على التفسير والمفسر، ويعطيه ما يستحقه، بعد معرفة نسبة اخطائه الى حسناته، وان يهب الخطأ القليل الى الصواب الكثير، ومعلوم ان النجاسة لا تؤثر في الماء الكثير، وكفى المرء نبلاً أن تُعدَّ معايبه !!

سادساً:

أسباب أخطاء المفسرين

ولمّا كان التفسير نشاطاً بشريّاً بالأساس، فإنّ المفسّرين كثيراً ما يقحمون مبتنياتهم المذهبيّة والثقافية والبيئية والنفسية في التعامل مع النصّ القرآني، فيقع توجيه التفسير إلى الوجهة التي تنسجم مع قواعد وأدبيات يتبنوها، ونظراً لأهمية معرفة الدارس لأسباب الأخطاء التفسيرية يمكن هنا ان نشخص الأسباب المؤدية الى الأخطاء التي يقع فيها المفسِّر، والتي منها:

١- **دخول عالم القرآن بمقررات فكرية سابقة:** غريبةٍ عن حقائق القرآن، لأنهم اخذوها من التصورات والثقافات الغريبة، ثم بحثوا في آيات القرآن عن شواهد لهذه المقررات .

٢- **الخطأ في فهم بعض الآيات:** لحرصِهم على ان يستدلّوا على بعض الافكار الصحيحة بالقرآن، مع انه لا داعي لذلك، فبما ان الفكرة صوابٌ فهي مقبولة، ولو لم يكن عليها دليل من القرآن! لكن هؤلاء كانوا يبحثون عن أدلة من آيات القرآن على ما عندهم من آراء صحيحة، فيلْوُون الآيات ليّاً، و(يتنطَّعون) في اخذ الشاهد منها[١].

٣- **عدمُ اتباع احسن طرق التفسير:** وذلك بخلاف؛ تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسُنة الصحيحة، ثم بما صح من أقوال الصحابة، ثم بما ثبت من أقوال التابعين، ثم باللغة العربية، وأخيراً إعمال الرأي والاستنباط.

٤- **الضعف في الحديث رواية أو دراية:** وعدم القدرة على تخريج الأحاديث، واعتماد ما صح منها، ومن ثم التساهل في رواية الأحاديث وإيرادها، وتفسير الآيات بها، مع انها لم تصح ولم تثبت، وقلما ترى تفسيراً من التفاسير سَلِمَ من ايراد أحاديث موضوعة او ضعيفة. من تساهلهم في الأحاديث ذكرها غير معزوَّةٍ الى من اخرجها

---

[١] اقرب مثال في ذلك نلحظه في بعض التفسير العلمي للآيات القرآنية.

من كتب الحديث، ومن رواها من الصحابة، فكثير منهم يكتفون بقولهم: قال رسول الله ﷺ.

والأصل في المفسر ان يكون عالماً في الحديث، قادراً على تمييز الصحيح من غيره وعلى تخريج الحديث من كتب الحديث، والحكم على رجاله من كتب الرجال، وعلى الأقل ان يكون قادراً على انتقاء ما صح من الأحاديث، واخذ ذلك من العلماء المتقنين للحديث وتخرجه!

٥- **التساهل في رواية الإسرائيليات والروايات غير الثابتة:** المتعلقة بأحداث القصص القرآني، وسير الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، مع ان هذه الاسرائيليات غير صحيحة، واليهود متهمون، غير مؤتمنين على الاحداث السابقة، وهم كاذبون في ما يقدِّمون من روايات وإسرائيليات.

٦- **عدم البقاء على القراءة المتفق عليها المتواترة:** وقبول قراءات غير صحيحة، مع ان القراءات الشاذة ليست قرآناً.

٧- **التساهل عند أخذ اقوال الصحابة والتابعين:** وعدم اعتماد ما صح منها، وذكر روايات متعارضة مختلفة عن الصحابي او التابعي، وترك القارئ في حيرة أمام الأقوال الكثيرة التي وضعوها امامه، بحيث يصعب عليه الترجيح أو الاختيار.

٨- **الاستطراد والخروج عن التفسير الى غيره:** حيث كان المفسر يتوسع في بحث بعض الموضوعات والمسائل والقضايا وليس لها صلة مباشرة بالتفسير، ولا يتوقف عليها حُسن فهم الآية وتفسيرها، وانما هي (مُطَولات) مقحمة على التفسير إقحاماً، وهي تشوش على القارئ، وتقطع عليه متابعته للتفسير وتحجب عنه انوار القرآن المجيد.

وهناك مطولات كثيرة لا بد من استبعادها من كتب التفسير، ومنها ما هو في التاريخ والأخبار، ومنها ما هو في مسائل العقيدة وعلم الكلام، ومنها ما هو في الفقه والاحكام، ومنها ما هو في اللغة والنحو والشعر، ومنها ما هو في الروايات.

٩- الانشغال بمعارك فكرية ومناقشات مختلفة: حيث كانوا يحولون التفسير الى ساحة (معارك) تتصارع عليها مختلف الآراء والافكار، وتتقاتل عليها مختلف المذاهب والفرق وبخاصة تلك التي تبحث في مسائل العقيدة والإيمان، وكم تقاتلت الفرق المختلفة اثناء تفسير الآيات، من معتزلة وخوارج وشيعة وجهمية وجبرية وأشاعرة وسلفية.

١٠- ذكر احتمالات عديدة في التفسير أو الإعراب: حيث كانوا يوردون عدة احتمالات في معنى الآية، كأن يقولوا: يمكن ان يكون معنى الآية كذا، او أن يكون كذا.. وهكذا، وعدم ترجيحهم أحد الاحتمالات على غيرها، وهذا يجعل القارئ في حيرة في فهم التفسير!.

والأصل في المفسر ان يذكر قولاً واحداً في معنى الآية، وهو الراجح عنده، ونحن لا ننفي أن معنى الآية يحتمل عدة أقوال، لكن لا بد من قول هو ارجح عند المفسر من غيره، كأن يقول: الراجح عندي في تفسر الآية كذا وكذا، وهذا قد يكونُ غيرَ الراجحِ عند مفسرٍ آخر، لكن لا ضير في ذلك!

هذه هي أهم أسباب الأخطاء الأساسية الجوهرية التي وقع بها بعضُ المفسرين. وكل ذلك يؤكد الحاجة إلى ممارسة النقد في التفسير، كما هو في سائر مجالات الفكر الإنساني.

سابعاً:

عوامل نشوء المناهج التفسيرية

وقبل الولوج الى بيان المناهج التفسيرية نرى من الضرورة بمكان التعرف على الأسباب التي ادت الى نشوء المناهج التفسيرية، وعلى النحو الآتي:

١- ترابط الآيات القرآنية: بحيث أن بعضها يفسر بعض، وهذا أدى إلى ظهور منهج تفسير القرآن بالقرآن.

٢- الأمر باتباع الرسول في تفسير القرآن: لأنه المبين له وهذا كان سبب في نشوء تفسير القرآن بالروايات.

٣- معتقد المفسر: حيث لجأت كل فرقة لتصحيح معتقدها إلى القرآن؛ كما نرى في مسألة الجبر والتفويض ومسألة الشفاعة.

٤- الاعتماد على الآراء الشخصية: طبقاً للمصالح الشخصية وهذا كوّن ما يعرف بتفسير الرأي.

٥- نفوذ الأفكار غير الإسلامية: بسبب حركة الترجمة للكتب اليونانية وغيرها وهذا سبب في نمو العلوم التجريبية والعقلية.

٦- اختلاف المصادر والادوات: بعض المفسرين مال الى العقل واتجه إلى المنهج العقلي والبعض اتجه الى النقل واعتمد عليه.

٧- الاتجاهات العصرية للمفسر: الرغبة والحاجة تلجأ المفسر إلى اتخاذ طابع في تفسيره يناسب الاتجاه المعاصر في زمنه كمن يعيش في بلد تكون الحاجة ماسة للمسائل الأخلاقية والتربوية وقد يتجه المفسر إلى الاتجاه الاجتماعي لحل مشاكلها.

٨- تخصص المفسر: ميل المفسر الى تخصصه العلمي ورغبته في علم من العلوم يكون أثر ذلك العلم واضحاً في تفسيره، فقد يكتب أحد المفسّرين تفسيراً

أدبياً بسبب تخصصه في العلوم الأدبية، وربّما يكون تخصصه في الكلام فيترك تفسيراً كلاماً، وقد يكون المفسر مولعاً بالعلوم التجريبية فيكون تفسيرهُ ذا طابع تجريبي.

٩- أسلوب الكتابة: قد يرغب بعض المفسرين باختيار اسلوب خاص في كتابة تفسيره فتتعدد التفاسير تبعاً لذلك؛ فهنالك التفسير الترتيبي، والموضوعي، والمزجي، والمختصر، والمفصّل، والجامع،..، فجميع هذه الطرق تتعلق بأسلوب الكتابة وطبيعة ذوق المفسِّر[١].

يتضح مما سبق، إن **المنهج ليس هدفاً في نفسه**، ولكنه وسيلة لتحقيق الهدف والغرض المنوي الوصول إليه، ولذلك تتنوع المناهج طبقاً للأهداف والأغراض، ويختلف المنهج في المادة الواحدة، فهنالك منهج عام يأخذ به كل باحث، هو الخطوط العريضة للموضوع، وآخر خاص ينحو فيه الباحث لطريقة يراها أنها تحقق غرضه المنشود، مثلاً: المنهج العام في التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن ثم بسنة المعصوم ثم ... الخ، وما لا نص فيه يعمل المفسر رأيه واجتهاده، وهنا يبرز منهجه الخاص فإن كان منهجه التوسع في اللغة العربية والإعراب؛ توسع في هذا الجانب، ومثله في البلاغة، والاجتماع، والأحكام الفقهية، والعلمية، وهكذا.

من هنا كان الكلام على مناهج المفسرين ذا أهمية؛ لنعلم مناهجهم وطرائقهم، حتى إذا راجعنا تفسيراً لأحد المفسرين نعلم ما يتميز به ذلك التفسير، ونتعرف على منهج المؤلف حتى لا نضيع بين كثرة التفاسير.

[١] للتوسعة: ظ: محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، ص٢٢.

ثامناً:

علوم وآداب يحتاجها المفسر

إن كثيراً من الدارسين المحدثين قد أقحموا في دراساتهم كتباً، هي أبعد ما تكون عن التفاسير، وقاموا بدراسة مباحث رجال هم أبعد ما يكونون عن المفسرين، ونظراً لهذه الأهمية نذكر هنا شروط وآداب المفسر حتى تكون نبراساً في اختيار التفاسير التي يعول عليه الإنسان في استنباط مراد الله تعالى من القرآن الكريم.

لقيام أي بحث علمي لابد من توفر شروط نظرية نطلبها في الباحث الذي يريد خوض غمار الكشف عن الحقيقة وتجليتها. وهذه الشروط التي نشترطها فيه هي ذات بعدين[١]:

البُعد الذاتي:

ونعني به الأخلاق والقيم الروحية التي ينبغي أن تتوفر في الباحث، لتؤهله لتحمل أمانة الكشف عن الحقيقة وتجليتها لمن يجهلها من البشر. وقد عبر عنها بآداب العالم أو سمت العلماء.

البُعد المعرفي:

وهو يتمثل في جملة العلوم المساعدة والضرورية للكشف عن الحقيقة، والتي بدونها تذهب الجهود هدراً ودون جدوى، لأنها لم تتهيأ لها الأسباب الكفيلة بإيصالنا إلى كشف الحقيقة التي نطمح إلى تجليتها وبيانها. وقد اصطلح العلماء على تسمية هذا البُعد المعرفي بشروط العالم. وبالنسبة لمبحث تفسير القرآن الكريم فإن علماء الأمة قد وضعوا أيدينا على جملة آداب وشروط ينبغي توافرها في المفسر حتى يوفر لنفسه الأسباب الموصلة إلى الحقيقة.

---

[١] للتوسعة في الآداب والعلوم ظ: د. محمد حسين الذهبي، بحوث في علوم القرآن والفقه والدعوة، ص٤٠٩، د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص٣٥، د. محمد لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن، ص١٩٢، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص٣٤٠، د. محمد قاسم الشوم، علوم القرآن ومناهج المفسرين، ص٢٤٦.

أولاً: العلوم التي يحتاج إليها المفسر:

اشترط العلماء في المفسر الذي يُريد أن يُفسر القرآن الكريم أن يكون ملمّاً بجملة العلوم التي يستطيع بها أن يفسر القرآن تفسيراً عقلياً مقبولاً، وجعلوا هذه العلوم بمثابة أدوات تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ، وتحميه من القول على الله سبحانه بغير علم، وهذه العلوم هي[١]:

١- علم اللغة: لأن بها يعرف شرح المفردات ومدلولاتها بحسب السياق.

٢- علم النحو: لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب. فلا بد من اعتباره .

٣- علم الصرف: فيه تعرف الأبنية والصيغ.

٤- علم الإشتقاق: لأن الإسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما.

٥- علوم البلاغة: وهي علوم المعاني والبيان والبديع، لأن المفسر يعرف بالأول خواص تركيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام. وهذه العلوم هي أعظم الشروط التي ينبغي توفرها في المفسر، ذلك أنه مطالب بمراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم.

والملاحظ أن النصوص الأدبية الرفيعة لا تدرك إلا بالذوق وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة وغيرهما يكون من أهل الذوق، وممن يصلح لانتقاد تلكم النصوص. وإنما أهل الذوق هم الذين يشتغلون بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر، وصارت لهم بذلك دراية وملكة تامة فهؤلاء يمكن الاعتماد عليهم في انتقاد النصوص وتمييزها.

---

[١] للتوسعة ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٤٧٩/٢، د. جلال الدين العلوش، دراسات في التفسير وعلومه، ص٢٦، د. فهد عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص١٦٨، د. مساعد سليمان الطيار، فصول في أصول التفسير، ص٤٩، وغيرهم..

٦- علم القراءات: وبه نعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض[١].

٧- علم أصول الدين: بما في القرآن الكريم من الآيات الدالة بظاهرها على ما يجوز على الله تعالى، فالأصولي يؤول ذلك، ويستدل على ما يستحيل، وما يجب وما يجوز.

٨- علم أصول الفقه: فيه يعرف وجه الإستدلال على الأحكام والإستنباط.

٩- علم أسباب النزول: فمعرفة سبب النزول تُعين على فهم المراد من الآية.

١٠- علم القصص: لأن معرفة القصة تفصيلاً تعين على توضيح ما أجمل منها في القرآن.

١١- علم الناسخ والمنسوخ: وبه يعرف المحكم من غيره، ومن فقد هذه الناحية فربما أفتى بحكم منسوخ فيقع في الضلال والإضلال.

١٢- علم الفقه: حتى تفسر آيات الأحكام تفسيراً صحيحاً لا يحيد بها عن جادة الحق والصواب.

١٣- علم الحديث: ليستعين به على معرفة المجمل والمبهم، وغير ذلك مما جاءت السنة شارحة ومبينة له.

١٤- علم الموهبة: وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علِم. وإليه يشير الحديث النبوي: (من عمل بما علِم ورثه الله علم ما لم يعلم)[٢]. وهذا المعنى نلحظه في قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام بحق الإمام علي، إذ قال: (علّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام ألف باب، يفتح كل باب ألف باب)[٣].

---

[١] والقول بالقراءات أمر مختلف فيه بين المسلمين، فذهب جمع من علماء أهل السنة بتواترها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والمعروف عند الشيعة الإمامية أنها غير متواترة، بل القراءات بين ما هو اجتهاد من القارئ وبين ما هو منقول بخبر الواحد، واختار هذا القول جماعة من المحققين من علماء أهل السنة. للتوسعة ظ: مركز الثقافة والمعارف القرآنية، علوم القرآن عند المفسرين، ٢/٩٩.

[٢] الصدوق، التوحيد، ص٤١٦.

[٣] الصدوق، الخصال، ص٦٤٨.

أما بالنسبة **للمفسر المعاصر** فيتعين إضافة ثلاثة شروط أخرى، وهي:

١. الإلمام التام بعلوم العصر وذلك حتى يمكن أن يعطي للقرآن بعده الحضاري الصحيح فيتحقق مفهوم شمولية وعالمية الدين الإسلامي.
٢. المعرفة بالفكر الفلسفي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، السائد والمهيمن على الساحة، وذلك حتى يستطيع دحض كل الشبهات المحاكة حول الدين الإسلامي، وإبراز حقيقة القرآن الكريم وموقفه من كل قضايا العصر، وذلك مساهمة منه في نشر الوعي بحقيقة الإسلام وريادته الفكرية والحضارية.
٣. الوعي بمشكلات العصر وأزماته. والمعرفة بها ضرورية لإبراز موقف الإسلام منها وسبل تفاديها وكيفية معالجتها.

ثانياً: آداب المُفسِر:

وهي ما سميناه بالبُعد الذاتي، وهي آداب يجب ان يتحلى بها المفسر وتكون سجية راسخة في نفسه، فلا يكفي استحصال المعارف والمعلومات من غير نفس توظف هذه العلوم في سبيل الله تعالى، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (مَن تعلم العلم وعمل به وعلم لله دعي في ملكوت السماوات عظيماً، فقيل: تعلم لله وعمل لله وعلم لله)[١].

وللسيوطي قول في هذا المعنى: (اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو هو على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض. قلت:

[١] الكليني، الكافي، ٣٥/١.

وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[١]. قال سفيان بن عيينة: (يقول أنزع عنهم فهم القرآن)[٢].

ومما تقدم نستخلص جملة آداب يتعين على المفسر التحلي بها وهي:

١. صحة الاعتقاد.
٢. التجرد عن الهوى.
٣. حسن النية.
٤. حسن الخُلق.
٥. التواضع ولين الجانب.
٦. عزة النفس.
٧. الزهد في متاع الدنيا، حتى يكون عمله خالصاً لله تعالى.
٨. إعلان التوبة والامتثال لأمور الشرع، والانتهاء عن نواهيه.
٩. عدم الاعتماد في التفسير على أهل البدع والضلالة.
١٠. يتعين عليه أن لا يستكين إلى معقوله، وأن يجعل من كتاب الله أميراً يقتدي به.

---

[١] سورة الاعراف، الآية ١٤٦.
[٢] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٤٧٩/٢.

الفصل الثاني

منهج التفسير بالمأثور

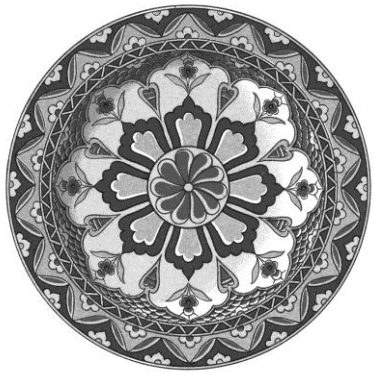

منهج التفسير بالمأثور

أولاً: تعريفه: هو بيان معنى الآية بما ورد في الكتاب العزيز وسُنة المعصوم أو أقوال الصحابة والتابعين[١].

فهو التفسير الذي يعتمد على صحيح المنقول، ولا يجتهد في بيان معنى من غير دليل، ويتوقف عما لا طائل تحته، ولا فائدة في معرفته.

مسمياته: في استعمالات أهل التفسير لكل من مصطلحات (التفسير الأثري، أو المأثور، أو النقلي، أو تفسير الرواية) أنها ذات مدلول واحد في الأغلب.

ثانياً: نشأته: من المعلوم أن نشأة هذا التفسير من أسمه من خلال الرواية عن المعصوم عليه السلام، فمر بمرحلة اقتصرت على التلقي والمشافهة، إذ كان التفسير يتناقل عن طريق الرواية، فالصحابة يروون عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الذي بيّن لهم ما أشكل عليهم من معاني القرآن، فقد روى الصحابة ما سمعوه منه صلى الله عليه وآله وسلم وزادوا عليه ما علموه من خلال ما توافر لهم من شروط حددوها ولقد سار على منوالهم التابعون الذين تتلمذوا عليهم من دون إعمال الاجتهاد في آية من الآيات أو كلمة من الكلمات.

وكانت الروايات التفسيرية مبثوثة في المصادر الحديثية ضمن علم الحديث، فلما استهلّ القرن الثاني للهجرة ودخلت العلوم الإسلامية في دور التَّدوين، انبرى العلماء من المدرستين الى جمع تلك الأخبار في كتاب، ومنها التفسير المنسوب الى الإمام محمد الباقر (ت:١١٤هـ)[٢]، وكتاب عبد الملك بن جريح (ت:١٤٩هـ) فكانا أوّل من ألَّف في التفسير.

ثالثاً: مكانته: هو أفضل أنواع المناهج التفسيرية وأعلاها، لأن التفسير بالمأثور إما أن يكون تفسيراً للقرآن بكلام الله تعالى، فهو أعلم بمراده، وإما أن يكون تفسيراً

---

[١] ظ: د. محمد بن عمر بن سالم بازمول، التفسير بالمأثور مفهومه وأنواعه وقواعده، ص٢١.

[٢] ظ: ابن النديم، الفهرست، ص٣٦. وهناك كتاب منسوب الى الإمام علي ع والذي ورد على شكل رواية في بداية تفسير النعماني. ظ: حسن الصدر، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ص٣١٨.

للقرآن بكلام المعصوم (النبي ﷺ والإمام عليه السلام)، فهو المُبيِّنُ لكلام الله تعالى، وإما أن يكون بأقوال الصحابة، فهم الذين شاهدوا التنزيل، وهم أهل اللسان، وتميزوا عن غيرهم بما شاهدوه من القرائن والأحوال حين النزول.

كما ان تفسير القرآن من دون مراجعة أحاديث النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام، التي تعتبر قرائن نقلية في التفسير، يُعّد من التفسير في الرأي، كما صرح بذلك بعض العلماء[١].

إذن ينبغي أن يُعلم أن هذا التفسير مشروط بصحة السند عن المعصوم (النبي ﷺ والإمام عليه السلام)، أو عن الصحابة.

رابعاً: أنواع التفسير بالمأثور:

وللتفسير بالمأثور في مناهج المفسرين أنواع ناظرة الى المصدر الذي تأخذ عنه فهم النص القرآني، وهي على النحو الآتي:

النوع الأول: منهج تفسير القرآن بالقرآن[٢]: وهذا النوع أصدق تفسير للقرآن الكريم، لأن الله تعالى أعلم بمراد نفسه من غيره، فعلى من يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولاً، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليفسِّر القرآن بالقرآن، فهذه (خطوةٌ أساسيةٌ للتفسير، وهي تفسير القرآن

---

[١] ظ: الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٦٩.

[٢] يرى جملة من العلماء ان تفسير القرآن بالقرآن ليس من أنواع التفسير بالمأثور لأن المفسر في هذه الخطوة يفسر كلام الله بكلام الله، وليس بكلام البشر من صحابة وتابعين، أي هو لا يعتمدُ على البحث والنقل، ولا يتحرَّى صحة ما ينقل، لأن القرآن محفوظٌ ثابت، لا يحتاج الى تخريج وتصحيح...). د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص١٤٨، وكذلك نلحظ هذا الرأي عند د. محمد حسين الصغير إذ أفرد منهج تفسير القرآن بالقرآن في مقدمة المناهج التفسيرية تلاها ثانيا بالمنهج الأثري، ظ: المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص٩٢، وكذلك يرى الشيخ جعفر السبحاني، ظ: المناهج التفسيرية، ص١٣٩، ويرى مؤلف هذه الاسطر ان منهج تفسير القرآن بالقرآن هو من ضمن منهج التفسير بالمأثور ودليله في ذلك ان الإشارة الى فهم النص القرآني بدلالة النص القرآني تكون عن طريق اما المعصوم عليه السلام او الصحابي او التابعي وبهذا يكون هذا المنهج خاضع لكل ضوابط وشروط المنهج الأثري، إذا ما لحظنا سلفاً ان القرآن لا يفهمه إلا من خوطب به، وبهذا لا يمكن فسح المجال للقول بتفسير القرآن بالقرآن لغير أهل الفن! وعند فتح هكذا باب في التفسير **فنقول مطمئنين**: أن تفسير القرآن بالقرآن لا يعدو أن يكون فهم مفسِّر لآية مستدلاً عليه بآية أخرى، فهو **اجتهاد ورأي من المفسِّر**.

بالقرآن، وهي أهمُّ خطوات التفسير وأولها، وعليها تُبنى خطوات التفسير ومراحله)[١]، فهي مرحلة لا يجوز لأحد من المفسرين مهما كان أن يعرض عنها. ويشير الإمام علي عليه السلام الى هذا المعنى بقوله: (كِتَابُ الله تُبْصِرُونَ بِه، وتَنْطِقُونَ بِه، وتَسْمَعُونَ بِه، ويَنْطِقُ بَعْضُه بِبَعْضٍ، ويَشْهَدُ بَعْضُه عَلَى بَعْضٍ، ولَا يَخْتَلِفُ فِي الله، ولَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِه عَنِ الله)[٢].

وبهذا فتعريف منهج تفسير القرآن بالقرآن هو:(مقابلة الآية بالآية وجعلها شاهداً لبعضها على الآخر ليستدل على هذه بهذه لمعرفة مراد الله تعالى من القرآن)[٣].

وهو بهذا يكون منهج تفسير القرآن بالقرآن من أفضل المناهج والأساليب التفسيرية النافعة، فإذا كان القرآن موضحاً لكل شئ، فهو موضّح لنفسه أيضاً والقرآن يصدّق بعضه بعضاً، وقد اعتمد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام وبعض الصحابة والتابعين هذه المنهجية التفسيرية، وهذا الأسلوب في تفسير القرآن، وكذلك استعان بهذا المنهج كثير من العلماء القدماء والمعاصرين، يقول السيد الخوئي: (وسيجد القارئ أيضاً أني كثيراً ما أستعين بالآية على فهم أختها، واسترشد القرآن إلى إدراك معاني القرآن، ثم أجعل الأثر المروي مرشداً إلى هذه الاستفادة)[٤].

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أنه اشتمل على الأساليب البلاغية الراقية ومنها:

١- الإيجاز والإطناب، فما أوجز في مكان قد يبسط الكلام فيه في مكان آخر.

٢- والإجمال والتبيين، فما ذكر مجملاً في موضع قد يقع تبيينه في موضع آخر.

٣- الإطلاق والتقييد، فما ورد مطلقاً في بعض الآيات قد يلحقه التقييد في بعض جوانبه في آيات أخرى.

---

[١] د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص١٥٠.
[٢] نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١٧/٢.
[٣] محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص٤٢.
[٤] البيان في تفسير القرآن، ص٢٠.

٤- العموم والخصوص، فقد يرد المعنى في الآية عاماً ثم يدخله التخصيص في آية أخرى.

٥- جاءت بعض الآيات لتبيّن بعض الأحكام ثم أُنزلت آيات أُخرى (على أساس المصلحة والشرائط الجديدة)ونسخت الآيات السابقة وشرّعت أحكاماً جديدة[١].

وهناك قاعدتين في الطريقة المثلى لتفسير القرآن بالقرآن؛ هما[٢]:

القاعدة الأولى: أن يهتدي الدارس بمألوف استعمال القرآن للألفاظ والأساليب: ولا يتمُّ ذلك إلا بتعاهد نصوصه المكية والمدنية، والوقوف – مهما أمكن – على المعاني التي تدور عليها اللفظة الواحدةُ في استعمالاتها المختلفة، فعلى المحقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملةً في عصر نزوله.. والأحسنُ أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه، بأن يجمع ما تكرّرَ في مواضع منه، وينظر فيه، فربما استُعملَ بمعانٍ مختلفةٍ، ويتحقق كيف يتفقُ معناه مع جملته من الآية، فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه.

القاعدة الثانية: معرفة حقيقة معنى اللفظ من خلال الآية التي ورد فيها، إذ ان القرآن يفسر بعضُه بعضاً، وإنَّ أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ:

١. موافقته لما سبق من القول.
٢. اتفاقه مع جملة المعنى.
٣. ائتلافه مع القصدِ الذي جاء له الكتاب بجملته.

وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

١- سُئل الرسول ﷺ عن معنى (الظلم) في الآية الكريمة: **[الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ]**[١] فأجاب ﷺ وبالاستناد الى الآية: **[إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ]**[٢] بأن المقصود بالظلم في الآية الأولى هو الشرك المذكور في الآية الثانية[٣].

---

[١] ثمّة اختلاف بين المتخصصين في علوم القرآن في عدد الآيات المنسوخة بين آية الى ثلاثمائة آية، ظ: السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٣٠٤.
[٢] ظ: د. عدنان محمد زرزور، مدخل الى تفسير القرآن وعلومه، ص٢٢٥- ٢٢٦.

يتبيّن من خلال هذا الحديث والأحاديث المشابهة أن الرسول ﷺ استعمل هذا المنهج في التفسير، فإنه ﷺ قام بتعليم أتباعه عمليّاً على استعماله.

٢- استنتج الإمام علي عليه السلام من خلال الآيتين: **[وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ]**[٤]، **[وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا]**[٥]، بأن أقلّ مدّة للحمل هي ستّة أشهر، باعتبار أنّ مدّة الرضاع سنتين كما تشير الآية الأولى، ومدّة الحمل والرضاع معاً ثلاثون شهراً[٦]، كما تشير الآية الثانية، والجمع بينهما يقتضي كون أقلّ الحمل ستّة أشهر، وهذا نوع من تفسير القرآن بالقرآن.

٣- وعن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿**شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**﴾[٧]، قال عليه السلام لرجل سأله: (أما الشاهد فمحمد ﷺ وأما المشهود فيوم القيامة)، واستدل الإمام بذلك من القرآن الكريم، إذ قال عليه السلام: أما سمعته سبحانه يقول: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾[٨]، وقال تعالى: ﴿**ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ**﴾[٩][١٠].

---

[١] سورة الأنعام، الآية ٨٢.
[٢] سورة لقمان، الآية ١٣.
[٣] ظ: أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٣٧٨/١.
[٤] سورة لقمان، الآية: ١٤.
[٥] سورة الأحقاف، الآية: ١٥.
[٦] ظ: المجلسي، بحار الانوار، ١٨٠/٤٠، وبهذا الدليل دفع الإمام عليه السلام الرجم عن تلك المرأة التي حكم عليها الخليفة الثاني بالرجم وهي حامل وقد وضعت لستّة أشهر.
[٧] سورة البروج، الآية: ٣.
[٨] سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.
[٩] سورة هود، الآية: ١٠٣.
[١٠] وفي تفسيرها قال ابن عباس: (أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم عرفة)، اما ابن عمر فقال فيها: (أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم النحر)، ظ: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٨٢/٣٠، ابن أبي حاتم الرازي (ت:٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم، ٢٦٢/٨، الثعلبي، تفسير الثعلبي، ١٦٥/١٠.

٤- وردت ثلاث تعبيرات في شأن ليلة القدر في القرآن الكريم، ففي قوله تعالى: [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ][١] أبهم زمان تعيين هذه الليلة، ولكن الابهام قد رفع بقوله تعالى: [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ][٢] فالمباركة في الزمان هي ليلة القدر في هذه السورة لأن الانزال واحد[٣]، وفسر موضع هذه الليلة في أي شهر من شهور السنة في قوله تعالى: [شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ][٤]. ومثل هذا التفسير الكامل لا يحصل بقراءة الآيات بصورة منفصلة، بل لابد من ضمّ بعض الآيات الى بعضها الآخر.

٥- معلوم ان آيات القرآن الكريم تنقسم على متشابهات ومحكمات، والآيات المحكمة تُعد الأساس والمرجع للآيات القرآنية ولابد من ارجاع الآيات المتشابهة إليها لكي يتضح معناها أو يتعين احد احتمالاتها مثلاً توجد بعض الآيات ظاهرها التجسيم كقوله تعالى: [يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ][٥] فلابد من ارجاعها الى الآيات المحكمة مثل آية: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ][٦] حيث يتضح معناها في ضوء هذه الآيات فعندما نقارن الآيات المذكورة مع الآيات المحكمة سوف يتبين ان المقصود باليد هنا ليس اليد الجسمانية بل شيء آخر كالقدرة مثلاً وعلى هذا يمكن تفسير قوله تعالى: [يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ] بمعنى قدرة الله.

٦- على المفسر حين يشرع في تفسير الآية أن يأخذ بنظر الاعتبار الآيات الناسخة والمنسوخة، وإلا فسوف يكون تفسيره تفسيراً ناقصاً.

فقد ورد الحكم على المؤمنين أن يتصدقوا في حالة وجود كلام خصوصي لهم مع النبي ﷺ، ولم يعمل بهذا الحكم إلا الإمام علي عليه السلام، وقد نسخ هذا الحكم في الآيات

---

[١] سورة الدخان، الآية: ٣.
[٢] سورة القدر، الآية: ١.
[٣] ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١٨٨/١.
[٤] سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
[٥] سورة الشورى، الآية: ١١.
[٦] سورة الفتح، الآية: ١٠.

الأُخرى، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ..][١]، وعلى هذا فبيان الحكم الأول من دون ذكر الناسخ في الآية الأُخرى يكون تفسيراً ناقصاً. ورغم أن هذا العمل يبدو سهلاً وبسيطاً ولكنه لا يطّرد في جميع آيات النسخ.

٧- كما ان تفسير القرآن بالقرآن لا يشمل فقط تفسير آيات بأخرى مماثلة وإنما يشمل تفسير إشكال معين والبحث في القرآن عن ايجاد جواب له، ومثالنا هنا في قوله تعالى: [وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ][٢].

أسند الواحدي (ت:٤٦٨هـ) الى بعض المفسرين أن يوسف عليه السلام هم بتلك المرأة هماً صحيحاً، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة، فلما رأى برهان ربه زالت كل شهوة عنه[٣].

ورد المحققون من أهل التفسير هذه المقالة ومنهم المفسر الرازي (ت:٦٠٤هـ) إذ لجأ الى القرآن نفسه في ردها، وحل الاشكال الذي ينتج عنها بالنسبة الى عصمة الانبياء فنلحظه يشخّص الذين لهم تعلق بهذه الواقعة من نفس السورة، وهم[٤]: نبي الله يوسف وتلك المرأة وزوجها والنسوة والشهود ورب العالمين شهد ببراءته عن الذنب وابليس أقر ببراءته أيضاً عن المعصية، وإذا كان الأمر كذلك، فحينئذ لم يبق للمسلم توقف في هذا الباب، أما بيان أن يوسف عليه السلام ادعى البراءة عن الذنب فهو قوله عليه السلام: [هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي][٥]، وقوله عليه السلام: [رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي][١]، وأما

---

[١] سورة المجادلة، الآية: ١٢ – ١٣.
[٢] سورة يوسف، الآية: ٢٤.
[٣] ظ: التفسير البسيط، ٧٢/١٢.
[٤] ظ: الرازي، مفاتيح الغيب، ٩٣/١٨.
[٥] سورة يوسف، الآية: ٢٦.

بيان أن المرأة اعترفت بذلك فلأنها قالت للنسوة: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾[٢]، وأيضاً قالت: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٣]، وأما بيان أن زوج المرأة أقر بذلك، فهو قوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ، يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[٤]، وأما الشهود فقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٥]، وأما شهادة الله تعالى بذلك فقوله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[٦]، فقد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارته أربع مرات: **أولها** قوله: (لنصرف عنه السوء) واللام للتأكيد والمبالغة، **والثاني:** قوله: (والفحشاء) أي كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء.. **والثالث:** قوله (انه من عبادنا) مع أنه تعالى قال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٧]، **والرابع:** قوله: (المخلصين) وفيه قراءتان: تارة باسم الفاعل وأخرى باسم المفعول فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتيا بالطاعات والقربات مع صفة الاخلاص، ووروده باسم المفعول يدل على ان الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته، وعلى كل الوجهين فانه من أدل الالفاظ على كونه منزهاً عما أضافوه إليه، وأما بيان أن ابليس أقر بطهارته، فلأنه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٨]، فاقر بأنه لا يمكنه اغواء المخلصين ونبي الله يوسف من

---

[١] سورة يوسف، الآية: ٣٣.
[٢] سورة يوسف، الآية: ٣٢.
[٣] سورة يوسف، الآية: ٥١.
[٤] سورة يوسف، الآية: ٢٨ – ٢٩ .
[٥] سورة يوسف، الآية: ٢٦ .
[٦] سورة يوسف، الآية: ٢٤ .
[٧] سورة الفرقان، الآية: ٦٣ .
[٨] سورة ص، الآية: ٨٢ – ٨٣ .

المخلصين لقوله تعالى: (انه من عبادنا المخلصين) فكان هذا اقراراً من ابليس بأنه ما اغواه وما أضله عن طريقة الهدى[١].

فعلى المفسر بمنهج تفسير القرآن بالقرآن إذا رام تفسير آية في موضوع معين (فعليه أن يجمع الآيات التي تشترك معها في الموضوع ليصل الى تكوين الرأي الصحيح)[٢]، لأن المنهج القرآني هو المنهج الأم ولا ريب في أهميته وقيمته المعرفية وأولويته بين سائر المناهج التفسيرية، كما أنه لا كلام في نجاعة المنهج بمعنى ملاءمته عملية التفسير ودقته ومصداقيته، ومع هذا فإن منهج تفسير القرآن بالقرآن لا يمكنه استعمال كل آية في تفسير آية أخرى، فهو لا يغطي كل المساحة التفسيرية للقرآن الكريم ويبقى الجزء الأكبر من القرآن خارج دائرة تغطية المنهج.

أهم المؤلفات في منهج تفسير القرآن بالقرآن:

اسلفنا القول ان منهج تفسير القرآن بالقرآن مما لا غنى لأي مفسر عنه، وهو في طليعة أي منهج يروم التخصص فيه، ولكن بعضهم يكون الغالب في منهجه التفسيري هو منهج تفسير القرآن بالقرآن وسمته البارزه، وفيهم من استقل بهذا المنهج ولكنهم من الندرة بمكان. وعلى سبيل المثال:

١. عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ألفه عام ١٣٨٦هـ).
٢. محمد حسين الطباطبائي(ت:١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن.
٣. الدكتور محمد الصادقي الطهراني(معاصر)، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن.
٤. الشيخ محمد جواد البلاغي (ت:١٣٥٢هـ)، آلاء الرحمن في تفسير القرآن.
٥. محمد أمين الشنقيطي(ت:١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

---

[١] ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢/٧١.
[٢] د. محسن عبد الحميد، دراسات في اصول تفسير القرآن، ص٩٦ .

النوع الثاني: منهج تفسير القرآن بالسنة الشريفة:

والمقصود منه هو التفسير الروائي أو النقلي، والذي يعتمد على المروي من سنة المعصوم عليه السلام (القولية والفعلية والتقريرية)، فيستفاد المفسِّر في منهجه الروائي من سُنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام لتوضيح معاني آيات القرآن ومقاصدها، وهذا المنهج يحقق نتائج وآثاراً خاصة أيضاً.

أولاً: تفسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن الكريم:

نشأة وحجية التفسير الروائي: وأما نشأة وحجية التفسير بسنة المعصوم عليه السلام فإنها كانت مُقارنةً للوحي، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أول مُفسِّر ومبيِّن للقرآن، وقد جاء الأمر الإلهي بهذا الخصوص في قوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾[١]، والمعنى ذاته نلحظه في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾[٢]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[٣]، فوظيفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي إيضاح آيات القرآن الكريم، فلا يمكن بحال من الاحوال الاستغناء عن المنهج الروائي في تفسير القرآن الكريم كما نبّه على ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ قال: (الا اني أوتيت الكتاب ومثله معه، الا اني أوتيت القرآن ومثله معه، الا يوشك رجل ينثني شبعاناً على أريكته، يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم من حلال فأحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه..)[٤].

فتصدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتفصيل ما أُجمل في القرآن، وبيان ما أُبهم منه إمّا بياناً في أحاديثه الشريفة وسيرته الكريمة، أو تفصيلاً جاء في جُلّ تشريعاته من فرائض وسنن وأحكام وآداب، كانت سنته صلى الله عليه وآله وسلم قولاً وعملاً وتقريراً، كان كلها بياناً وتفسيراً لمجملات

---

[١] سورة النحل، الآية: ٤٤.
[٢] سورة ابراهيم، الآية: ٤.
[٣] سورة البقرة، الآية: ١٢٩.
[٤] احمد بن حنبل، مسند احمد، ١٣١/٤.

الكتاب العزيز وحلّ مبهماته في التشريع والتسنين، فالسنة كلها بيان وتفسير للقرآن الكريم، قال الإمام الشافعي: (وسنة رسول الله مبينة عن الله معنى ما أراد دليلاً على خاصه وعامه، ثم قرن الحكمة بها بكتابه فاتبعها اياه،..)[١].

وهنا يبرز لنا سؤال: هل فسر النبي ﷺ القرآن كلّه؟!

انقسم العلماء في الإجابة على هذا السؤال الى فِرق:

الفريق الأول: يرى ان النبي ﷺ قد بيّن لأصحابه معاني القرآن كلّه إفراداً وتركيباً، مستدلين بقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٢]، فإنّه يشمل الألفاظ والمعاني جميعاً[٣].

الفريق الثاني: يرون ان النبي ﷺ لم يبيّن سوى البعض القليل، وسكت عن البعض الآخر، ثمّ فرض لهم دلائل، مستدلين ما اخرجه البزار عن عائشة إذ قالت: (ما كان رسول الله ﷺ يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد، علمه أياهن جبريل)[٤]، ويؤيد هذا المعنى السيوطي (ت٩١١هـ) بقوله: (الذي صحَّ من ذلك قليل جداً؛ بل أصل المرفوع منه في غاية القلة)[٥].

الفريق الثالث: فقد جاء برأي محاول فيه الوسطية بين الإفراط والتفريط، وهو ان النبي ﷺ بيّن الكثير من آيات القرآن دون الجميع، وترك ما استأثر الله بعلمه، كقيام

---

[١] الرسالة، ص٧٩.
[٢] سورة النحل، الآية: ٤٤.
[٣] ظ: ابن تيمية، مقدّمة في أصول التفسير، ص٥.
[٤] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٩/١، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣١/١.
[٥] الإتقان في علوم القرآن، ٤٧٣/٢.

الساعة، وحقيقة الروح، وما يعلمه العلماء، وتعرفه العرب بلغاتها، مما لا يُعذر أحد في جهالته[١].

ويمكن ان ندعم هذا الرأي بالقول: ان تفسير النبي ﷺ للقرآن الكريم لم يقتصر على السنة القولية وحسب، بل التقريرية والفعلية كان لها الدور الأكبر في بيان آيات القرآن، وبهذا لا يمكن ان (يعتقد من لا علم له بالسنة النبوية، ان تفسير الرسول ﷺ للقرآن أقل من القليل، ظناً منه أن الموضوع ينحصر في الاحاديث القولية المفسرة المباشرة وهي قليلة)[٢].

ولكن مع هذا يبقى التفسير الوارد عن النبي ﷺ لا يفي بالحاجة الفعلية لفهم آيات القرآن الكريم وبيانها، لا سيما في مدرسة الصحابة، ولا يمكن القول ان النبي ﷺ لم يؤدي وظيفته التبليغية في تفسير القرآن الكريم!

وأما القول بما لم يبينه النبي ﷺ من القرآن: هو ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وحقيقة الروح، وما يجري مجرى ذلك من الغيوب التي لم يطّلع الله عليها نبيّه.. فشئ غريب! إذ لم نجد في معاني القرآن ما استأثر الله بعلمه، ولو كان لكان الأجدر عدم إنزاله، والكفّ عن جعله في متناول الناس عامة، وقد تعرّض المفسرون لتفسير آي القرآن جميعاً حتى الحروف المقطعة، فكيف يا ترى خفِيَ عليهم أن لا يتعرّضوا لما لا يريد الله بيانه للناس؟!

إذن فالصحيح من الرأي هو: ان النبي ﷺ قد بيّن لأمته – ولأصحابه بالخصوص – جميع معاني القرآن الكريم، وشرح لهم جُلّ مراميه ومقاصده الكريمة، إما بياناً بالنص، أو ببيان تفاصيل أصول الشريعة وفروعها، ولا سيّما إذا ضممنا إليه

---

[١] د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ٥٣/١، ظ: د. محمد بن عمر بن سالم بازمول التفسير بالمأثور مفهومه وأنواعه وقواعده، ص٣٣.
[٢] د. محسن عبد الحميد، تطور تفسير القرآن، ص١٦، ظ: علوم القرآن والتفسير، ص٨١.

ما أودعه النبي ﷺ عند العترة الطاهرة وما ورد منهم في بيان تفاصيل الشريعة ومعاني القرآن[١].

ويدعم هذا الرأي (الفريق الرابع) في كون المروي عن النبي ﷺ في تفسير القرآن شامل لجميع القرآن- إذا ما اضفنا المروي عن العترة الطاهرة عليهم السلام- مايراه السيد محمد باقر الصدر، إذ يرى أن النبي ﷺ قد فسَّر القرآن على مستويين[٢]:

١. تفسير عام وهو ما اختص به الصحابة حينما يسألونه عن معنى مفردة ما أو دلالة آية لا يعرفون مضمونها تفصيلاً، فيقتصر على قدر الحاجة الفعلية.

٢. تفسير خاص للعترة الطاهرة عليهم السلام شامل للتفصيلات، تلقوها عن النبي ﷺ في مجالات التفسير والفقه وغيرها، وهذا الحل المنطقي وضعه النبي ﷺ لمبدأ مرجعية أهل البيت عليهم السلام في مختلف الجوانب الفكرية للرسالة، وقد صرح الإمام علي عليه السلام بهذه الخصوصية في اختصاصه بالتفسير الشامل من لدن النبي ﷺ في قوله: (فما نزلت على رسول الله ﷺ آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله لي أن يؤتيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاه علي وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام [ولا] أمر ولا نهي كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحد قبله في أمر بطاعة أو نهي عن معصية إلا علمنيه وحفظته فلم أنس حرفاً واحداً)[٣].

الأثر التشريعي لسُنة المعصوم ﷺ في القرآن الكريم:

على ان معظم بيان رسول الله ﷺ يكون في أمور الأحكام ومسائل الحلال والحرام، إذ السُنة في هذا الجانب تقوم بدور تشريعي كبير يمكن اجماله في:

---

[١] ظ: محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ١٦٢/١.
[٢] ظ: موسوعة الإمام الشهيد محمد باقر الصدر، بحوث في علوم القرآن، ٣٢٣/١٩.
[٣] الصدوق، الخصال، ص٢٥٧.

– بيان المجمل، وذلك بتحديد أوقات الصلاة وعدد ركعاتها وما يقرأ فيها، وتعيين مقادير الزكاة ومناسك الحج وغيرها من العبادات والاحكام وهذا من البيان الثابت، فهذا المجمل يجب طلب تفاصيله من السنة.

– عمومات ذوات تخصيص، جاء العامّ في القرآن وكانت موارد تخصيصه في السنّة، مثاله في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾[1]. فقد كان الميراث بعد إخراج ما أوصى به الميّت وكذا دينه، فالدَين مطلق، أمّا الوصية فقيّدت بما إذا لم تتجاوز ثلث التركة بعد وضع الدَين، فهذا التقييد تعرّضت له السنة، وكان قد أُبهم في القرآن إبهاماً.

– إذا ورد عنوان خاص في القرآن، وكان متعلقاً لتكليف، أو قيداً في عبادة مثلاً، ولكنه كان مصطلحاً شرعيّاً من غير أن يكون مفهومه العامّ مراداً، فهذا مما يجب تبيينه من السنّة، كما في الصلاة والزكاة والحج و..، إنها مصطلحات شرعية خاصة، فالحج ليس مطلق القصد، والجهاد ليس مطلق الاجتهاد والسعي، وهكذا..

– موضوعات تكليفيّة تعرض لها القرآن من غير استيعاب ولا شمول؛ إذ لم يكن الاستقصاء مقصوداً بالكلام، وإنما بيان أصل التشريع، والاستقصاء والشمول فالسنة الشريفة موردها، ففيها البيان والكمال، كما لم تأت في القرآن شريعة "رجم المحصن" وإنما فصلته السنة مطلق حكم الزاني الوارد في القرآن.

– بيان الناسخ والمنسوخ في أحكام القرآن؛ إذ في القرآن أحكام أوّلية منسوخة، وأحكام أُخرى هي منسوخة، فلتمييز الناسخ من المنسوخ لا بد من مراجعة السنة، أما القرآن ذاته فلا تمييز فيه بين ناسخه ومنسوخه، ولا سيما والترتيب الراهن بين الآيات والسور قد تغير عمّا كان عليه النزول في البعض على الأقلّ، إذن لم يبق لمعرفة وجه التمايز بين الحكم المنسوخ والحكم الناسخ إلا مراجعة نصوص الشرعية.

---

[1] سورة النساء، الآية: ١١.

نماذج من تفسير النّبي ﷺ للقرآن الكريم:

تفسيره ﷺ لقوله تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**﴾[١]، قال عدي بن حاتم: (أخذت خيطين من شعر اسود وأبيض فكنت أنظر فيهما فلا يتبين لي فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فضحك وقال يا ابن حاتم إنما ذاك بياض النهار من سواد الليل)[٢].

سئل النبي ﷺ عن "**السَّائِحينَ**" في قوله تعالى: ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ**﴾[٣]، فقال ﷺ: (هم الصائمون)[٤]، فلا غموض في معنى السياحة، ولكن أيّ مصاديق السياحة مقصودة هنا؟ ولعل هنا استعارة جاءت لأمر معنويّ، فقيل للصائم: سائح لان الذي يسيح في الأرض متعبداً يسيح ولا زاد معه ولا ماء فحين يجد يطعم، والصائم يمضى نهاره ولا يأكل ولا يشرب شيئاً فشبه به. ففي الحديث النبوي: (سياحة هذه الأمة الصيام)[٥] توضيح لهذا المعنى.

وسئل عن الاستطاعة في قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾[٦]، قال ﷺ: (الزاد والراحلة)[٧]، فمفهوم الاستطاعة في الآية الكريمة عام فأي شكل من اشكال الاستطاعة عنته الآية في وجوب الحج الواجب! فبيّن ﷺ أنه القدرة على الزاد والراحلة،من هنا فهم الفقهاء ان الاستطاعة هي الاستطاعة المالية.

وفي بيان معنى "محسورا" في قوله تعالى: ﴿**فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا**﴾[٨]، قال ﷺ: الاحسار هو: (الإقتار)[١].

---

[١] سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
[٢] احمد بن حنبل، مسند احمد، ٣٧٧/٤، ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٢٣/٢.
[٣] سورة التوبة، الآية: ١١٢.
[٤] ظ: الحاكم، المستدرك، ٣٣٥/٢.
[٥] الكليني، الكافي، ١٥/٥.
[٦] سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
[٧] ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ٩٦٧/٢.
[٨] سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

ثانياً: تفسير أهل البيت عليهم السلام للقرآن الكريم:

استمرت طريقة التفسير الروائي الى عصر الأئمة عليهم السلام، وكان الإمام علي عليه السلام – تلميذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في التفسير – يسمع ما يقوله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تبيين آيات القرآن ويقوم بنقله وروايته، وقد اتّبع أهل البيت عليهم السلام هذا المنهج أيضاً، فكانوا ينقلون الأحاديث للناس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام، ويستدّلون بها، وقد وصل عدد الروايات المروية عنهم عليهم السلام الى بضعة آلاف[٢].

وللنبوغ الفكري للعترة الطاهرة وملازمتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وحرصهم على فهم القرآن الكريم جعل منهم مائزاً على غيرهم، قال الإمام علي عليه السلام: (وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يسأله ويستفهمه حتى أن كانوا ليحبون أن يجئ الأعرابي والطارئ فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا. وكان لا يمر بي من ذلك شئ إلا سألت عنه وحفظته..)[٣]. وهذا القول فيه تصريح ان غير أهل البيت عليهم السلام لم يستجمع عندهم شرائط الاستنباط ولم يستحكم عندهم أصول التفسير في مرتبة العلوم الخاصة

وهذا عبد الله بن عباس من أكثر الصحابة رواية في التفسير ومن المعروفين في سلوك هذا المنهج بعد عهد الرسالة يقول: (ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب عليه السلام)[٤].

وقد تصدّى أهل البيت عليهم السلام لتفسير القرآن لاطلاعهم على العلوم الإلهية، ولذا اعتُبرت سنتهم (قولهم وفعلهم وتقريرهم) من مصادر التفسير، وجزءاً من التفسير الروائي؛ لما احاطوا به من علم وفهم قرآني، يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (والله

---

[١] العياشي، تفسير العياشي، ٢٩٨/٢. للتوسعة في هذه الأمثلة ظ: محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون، ١٦٩/١.
[٢] ظ: محمد علي الرضائي، مناهج التفسير واتجاهاته، ص٩٨.
[٣] نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١٩١/٢٠.
[٤] الزرقاني، مناهل العرفان، ٤٦٨/١، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٥/١.

إني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه في كفي فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن)[١].

وفي هذا المعنى ذاته، سأل رجل الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فقال: (إنك لتفسِّر من كتاب الله ما لم يُسمع، فقال عليه السلام: علينا نزل قبل الناس ولنا فُسِّر قبل أن يُفسّرُ في الناس، فنحن نعلم حلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه..)[٢].

حجية سنة أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن:

هناك أدلة كثيرة على حجية سنة العترة الطاهرة في تفسير القرآن الكريم، نقتصرها هنا بدليلين:

الدليل الأول: من الكتاب العزيز: نقتصر على آية التطهير في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[٣].

وتقريب الاستدلال بها على عصمة أهل البيت عليهم السلام ما ورد فيها من حصر إرادة إذهاب الرجس أي الذنوب عنهم بكلمة (إنما)، وهي من أقوى أدوات الحصر واستحالة تخلف المراد عن الإرادة بالنسبة له تعالى من البديهيات لمن آمن بالله عز وجل، وقرأ في كتابه العزيز: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[٤]، وتخريجها على أساس فلسفي من البديهيات أيضاً لمن يدرك أن إرادته هي العلة التامة أو آخر أجزائها بالنسبة لجميع مخلوقاته، واستحالة تخلف المعلول عن العلة من القضايا الأولية، ولا أقل من كونها من القضايا المسلمة لدى الطرفين كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وليس معنى العصمة إلا استحالة صدور الذنب عن صاحبها عادة.

---

[١] الكليني، الكافي، ٢٢٩/١.
[٢] الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٤٦/١٨.
[٣] سورة الاحزاب، الآية: ٣٣.
[٤] سورة يس، الآية: ٨٢.

الدليل الثاني: ومن سنة رسول الله ﷺ نقتصر على حديث الثقلين، قال النبي ﷺ: (إني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم)[١].

وقد استفيد من هذا الحديث عدة أمور نعرضها بإيجاز[٢]:

١. دلالته على عصمة أهل البيت عليهم السلام.
٢. لزوم التمسك بهما معاً لا بواحد منهما منعاً من الضلالة.
٣. بقاء العترة إلى جانب الكتاب إلى يوم القيامة، أي لا يخلو منهما زمان من الأزمنة ما داما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، وهي كناية عن بقائهما إلى يوم القيامة. يقول ابن حجر: (وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة على عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما إن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق: في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي)[٣].
٤. دلالته على تميزهم بالعلم بكل ما يتصل بالشريعة وغيره، كما يدل على ذلك اقترانهم بالكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، ولقوله ﷺ: (ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم)[٤].

وبناءً على ما تقدم فإن عدل القرآن الكريم هم الامتداد الطبيعي والتشريعي للسنة النبوية والتي نعبر عنها بسنة المعصوم، وان حديثهم القطعي الصدور حجة كحجة حديث النبي ﷺ القطعي الصدور، يقول الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ): (واعلم أن الرواية ظاهرة في اخبار أصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن

---

[١] الصدوق، الامالي، ص٦١٦، ظ: احمد بن حنبل، مسند أحمد، ١٧/٣، وطرق حديث الثقلين كثيرة في المدرستين.
[٢] للتوسعة ظ: محمد تقي الحكيم، سنة أهل البيت ع، ص٤٨ .
[٣] الصواعق المحرقة، ص١٤٩ .
[٤] الكليني، الكافي، ٢٠٩/١.

النبي ﷺ، وعن الأئمة عليهم السلام، الذين قولهم حجة كقول النبيﷺ وأن القول بالرأي لا يجوز)[١].

وعلى هذا، قام أهل البيت عليهم السلام بدورهم في تبيين مسائل متنوعة في مجال الأمور الكلّية التي وردت في القرآن وآيات الأحكام، المخصِّصات، المقيِّدات، الناسخ والمنسوخ، وكذلك تبيين باطن الآيات وتأويلها ومصاديقها.

النوع الثالث: أقوال الصحابة والتابعين في التفسير:

١. **حجية رواية الصحابي والتابعي:** أُختلف في حجية الرواية التفسيرية للصحابي والتابعي، فذهب بعض أهل العلم إلى أن تفسير الصحابة في حكم المرفوع، قال الحاكم(ت:٤٠٥هـ): (إن تفسير الصحابي الذي شاهد التنزيل له حكم المرفوع الى رسول الله ﷺ)[٢]، ومراده أنه في حكمه في الاستدلال به والاحتجاج، لا أنه إذا قال الصحابي في الآية قولاً فلنا أن نقول هذا القول قول رسول الله ﷺ، أو قال رسول الله ﷺ، وله وجه آخر.

وهذا توجيه ابن الصلاح لعبارة الحاكم، إذ قال: (ما قيل من ان تفسير الصحابي حديث مسند، فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي أو نحو ذلك)[٣].

وكتب العلامة محمد حسين الطباطبائي في هذا الخصوص عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤]، قال: (وفي هذه الآية دلالة على حجية قول النبي ﷺ... ويلحق به بيان أهل بيته لحديث الثقلين المتواتر وغيره، وأما سائر الأمة من الصحابة والتابعين والعلماء فلا حجة لبيانهم؛

---

[١] التبيان في تفسير القرآن، ٧٨/١.
[٢] المستدرك، ٥٤٢/١، ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ص٥٧٦.
[٣] الشهرزوري(ت:٦٤٣هـ)، مقدمة ابن الصلاح، ص٤٦.
[٤] سورة النحل، الآية: ٤٤.

لعدم شمول الآية وعدم {وجود} نصّ معتمد عليه يعطي حجية بيانهم على الاطلاق)[١].

إذن ليس كل قول وارد من الصحابي أو التابعي يؤخذ به، وإنما (الرواية الثابتة عن الصحابة أولاً، وعن التابعين ثانياً، وليس المراد هنا أقوالهم المجردة على أصح الآراء، فإنه لا يجوز التفسير بمظنون الرأي، ومجرد الاعتقاد)[٢].

٢. **التباين بالفهم والاختلاف:** كما ان الصحابة يتباينون في مقدرتهم على فهم النص القرآني، فـ(الباحث في تاريخ الصحابة يجد تفاوتاً بين هذا الصحابي وذاك في فهم معاني القرآن)[٣].

وقرّر هذه الحقيقة من قبل ابن خلدون (ت:٨٠٨هـ)، قال: (ن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم وإنما كان ذلك مختصاً بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالته بما تلقوه من النبي ﷺ أو ممن سمعه منهم ومن عليتهم وكانوا يسمون لذلك القراء أي الدين يقرأون الكتاب لان العرب كانوا أُمة أُمّيّة)[٤].

وذلك عائد الى امكانياتهم البشرية والاستيعابية، فكانوا يختلفون فيما بينهم، وهذا أمر لا مناص من الاعتراف به وواقعاً عمليّاً وتأريخيّاً، والسبب العلمي أن الصحابي الواحد قد تغيب عنه مفردة من مفردات العربية الكثيرة العدد، وبهذا لا نوافق الرأي في ان كل الصحابة في اللغة العربية (كانوا عارفين بمعاني الفاظها لفظة لفظة)[٥]، ويُبرهن على هذا دليلاً أن منهم مَن لم يستطع بلوغ معنى لفظة من آية في القرآن الكريم كما حدث في لفظة (أباً) مع الصحابيين أبي بكر وعمر في قوله تعالى:

---

[١] الميزان في تفسير القرآن، ٢٢٣/١٢.
[٢] د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن، ص٩٥.
[٣] عبد القادر محمد صالح، التفسير والمفسرون في العصر الحديث، ص٨٤، ظ: د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، مناهج تفسير النص القرآني، ص٥٣.
[٤] تاريخ ابن خلدون، ٤٤٦/١.
[٥] ذهب الى هذا الرأي: د. محسن عبد الحميد، تطور تفسير القرآن، ص١٧.

﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾[١]، فقال عمر: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع الى نفسه فقال: إن هذا لهو الكلَف ياعمر)[٢]، وأن منهم مَن لم يتمكن من بلوغ معنى لفظة (فاطر) في قوله تعالى: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٣]، حتى تخاصم أَعرابيان في بئر، فقال أَحدهما: أنا فَطَرْتُها، أي ابتدأتُها، فاستبان منها معنى هذه اللفظة[٤].

مع الأخذ بنظر الاعتبار تفاوتهم بالفهم – كما تقدم – وكذلك حجم **أختلافهم الكبير** بنوعيه: (التنوع والتضاد)[٥] في التفسير، فهو موجود بين الصحابة، وهو ليس بقليل وأمّا التابعون فالاختلاف بينهم كثير، ومن بعدهم فأكثر.

فنلحظ سعة اختلافهم في فهم النص القرآني الناشئ عن (اختلاف في الاجتهاد والرأي لا نتيجة للاختلاف في المنقول – عن الرسول ﷺ – ..)[٦].

وبنفس التعليل لظاهرة الاختلاف في التفسير، بين الصحابة والتابعين، قاله ابن عاشور، الذي يؤكد أن هذا الاختلاف ناشئ عن أن أكثر أقوال السلف من الصحابة، فمن يليهم، في تفسير آيات القرآن صادرة عما ظهر لهم باستنباطهم، ولا يصح أن يكون كل ما قاله الصحابة مسموعاً من النبي ﷺ، إذ (أنهم اختلفوا في التفسير على وجوه مختلفة لا يمكن الجمع بينها، وسماعُ جميعها من رسول الله محال..)[٧].

---

[١] سورة عبس، الآية: ٣١.
[٢] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص١٧٢.
[٣] سورة ابراهيم، الآية: ١٠.
[٤] ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص١٧٢.
[٥] **اختلاف التنوع:** هو أن تحمل الآية على جميع ما قيل فيها إذا كانت معان صحيحة غير متعارضة، ومنه:
١. ما يكون كل من القولين هو في معنى القول الآخر، ولكن العبارتين مختلفتان.
٢. ما يكون المعنيان متغايرين، لكن لا يتنافيان، فهذا قول صحيح وهذا قول صحيح وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر.
واختلاف التضاد: «هما القولان المتنافيان بحيث لا يمكن القول بهما معاً، فإذا قيل بأحدهما لزم منه عدم القول بالآخر».
[٦] خالد عبد الرحمن العك، الفرقان والقرآن، ص٣٣٨ .
[٧] تفسير التحرير والتنوير، ١/٢٦ – ٢٧.

وكذلك التابعون، (إذ لا محيص من الاعتراف بأن التابعين قالوا أقوالاً في معاني القرآن لم يسندوها ولا ادّعوا أنّها محذوفة الأسانيد وقد اختلفت أقوالهم في معاني آيات كثيرة اختلافاً ينبئ إنباءً واضحاً بأنّهم إنّما تأوّلوا تلك الآيات من أفهامهم كما يعلمه مَن له علم بأقوالهم، وهي ثابتة في تفسير الطبري ونظرائه)[١].

واختلاف الصحابة والتابعين في فهم النص القرآني يعود بالنتيجة الى اختلافهم في تفسير آيات الأحكام وهو لا يقلّ اختلافاً عنه في التفسير، يقول الدكتور إحسان الأمين: (والناظر في كتب التفاسير، يجد أن من أمثلة الاختلاف الواضحة، اختلافهم في تفسير آيات الأحكام)[٢].

ومما تقدم يميل الباحث الى ما روي عن أبي حنيفة في مدى حجية مرويات الصحابة والتابعين التفسيرية، بقوله: (ما جاء عن الرسول ﷺ، فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة اخترنا، وما كان من غير ذلك، فهم رجال ونحن رجال)[٣].

وذلك ان التفسير بالمأثور قد يكون بالرأي، وينسب إلى من فسره، سواء كان من الصحابة أو من التابعين، أو من بعدهم.

فالمسألة اصطلاحية فحسب، أراد العلماء أن ييسروا التقسيمات على طلاب العلم، لدراسة تاريخ التفسير، وكيف تطور.

---

[١] تفسير التحرير والتنوير، ١/٢٦-٢٧.
[٢] منهج النقد في التفسير، ص٤٣.
[٣] الذهبي(ت:٧٤٨هـ)، اعلام النبلاء، ٦/٤٠١.

٣. ما يجب ان يُلحظ في رواية الصحابي: وللتفصيل في الرواية التفسيرية الواردة عن الصحابي، نرى ان هناك أمور يجب ان تُراعا[١]:

١. إن المسائل المنقولة عنهم بالنسبة الى المعاني اللغوية تكون معتبرة مع افتراض اطلاعهم على لغة العرب، وتقبل أقوالهم حينئذ بعنوان قول اللغوي مع شرائطها الخاصة. فإن ما يقوله ابن عباس في مثل ذلك أقوى مما يُذْكَرُ عن الخليل بن أحمد أو الفراء أو غيرهم من علماء اللغة.

٢. المسائل المنقولة عن الصحابي في بيان شأن نزول الآيات تكون معتبرة إذا أخبر الصحابي عن واقعة يومئذ وكان ثقة، وهو طريق جيد لتوضيح أسباب نزول الآيات. والمثال لشيء وقع يومئذٍ، فكحديث عائشة، في قوله تعالى: ﴿**إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ**﴾[٢]، قالت: (كان ذلك يوم الخندق)[٣].

٣. يُقبل قولهم في روايتهم عن النبي ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً إذا كان الصحابة ثقاتاً.

٤. التثبت من رواياتهم ومصدرها إذ كان قسم من الصحابة يعتمد النظر الى ما يقوله أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لا سيما في قصص الأنبياء، وأخبار بني اسرائيل، وما يتصل ببدء الخَلق وذكر الجنة والنار. مثل قول أبي هريرة في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا**﴾[٤]، قال: (نودي أن: يا أُمَّة مُحمد، أعطيتُكم قبل أن تسألوني، وأجبتكم قبل أن تدعوني)[٥].

---

[١] ظ: محمد علي الرضائي، دروس في مناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، ص٨٦، د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص٩٦.
[٢] سورة الأحزاب، الآية: ١٠.
[٣] مسلم، صحيح مسلم، ٣٤١/٨، السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ١٨٥/٥.
[٤] سورة القصص، الآية: ٤٦.
[٥] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٠٠/٢٠.

٥. المسائل التي وردت عنهم في فهم آيات القرآن عن طريق الاجتهاد الشخصي، لا يختلف حالهم فيها عن حال بقيّة المفسرين؛ أي أنها تخضع للمناقشة والنقد، ذلك أن اجتهادهم ليس حجة علينا لعدم وجود دليل من القرآن أو السنة، ولا يوجد إجماع في هذا المورد أيضاً، وعلى هذا فإن قول الصحابي والتابعين هنا (ليس بحجَّة ملزمةٍ على القول الراجح لأهل العلم)[١] في التفسير.

ولا ريب أن أقوال الصحابة في التفسير أصوب من أقوال من بعدهم، كما ان أقوال التابعين أصوب من بعدهم، وبهذا تكون حجية الصحابي والتابعي (في التفسير بعد النبي وآله، فما كان موافقاً لكتاب الله وسُنة نبيه أُخذ به من قوليهما، وأقوال أخيارهم، وما كان مجانباً لهما ضرب به عرض الحائط وهذا لا يقدح بمنزلتهما)[٢].

٤. أشهر الصحابة والتابعين رواية للتفسير ومدارسهم التفسيرية:

اشتهر من الصحابة في الرواية التفسيرية من كان ملازماً للنبي ﷺ وهم من الرعيل الأول، يقول السيوطي: (اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير، أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب)[٣] فيكون صدر المفسرين من الصحابة الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام[٤]، فقد ورد عنه عدة تفسيرات في أكثر من آية سُئل عنها فأجاب، وعليها اعتمد الفقهاء وأخذوا بها، وكان النبي

---

[١] عبد الله بن يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص٢٨٩.
[٢] د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن، ص٩٦.
[٣] الاتقان في علوم القرآن، ٤٩٣/٢. ويعلل السيوطي سبب عدم شهرة سائر الصحابة في التفسير بقوله: (والرواية عن الثلاثة نزرة جدا وكأن السبب في ذلك تقدم وفاتهم كما أن ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر عنه للحديث ولا أحفظ عن أبي بكر في التفسير إلا آثارا قليلة جدا لا تكاد تجاوز العشرة)، المصدر نفسه.
[٤] ذكرنا الإمام علي ع في طبقة أهل البيت (عليهم السلام) ونأتي على ذكره هنا لما تعارف في مدرسة الصحابة أنه ع من الخلفاء والصحابة.

ﷺ قد بين منزلته القرآنية حين قال: (علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)[١]، وعن أبي الطفيل قال: (شهدت علياً وهو يخطب، وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن سيكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل أُنزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل)[٢]. ثم يلي الإمام علي من الصحابة عبد الله بن عباس وابن مسعود (رضي الله عنهما) إذ يحتلان المنزلة الكبرى من بين مفسري الصحابة، ومن بعدهم أُبي بن كعب، وكانت هذه الشهرة بعد ان استقر القراء في الأمصار صاروا مرجع الناس في القراءة والتفسير ونشر العلوم الإسلامية، ومن البديهي أن يلتف حول كل صحابي من هؤلاء الأعلام تلامذة يتلقون منهم العلوم الإسلامية مؤسسين في ذلك المدارس التفسيرية الثلاثة.

ومن البديهي أيضاً أن تتفاوت فهومهم واستنباطاتهم من كتاب الله تعالى، وأن يصطبغ هؤلاء التلاميذ بصبغة شيوخهم في الفهم والعلم، وأن يتأثروا بمنهجهم في تفسير كتاب الله تعالى، ومن ثم تتباين مناهج المدارس التفسيرية التي برزت فيما بعد في عهد التابعين.

ملحوظة: في وقفتنا الموجزة فيما يأتي على شيوخ هذه المدارس من الصحابة والتابعين للتعرف على ملامح منهجهم في التفسير الذي انعكس على مدارسهم فيما بعد، فانها ستكون (للأطلاع) من غير التفصيل في تراجم رجالها معولين على القارئ الكريم إذا رغب التوسعة في الرجوع الى المصادر المختصة.

[١] الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٣٤/٩.
[٢] ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ص٤٦٥.

أولاً: عبد الله بن عباس (ت:٦٨هـ) (مدرسة التفسير بمكة المكرمة):

كان ابن عباس يتمتع بمكانة عالية بين الصحابة لنبوغه العلمي، لذا كان يلقب بحبر الأمة، وبحرها، وترجمان القرآن، وقد دعا له رسول الله بالتفقه بالدين ومعرفة وتعلم التأويل قال النبي ﷺ: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)[١].

وعن ابن عباس قال: دخلت على عمر بن الخطاب يوماً فسألني عن مسألة كتب إليه بها إليه من اليمن فأجبته فيها، فقال عمر: (أشهد أنك تنطق عن بيت نبوة)[٢].

ومن المعلوم – كما تقدم – ان ابن عباس كان علمه بالتفسير من تعليم أمير المؤمنين علي عليه السلام إياه كما يصرح ابن عباس بذلك إذ يقول: (ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب عليه السلام)[٣].

فكانت ثقافة ابن عباس الموسوعية واطلاعه على أيام العرب ومعرفته بلهجات القبائل وإحاطته بالشعر العربي وتاريخهم في الجاهلية، جعلته ترجمان القرآن حقاً.

فما من كلمة غريبة إلا ويعرف أصلها ومصدرها واستخدام أي قبيلة لها، والاستدلال عليها من الشعر الجاهلي، فقد روي عن ابن عباس في ذلك الكثير.

فقد نقل عن ابن عباس أنه فسر قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾[٤] بالغناء، وهي لغة يمانية، وأنه فسر قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾[٥] بهلكى، وهي لغة أهل عمان، وأنه فسر قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾[٦] بالموقن، وهي لغة حبشية[٧].

---

[١] احمد بن حنبل، مسند احمد، ٢٦٦/١.
[٢] المتقي الهندي، كنز العمال، ٤٥٦/١٣.
[٣] الزرقاني، مناهل العرفان، ٤٦٨/١، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٥/١.
[٤] سورة النجم، الآية: ٦١.
[٥] سورة الفتح، الآية: ١٢.
[٦] سورة هود، الآية: ٧٥.
[٧] ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ص١٨٣.

وكان يقول ابن عباس: (إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب)[١]، ومسائل نافع بن الأزرق (ت:٦٥هـ) التي اجاب عنها ابن عباس في هذا المورد خير شاهد على قوله، وقد ساق السيوطي هذه المسائل مع جواب ابن عباس عن كل مسألة منها وشاهده من الشعر وبلغ مقدارها مائة وثمانين مسألة، ومثالنا هنا[٢]:

– قال ابن الأزرق: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَفُومِهَا﴾[٣]؟ قال ابن عباس: الحنطة. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول أبي محْجَن الثَّقفيّ:

(قد كُنتُ أَحسبني كأغنى واحدٍ قدم المدينةَ عَن زراعة فُوم)

– قال أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾[٤]، قال عظمة ربِّنا قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول أميَّة بن أبي الصلت:

(لك الحمد والنعماء والملك ربنا فلا شيء أعلى منك جدا وأمجد)

– وسأل نافع عن معنى (حنان) في قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾[٥]، فقال ابن عباس: رحمة من عندنا، واستشهد له ببيت طرفة بن العبد:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

إلا أن ابن عباس شأنه شأن غيره لم يسلم من الدساسين والوضاع الذين دسوا عليه الشئ الكثير ونسبوا إليه كثيراً من الأقوال التي لم يقلها وربما كان السبب في ذلك هو أن أحفاده كانوا أصحاب نفوذ وسلطان (الدولة العباسية)، ولعل الوضاع يتقربون إليهم

---

[١] السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ص١٨٦.
[٢] ظ: المصدر نفسه. وكان مع نافع نجدة بن عويمر العجلاني الحنفي البكري الوائلي، رأس فرقة النجدية من الحرورية، وإليه ينسبون بعد اختلافه مع نافع بن الأزرق، توفي سنة ٦٩هـ. ظ: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ١١٠٢/٣.
[٣] سورة البقرة، الآية: ٦١.
[٤] سورة الجن، الآية: ٣.
[٥] سورة مريم، الآية: ١٣.

بما يروونه عنه فكثر الوضع عليه. فأشتهر عنه تفسير اسمه: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس).

رأي في تفسير (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس):

قام بجمع هذا الكتاب أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت:٨١٧هـ) صاحب القاموس المحيط، ولم يذكر الفيروز آبادي مصادره التي جمع منها هذه الأقوال المنسوبة الى ابن عباس، كما لم يذكر الأسانيد لكل الأقوال كما هو الشأن في التفسير بالمأثور عادة وكما فعله ابن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ) في تفسيره عندما ساق الأسانيد الى الصحابة والتابعين الذين نقل أقوالهم في تفسير الآيات، ولم يقتصر الفيروز آبادي في هذا الكتاب على أقوال ابن عباس، بل يضيف أحياناً الى تفسير الآيات زيادات بقوله: ويقال كذا وكذا وربما ذكر سبب نزول الآيات، وفي مَن نزلت، وهذا الأسلوب أشبه بأسلوب المتأخرين من المفسرين ولم يكن معهوداً في عصر الصحابة.

وأغلب الروايات المنسوبة الى ابن عباس في هذا التفسير تدور حول محمد بن مروان السدي الصغير عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متهم بالكذب، يقول السيوطي: (فإن انضم الى ذلك – أي طريق الكلبي – رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب)[١].

نعم.. فكما (وجد في أصحاب ابن عباس رجال مشهورون بالصدق والثقّة والإتقان، يعتمد المحدثون على أخبارهم،...، فقد وجد في أصحاب ابن عباس أيضاً مَن كان منهم رجال الحديث على أشدِّ الحذر)[٢].

لذا كان لابد من عرض ماورد في هذا التفسير وغيره عن ابن عباس، على قواعد الجرح والتعديل.

---

[١] الإتقان في علوم القرآن، ٤٩٨/٢.
[٢] محمد الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، ص٢٨.

مدرسة التفسير بمكة المكرمة: تخرج على يد عبد الله بن عباس مجموعة من العلماء عرفت فيما بعد بمدرسة التفسير بمكة.

وقد ساروا على منهج أستاذهم في تفسير القرآن الكريم وتوسعوا فيه وكانوا أعلم الناس بتفسير كتاب الله.

وفيما يلي تعريف موجز بأبرز رجالات هذه المدرسة:

١- سعيد بن جبير (ت:٩٥هـ): هو سعيد بن جبير الكوفي أحد أعلام التابعين سمع ابن عباس كما سمع غيره من الصحابة وقد شهد له ابن عباس بالعلم والفضل عندما جاء أهل الكوفة يسألون في موسم الحج، قال لهم: أليس فيكم سعيد ابن جبير؟!

وقال ميمون بن مهران: مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض رجل إلا وهو محتاج الى علمه.

قتله الحجاج في شعبان سنة خمس وتسعين، بسبب خروجه على سلطان بني أمية.

٢- مجاهد بن جبر (ت:١٠٤هـ): هو أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي، المفسر الحافظ مولى السائب بن أبي السائب كان من أبرز تلاميذ ابن عباس، لزمه وقرأ عليه وكان أحد أوعية العلم، وكان يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت؟ وكيف كانت؟

قال قتاده (ت:١١٨هـ): أعلم من بقي بالتفسير مجاهد وقال خصيف: أعلمهم بالتفسير مجاهد.

٣- طاووس (ت:١٠٦هـ): هو طاووس بن كيسان اليماني الجندي، روى عن ابن عباس وابي هريرة وعائشة وزيد بن ثابت وغيرهم، قال طاووس: أدركت خمسين من الصحابة.

كان يجلس الى ابن عباس أكثر من جلوسه الى غيره، لذا عُدّ من تلاميذ ابن عباس، شهد له ابن عباس بالورع والتقوى، إذ قال فيه: إني لأظن طاووساً من أهل الجنة، وقال النعمان بن الزبير الصنعاني: بعث أمير اليمن الى طاووس بخمسمائة دينار فلم يقبلها، وقال إبراهيم ابن ميسرة: ما رأيت أحداً الشريف والوضيع عنده بمنزلةٍ إلا طاووساً.

وقال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً مثله، كان شيخ أهل اليمن وفقيههم، وكان كثير الحج فاتفق موته بمكة قبل التروية بيوم، سنة ست ومائة.

٤- عطاء بن أبي رباح، ٥- الضحاك بن مزاحم، ٦- عكرمة مولى ابن عباس.

ثانياً: عبد الله بن مسعود (ت:٣٢هـ) (مدرسة التفسير بالكوفة الغراء):

كان لتقدم إسلام ابن مسعود وملازمته لرسول الله ﷺ الأثر الكبير في معرفة أسباب النزول والوقائع التي نزل بشأنها قرآن، وهذا ما نلحظه من خلال تصريحه وهو يعلن لطلابه المعرفة ليقصدوه عند الاحتياج: (والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا أنا اعلم أين أنزلت ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا أنا اعلم فيم أُنزلت ولو اعلم أحداً اعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه)[١].

ولم يكن عبد الله بن مسعود مبالغاً فيما قال، بل كانت مكانته في التفسير معلومة بين صحابة رسول الله يشار إليها بالبنان.

وعبد الله بن مسعود ينتسب الى قبيلة هذيل، وهي من القبائل ذات المكانة بين العرب في الفصاحة والشعر، علاوة على ذلك تلك الروح الشفافة التي كانت تستشرف معاني الآيات من خلف الألفاظ والتعبيرات القرآنية.

اتبع ابن مسعود المنهج الأمثل في تفسير القرآن: إذ كان يفسر القرآن بالقرآن، فإن لم يجد فبالسنة الشريفة، فإن لم يجد فباللغة العربية واجتهاداته المبنية على هدايات القرآن العامة والوقائع والأحداث، ومن امثلتها:

---

[١] البخاري، صحيحه، ١٠٢/٦، الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٥٦/١.

* فمن تفسير القرآن بالقرآن: ففي تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾[١]، قال هي التي في البقرة: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[٢].

* تفسير القرآن بالحديث الشريف: عن ابن مسعود قال: قال النبي ﷺ: (ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله إلا مثل له شجاع أقرع يطوقه)[٣] ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ، قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٤].

* تفسير القرآن بفهمه على ضوء عمومات الإسلام: وقد سأل احدهم عبد الله بن مسعود عن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[٥]، فقال ابن مسعود: (الغناء والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات)[٦].

مدرسة التفسير بالكوفة الغراء: امتلأت الكوفة بالقراء والمحدثين والفقهاء من تلاميذ عبد الله بن مسعود، وبلغ عددهم نحو أربعة آلاف عالم.

ولا غرابة في ذلك فقد جلس عبد الله بن مسعود في الكوفة بعد أن أرسله الخليفة الثاني إليها، وقد اشتهر من بين تلاميذ ابن مسعود بالإقراء وتفسير القرآن عدد من التابعين من أبرزهم:

١- زر بن حبيش (ت:٨٢هـ): هو زر بن حبيش بن حباشة أبو مريم، ويقال أبو مطرّف الأسدي الكوفي أحد الأعلام عرض على عبد الله بن مسعود، والإمام علي، وعثمان بن عفان، عرض عليه عاصم بن أبي النجود وسليمان الأعمش وأبو إسحاق السبيعي ويحيى بن وثاب.

---

[١] سورة غافر، الآية: ١١.
[٢] سورة البقرة، الآية: ٢٨. ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٢٦/١.
[٣] الطبري، جامع البيان، ٢٥٥/٤، ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٦٤/٣.
[٤] سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.
[٥] سورة لقمان، الآية: ٦.
[٦] الطبري، جامع البيان، ٧٤/٢١، البغوي، معالم التنزيل، ٤٩٠/٣.

قال عاصم: ما رأيت أقرأ من زر، وكان عبد الله بن مسعود يسأله عن العربية، يعني عن اللغة.

٢- أبو عبد الرحمن السلمي (ت:٧٤هـ): عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السلمي الضرير مقري الكوفة، ولد في حياة النبي ﷺ، ولأبيه صحبة، إليه انتهت القراءة تجويداً وضبطاً، وأخذ القراءة عنه عرضاً عاصم وعطاء بن السائب وأبو إسحاق السبيعي وغيرهم، قال ابن مجاهد: أول من أقرأ الناس بالكوفة بالقراءة المجمع عليها أبو عبد الرحمن السلمي.

٣. عبيد بن نضلة، ٤. علقمة بن قيس، ٥. مسروق بن الأجدع، ٦. عبيدة بن عمرو السلماني،..

ثالثاً: أُبيّ بن كعب (ت:٢٢هـ)[١] (مدرسة التفسير بالمدينة المنورة):

هو أُبي بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي من بني النجار وأمه صهيلة بنت الأسود من بني النجار أيضاً. وكان أُبي بن كعب من الرهط الخزرجيين الذين حضروا العقبة الثانية مع الرسول ﷺ وبايعه فيها مع سبعين من الأنصار[٢].

تفسيره: كان لحضوره المشاهد وصحبته لرسول الله ﷺ أثر في تفسيره، فنجده يفسر بعض الآيات على ضوء سبب النزول، ومثالنا هنا ما نقله ابن جرير والطوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[٣]،

---

[١] ثمة اختلاف في تاريخ وفاته وهل أنه توفي في خلافة عمر بن الخطاب (١٩ – ٢٢هـ) أو في خلافة عثمان بن عفان (سنة ٣٠ أو ٣١هـ)، وإن غالبية المؤرخين يذهبون الى أنه توفي في خلافة عمر. ظ: تهذيب التهذيب، ١٦٤/١، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٦٩/١. وكان أُبي بن كعب من الثابتين على ولاء آل بيت الرسول ص وإيمانه بالنص بالولاية للإمام علي ع. للتوسعة في المصادر ظ: محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون، ١٩٧/١.

[٢] ظ: ابن الاثير، أسد الغابة، ٦١/١.

[٣] سورة النور، الآية: ٥٥.

قال أبيَ: (لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة، وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا مع السلاح، ولا يصبحون إلا فيه. فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين، لا نخاف إلا الله؟ فنزلت هذه الآية)[١].

* التفسير بالسنة النبوية: وكان أبيّ يفسر كثيراً من آيات القرآن الكريم بالسنة الشريفة إما تصريحاً بإسناد الحديث الى رسول الله ﷺ، أو تضمين كلامه حديث رسول الله ﷺ من غير نسبته الى النبي ﷺ، ومثال على ذلك: تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾[٢]، قال أبي بن كعب: سألت النبي ﷺ عن المسجد الذي أسس على التقوى، فقال: هو مسجدي هذا[٣].

* التفسير بالفهم المستند الى عمومات الإسلام: كان ابن كعب يفسر القرآن الكريم على ضوء عمومات القرآن الكريم وهداياته المتبادرة الى الفهم، فعن أبي بن كعب في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ..﴾[٤]، قال: صاروا فرقتين يوم القيامة، يقال لمن اسود وجهه: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[٥]، فهو الإيمان الذي كان في صلب آدم حيث كانوا أمة واحدة، وأما الذين ابيضت وجوههم فهم الذين استقاموا على إيمانهم وأخلصوا له الدين، فبيّض وجوههم، وأدخلهم في رضوانه وجنته[٦].

مدرسة التفسير بالمدينة المنورة: تتلمذ على يد أبي بن كعب جملة من كبار التابعين وتابعيهم، نوجز التعريف بأبرز رواد مدرسة التفسير بالمدينة المنورة:

١- أبو العالية الرياحي (ت:٩٠هـ): هو رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي، البصري الفقيه المقرئ مولى امرأة من بني رياح بطن من تميم، أسلم بعد وفاة النبي

---

[١] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٢٢/١٨، الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٢٦٦/٧.
[٢] سورة التوبة، الآية: ١٠٨.
[٣] ظ: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٢٨٧/٤.
[٤] سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.
[٥] سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.
[٦] ظ: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٧/٤.

ﷺ بسنتين، روى عنه قتاده قوله: قرأت القرآن بعد وفاة نبيكم ﷺ بعشر سنين، أخذ القرآن عن زيد بن ثابت، وابن عباس، وقرأ على أبي بن كعب.

٢- سعيد بن المسيب (ت:٩٣ أو ٩٤هـ): هو ابو محمد المخزومي، رأس التابعين، قال فيه ابن عمر: (هو والله أحد المقتدين بهم)، وكان يتحرج في القول في القرآن: قال ابن عمر أيضاً: (لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير، منهم: سالم بن عبد الله والقاسم ابن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع..)

وعن يحيى بن سعيد قال: (سمعت رجلاً يسأل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال: لا أقول في القرآن شيئاً)[١].

وهذا محمول على تحرجه فيما لا علم له به، وأما الذي تلقاه عن سلفه أو ما أدركه من الدلالات اللغوية والشرعية، فلم يتحرج من الكلام فيه، وقد نُقلت عنه أقوال في التفسير.

٣- محمد بن كعب القرظي (ت:١٢٠هـ): هو محمد بن كعب القرظي المدني ثم الكوفي، روى عن أبي الدرداء مرسلاً، وعن فضالة بن عبيد، وعائشة وأبي هريرة وروى عن أبي بن كعب بالواسطة.

[١] ظ: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٥٩/١.

٤. مزايا التفسير بالمأثور في عصر الصحابة ومآخذه:

وللتفسير في عصر الصحابة مزايا تميز بها عن غيره من العصور، كما انه لم يسلم في الوقت نفسه عن مآخذ املتها عليه الظروف والبيئة التي احاطت به[١].

أولاً: مزايا التفسير في عصر الصحابة:

١. سهولة التفسير وبُعده عن التعقيد والخلافيات، فربما اقتصر على شرح كلمة غريبة أو حكم مستنبط من الآية أو توضيح لسبب نزول، أو شرح مجمل لمضمون الآية.

٢. لم يتناول التفسير جميع آيات القرآن، بل اقتصر على الآيات التي ترد أسئلة عليها لاسيما آيات الأحكام.

٣. كان التفسير يتناقل شفاهاً ولم يُدوَّن، وإن وجد من يكتب شيئاً منه فذاك أمر فردي خاص، ولم تكن الكتابة ظاهرة عامة.

٤. بقي التفسير في هذه المرحلة شعبة من شعب الرواية، تختلط فيها الأحكام الفقهية مع الروايات في العقائد والأخلاق والترغيب والترهيب وغير ذلك من أمور الإسلام، إذ لم تكن العلوم الإسلامية قد أخذت طابع التخصص، ولم ينفصل التفسير بتدوين مستقل إلّا في مراحل متأخرة من مراحل تدوين العلوم.

٥. ندرة استنباط الأحكام الفقهية من الآيات القرآنية لعدم جهلهم في الغالب بالأمور الفقهية إذ كانت سيرة النبي ﷺ وتطبيقه لأحكام الدين ماثلة في أذهانهم وقد تعايشوا معه سلوكاً وعملاً.

[١] ونعني به عصر ما بعد رحيل النبي الأكرم ﷺ فالمزايا والمآخذ ها هنا عامة تشمل كل طرق الرواية التفسيرية لكلا المدرستين: مدرسة الصحابة وكذلك مدرسة أهل البيت عليهم السلام. وذكر المؤلف مشكلات خاصة تعرض لها حديث أهل البيت في كتابه: أصول التفسير، ص٩٥ – ٩٧.

ثانياً: مآخذ على التفسير بالمأثور في عصر الصحابة:

شق علم التفسير طريقه برحلة كان فيها منعطفات ووديان وصعدات. خاصة أن التفسير بالمأثور لقي نقداً شديداً عبر هذه المسيرة، لهذا ينبغي الالتفات الى أن التفسير بالمأثور قد دخله الوضع، وسرى فيه الدس والخرافات، ويرجع ذلك الى أمور منها:

١. ما دسه أعداء الإسلام، مثل زنادقة اليهود الذين تظاهروا بالإسلام، لدس الأخبار المحرفة التي يجدونها في كتبهم[١].
٢. ما دسه أصحاب المذاهب الباطلة والنحل الزائفة، وافتراء الاحاديث ونسبتها الى المعصوم عليه السلام، أو الى أصحابه.
٣. نقل كثير من الأقوال المنسوبة الى المعصوم عليه السلام أو الصحابي بغير إسناد، مما أدى الى اختلاط الصحيح بغير الصحيح، والتباس الحق بالباطل.
٤. أن تلك الروايات مليئة بالإسرائيليات، وفيها كثير من الخرافات التي يقوم الدليل على بطلانها، ومنها ما يتعلق بأمور العقائد التي لا يجوز الأخذ فيها.
٥. وضع الحديث تزلّفاً لدى الأمراء[٢].

لذا فإنه ينبغي التثبت عند الرواية للتفسير بالمأثور، وعلى هذا فإن التفسير بالمأثور في **حكمه** نوعان[٣]:

أحدهما: ما توافرت الأدلة على صحته وقبوله.

ثانيهما: ما لم يصح لسبب من الأسباب السابقة، وهذا يجب رده، ولا يجوز قبولُه، ولا الاشتغال به، إلا لتمحيصه، أو التنبيه الى ضلاله، حتى لا يغتر به أحد.

---

[١] روى ابن الجوزيّ (ت:٥٩٧هـ) بإسناده إلى حمّاد بن زيد، يقول: (وضعت الزنادقة على رسول الله (ص) أربعة عشر ألف حديث). الموضوعات، ٣٨/١.

[٢] مثلاً كان الرشيد يعجبه الحمام واللهو به، فأُهدي إليه حمام، فروى له أبو البختريّ عن أبي هريرة أنّ النبيّ (ص) قال: (لا سبق إلّا في خفّ أو حافر أو جناح). فزاد جناح. ظ: القرطبي، جامع أحكام القرآن، ٧٩/١-٨٠.

[٣] ظ: الزرقاني، مناهل العرفان، ٤٩٣/١.

أسباب الاختلاف في التفسير بالمأثور:

١- أن يكون في الآية أكثر من قراءة فيفسر كل منهم الآية على قراءة مخصوصة، ومثاله اختلافهم في معنى سكرت من قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ، لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ**﴾[١]. فقد قال قتادة: من قرأ (سُكِّرت) مشدّدة يعني سُدّت ومن قرأ (سُكرت) مخَّففة فإنه يعني سُحرت[٢].

٢- ومنها الاختلاف في الإعراب، فإن للإعراب أثره في تفسير الآية: ومثاله اختلافهم في قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[٣]. فقد اختلفوا في ﴿**وَالرَّاسِخُونَ**﴾ فقيل: عطف نسق على لفظ الجلالة، وقيل مبتدأ والخبر في قوله تعالى: ﴿**يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ**﴾ فعلى القول الأول أن الراسخون يعلمون تأويله وعلى القول الثاني لا يعلمون وسبب هذا الاختلاف هو الاختلاف في الإعراب[٤].

٣- ومن أسباب الاختلاف احتمال اللفظ أكثر من معنى كالاشتراك اللغوي، فإن بعض الكلمات لها أكثر من معنى في اللغة كلفظ (**قَسْوَرَةٍ**) من قوله تعالى: ﴿**كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ**﴾[٥] الذي يُطلق على الرامي وعلى الأسد، ولفظ (عسعس) في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ**﴾[٦]. تطلق على الإقبال والإدبار، ولفظ (القرء)

---

[١] سورة الحجر، الآية: ١٤ – ١٥.
[٢] ظ: الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ١٠/١٤.
[٣] سورة آل عمران، الآية: ٧.
[٤] ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ١٨٧/٢، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤٥٥/٢.
[٥] سورة المدثر، الآية: ٥١.
[٦] سورة االتكوير، الآية: ١٧.

من قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[١] الذي يُطلق على الحيض وعلى الطهر[٢]، وهناك أسباب أخرى غير ذلك.

سابعاً: شروط التفسير بالمأثور:

مر ان التفسير بالمأثور هو النقل من السلف الى الخلف،وطالما هو نقل ورواية؛ إذن هو بحاجة لمعرفة رواية سُنة المعصوم عليه السلام من أقوال وأفعال وتقريرات، وكذلك أقوال الصحابة والتابعين، ومن أهم الشروط التي تتعلق بالتفسير بالمأثور:

١. معرفة علم الحديث رواية ودراية، مع الإلمام التام بما ورد في سنة المعصوم عليه السلام بما يتعلق بالتفسير، إذ إن (السنة القطعية الصدور عن النبي وأهل البيت هي عدل القرآن، في شرح كلياته وتفصيل مجملاته)[٣].

٢. أن يدرك حقيقة اختلاف الروايات في التفسير، وأسبابها، وأن يعلم علم اليقين أن للقرآن وجوهاً.

٣. أن يطلع على أسباب النزول، ليستعين على فهم النص، وعلى الناسخ والمنسوخ ليعرف المحكم من غيره.

٤. عدم الاعتماد على الروايات الإسرائيلية.

٥. مراعاة استخدام منهج الجري والأنطباق في الرواية التفسيرية[٤].

---

[١] سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

[٢] ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٧٧/٢، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٢٠/٢.

[٣] د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص٩٥.

[٤] وذلك بأن تقوم الرواية بتطبيق الآية على أحد المصاديق، والتي عادةً ما تكون بارزة، كأن تطبّق بعض الآيات على أهل البيت أو مخالفيهم وهكذا... وكثير من التفسير بالمأثور عن الصحابة والتابعين فيه هذا اللون من التفسير، حيث يحاول أن يقدّم بياناً للآية بحدث جزئي أو مورد جزئي..
مثاله: عن أبي بصير قال: سألت الإمام ع عن قول الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ سورة الأنعام، الآية:٨٢، قال (ع): (نعوذ بالله يا أبا بصير ان تكون ممن لبس إيمانه بظلم) ثم قال: (أولئك الخوارج وأصحابهم). العياشي، تفسير العياشي، ٣٦٧/١.

من مصنفات التفسير بالمأثور:

- الطبري محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن.
- السمرقندي نصر بن محمد (ت:٣٧٣هـ)، بحر العلوم.
- الطوسي محمد بن الحسن (ت:٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن.
- البغوي ابو محمد الحسن (ت:٥١٠هـ)، معالم التنزيل في التفسير والتأويل.
- الطبرسي ابو علي الفضل (ت:٥٣٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن.
- ابن عطية الأندلسي ابو محمد عبد الحق (ت:٥٤٦هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.
- ابن كثير ابو الفداء اسماعيل (ت:٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم.
- الثعالبي عبد الرحمن (ت:٨٧٥هـ)، الجواهر الحِسان في تفسير القرآن.
- السيوطي جلال الدين (ت:٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور.
- هاشم البحراني (ت:١١١٧هـ)، البرهان في تفسير القرآن.
- الحويزي عبد علي بن جمعة العروسي (ت:١١١٢هـ)، تفسير نور الثقلين.

ثامناً: إنموذج على منهج التفسير بالمأثور:

ونُعرّف بمؤلف ومنهجه في هذا المنهج التفسيري بإيجاز فيما يلي:

تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (ت:٣١٠هـ):

مؤلفه: هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ولد في (آمُل) في طبرستان من بلاد إيران سنة ٢٢٤هـ وتوفي في بغداد سنة ٣١٠هـ[١]، كان عالماً بالقراءات، وإماماً في التفسير، بارعاً في الحديث، وشيخاً للمؤرخين، إنفرد في الفقه بمذهب مستقل، وله أتباع ومقلدون[٢]. وقال الذهبي في ترجمته: (هو الإمام الجليل المفسّر، ثقة صادق، فيه تشيّع وموالاة لا تضرّ)[٣]، أي تشيّع من غير مغالاة. وله مؤلفات كثيرة منها: كتاب في القراءات و(تاريخ الرجال) في الصحابة والتابعين، و(لطيف القول) جمع في مذهبه الذي اختاره، و(تذهيب الآثار) ومن أهم كتبه (تاريخ الأمم والملوك وأخبارهم).

تفسيره: اما تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) فيُعد من اشهر كتب التفسير بالمأثور، وكان هذا التفسير مفقوداً الى أمد قريب وما كان يعرف عنه إلا ما تناقلته الكتب والتفاسير التي جاءت بعده، وقد عثر على نسخة مخطوطة في حوزة أمير حائل الأمير حمود من آل رشيد وكانت هذه النسخة كاملة[٤].

وتتجلى **أهميته** في الناحيتين العلميّة والتاريخية، فأهميته **العلميّة** انه جمع فيه الكثير من الروايات في التفسير الى جانب ترجيحاته القيمة القائمة على أساس علمي وأدبي ولغوي، إذ نجد في تفسيره الاعراب، والقصص، واخبار الأمم، واختلاف أهل

---

(١) ظ: حاجي خليفة، كشف الظنون، ٤٣٧/١.

(٢) ظ: السيوطي، طبقات المفسرين، ص٨٣.

(٣) ميزان الاعتدال، ٤٩٨/٣. وآثار هذا التشيع والولاء بادية أثناء تفسيره الجامع وكذا تاريخه الكبير، ومن الشواهد على ذلك تفسيره لآية التطهير (٣٣ الأحزاب) إذ يروي ستّة عشر حديثاً مسنداً مؤكداً أنها نزلت في الإمام علي والسيدة فاطمة والسبطين الحسن والحسين خاصة. ظ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٢/٥-٧، وصنّف كتاباً في مجلدين بشأن حديث الغدير، وله تأليف آخر بشأن حديث (الطير المشوي) في فضل الإمام علي ع.

(٤) ظ: د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ١٣٨/١.

التأويل في معاني الآيات الكريمة منذ عصر الرسول الكريم الى زمن تأليفه، معززاً ترجيحه بشواهد نحوية، وشواهد في القراءات، وشواهد شعرية[١].

اما أهميته **التاريخية** فتتمثل في ان له عمقاً زمنياً قريباً من عهد التابعين، وانه حفظ لنا روايات الصحابة والتابعين ومن بعدهم في التفسير، وعليه يمكن استخراج تفاسير الاقدمين من كتابه بواسطة تلك الروايات الضخمة الموجودة فيه[٢].

مقصوده من التفسير ومنهجه التفسيري:

أوضح الطبري أن مقصوده من تفسير القرآن الكريم هو تبيين الوجوه المحتملة للآيات[٣]، واستقصاء هذه الوجوه فقال: (إذ كان الذي قصدنا له في كتابنا هذا البيان عن وجوه تأويل آي القرآن دون وجوه قراءتها)[٤].

وذكر أن تأويل القرآن يكون له ثلاثة أوجه، فقال: أن تأويل جميع القرآن على أوجه ثلاثة[٥]:

أحدها لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي استأثر الله بعلمه، وحجب علمه عن جميع خلقه، وهو أوقات ما كان من آجال الأمور الحادثة، التي أخبر الله في كتابه أنها كائنة، مثل: وقت قيام الساعة، ووقت نزول عيسى بن مريم، ووقت طلوع الشمس من مغربها، والنفخ في الصور، وما أشبه ذلك.

---

[١] من خلال استقراءنا لهذا التفسير لمسنا عناية كبيرة بالشواهد النحوية، وقد أُحصيت شواهد القرآن فوجدت عدتها (١٢٦) شاهد، وشواهد القراءات نحو (١٥٥) شاهدا، وهي نسبة عالية تبرز اهتمامه بالقراءات واعتماده عليها، وعدد الشواهد الشعرية نحو (١٤٣) شاهد، أما الشواهد النثرية فأكثرها أمثلة تعليمية..

[٢] ظ: هدى جاسم أبو طبره، المنهج الأثري في تفسير القرآن، ص١٤٧، د. منيع عبد الحليم محمود، مناهج المفسرين، ص٣٩.

[٣] ظ: د. عباس توفيق، محمد بن جرير الطبري ومنهجه في تفسير القرآن الكريم وكتابة التاريخ، ص٦٢.

[٤] ظ: تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٩٣/١.

[٥] ظ: المصدر نفسه، ٦٣/١.

والوجه الثاني: ما خص الله بعلم تأويله نبيه ﷺ دون سائر أمته، وهو ما فيه مما بعباده إلى علم تأويله الحاجة، فلا سبيل لهم إلى علم ذلك إلا ببيان الرسول ﷺ لهم تأويله.

والثالث منها: ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه، لا يوصل إلى علم ذلك إلا من قبلهم.

***اما منهجه فيمكن معرفته في الفقرات الآتية:**

١. اعتماده على التفسير بالمأثور عن الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين، فيقول: ان تأويل قول الباري ﷻ كذا وكذا، ثم يسرد بعد ذلك جميع ما ورد فيها من أقوال.

٢. التزامه بالإسناد في الرواية، فهو كان عالماً بعلم الرجال لذلك لا يُلقي القول على عواهنه بل يناقش السند ويعدل من يراه عدلاً، ويجرح من يراه مجروحاً ولا يروي الرواية مطلقة بل ينقدها نقد بصير.

٣. عنايته بتوجيه الأقوال والترجيح، فهو لا يكتفي بسرد الأقوال فقط بل يناقش هذه الأقوال ويضعف الضعيف ويقوي الرواية القوية، ويرد ما يراه غير ملائم من دون تهيب ولا وجل وقد يشن الحملات الشديدة على من يستعمل رأيه في فهم القرآن بدون المرجع الى ما روى عن السلف.

٤. يؤخر أقوال أهل العربية، ويجعلها بعد أقوال السلف، وأحيانًا بعد ترجيحه بين أقوال السلف.

٥. اعتماده اللغة والشعر وذكره لوجوه الإعراب، فهو لا يكتفي فقط بالرواية إن دعاه الحال الى أن يخوض في الاعراب والنحو والصرف ان دعت الى ذلك حاجة.

٦. أما موقفه من الإسرائيليات فكان يأخذ عنها، والناظر في تفسيره يشاهد ذلك كثيراً ولكنه إذا أخذه يبين لك مصدره ويقول فلان عن فلان اليهودي أو النصراني الذي أسلم، وأحياناً عدم التعقيب عليها.

٧. استنباطه للأحكام الشرعية من الآيات، وقلنا انه كان شافعي المذهب ثم أصبح مجتهداً مطلقاً فيما بعد وقلنا انه كوّن مذهباً خاصاً وهذا يلزمه النظر في القضايا الفقهية كلما مرت عليه آيات أحكام ويرجح ما يراه راجحاً من الأقوال.

٨. اهتمامه بالقراءات القرآنية، ساعد ابن جرير على فهم الشيء الكثير من القرآن معرفته بالقراءات، فهو يعرض القراء في القراءات القرآنية وفي (ختام عرض الأقوال يذكر رأيه، وكثيراً ما يجمع بين هذه القراءات ويأخذ بها جميعاً لا سيما إذا لم تكن احدى هذه القراءات قراءة شاذة)[١].

أنموذج من تفسيره:

في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ، أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ، نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ**﴾[٢].

قوله: نحن جعلناها تذكرة، يقول: نحن جعلنا النار تذكرة لكم تذكرون بها نار جهنم، فتعتبرون وتتعظون بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: تذكرة قال: تذكرة النار الكبرى.

وقوله: (**وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ**) اختلف أهل التأويل في معنى المقوين، فقال بعضهم: هم المسافرون.

---

[١] هدى جاسم أبو طبره، المنهج الأثري في تفسير القرآن، ص١٥٢.
[٢] سورة الواقعة، الآية: ٧١ – ٧٣.

ذكر من قال ذلك: حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: للمقوين قال: للمسافرين .

وقال آخرون: عني بالمقوين: المستمتعون بها.

ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، قوله: ومتاعا للمقوين للمستمتعين الناس أجمعين.

وقال آخرون: بل عني بذلك: الجائعون.

ذكر من قال ذلك: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ابن زيد، في قوله: ومتاعاً للمقوين قال: المقوي: الجائع. في كلام العرب، يقول: أقويت منه كذا وكذا: ما أكلت منه كذا وكذا شيئاً.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عني بذلك للمسافر الذي لا زاد معه، ولا شئ له، وأصله من قولهم: أقوت الدار: إذا خلت من أهلها وسكانها كما قال الشاعر:

أقوى وأقفر من نعم وغيرها * هوج الرياح بهابي الترب موار

يعني بقوله: أقوى: خلا من سكانه، وقد يكون المقوي: ذا الفرس القوي، وذا المال الكثير في غير هذا الموضع [١].

[١] ظ: الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ٢٣٥/٧ – ٢٣٧.

تاسعاً: صور التعارض بين التفسير بالمأثور والتفسير بالاجتهاد (الرأي):

وقبل ان نطوي صفحة منهج التفسير بالمأثور ونحن على أبواب القسم الآخر من مناهج التفسير (منهج التفسير بالرأي الممدوح) نجد من المناسب هنا ان نوضح كيف نوفق بين منهج التفسير بالمأثور والمناهج التفسيرية الأخرى (الاجتهادية) ان وقع تعارض بينهما، وعلى النحو الآتي:

أ: أن يكون التفسيران قطعيين:

وهذه الصورة فرضية، لأنه لا يعقل تعارض بين قطعي وقطعي، ومن المحال أن يتعارض الشرع مع العقل.

ب: أن يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً:

وهنا يُقدم القطعي منهما على الظني إذا تعذر الجمع والتوفيق بينهما، أخذ بالأرجح وعملاً بالأقوى، لأن اليقين أقوى من الظن.

ج: أن يكون التفسيران ظنيين:

فإن أمكن الجمع بينهما فبها، وإن تعذر الجمعُ قُدم التفسير المأثور عن المعصوم عليه السلام إن ثبت من طريق صحيح – كما تقدم بيانه –.

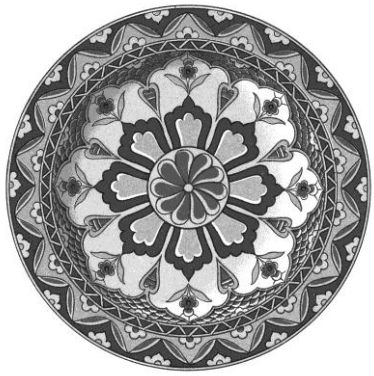

الفصل الثالث

منهج التفسير بالرأي

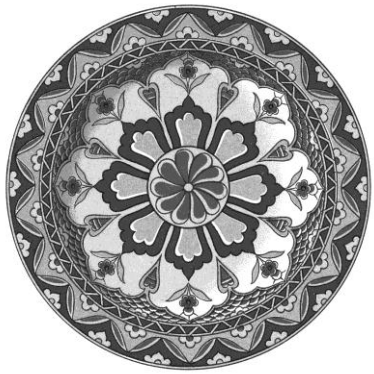

منهج التفسير بالرأي

للعلماء في فهم معناه وجهان:

الأول: أن يُفسر كتاب الله بالميل النفسي لأتباع الهوى، والترجيح الظني من دون نظر فيما قال العلماء أو إقتضته قوانين العلوم التي يحتاج إليها المفسر وهذا مذموم.

الثاني: التفسير بالإجتهاد، وعليه فالتفسير بالرأي هنا هو (عبارة عن تفسير القرآن بالإجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناهجهم في القول ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالالتها وإستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر)[١].

أختلاف العلماء (بين القبول والرفض) وأدلتهم: واختلف العلماء في قبول التفسير بالرأي من عدمه، فمنهم من رفضه بشده واحتكم في ذلك الى أدلة ومنهم من اجازه معتمد في جوازه الى أدلة أيضاً[٢]، وأستدل المانعون على:

الأول: القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿**وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٥].

---

[١] د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ١٦٩/١ .

[٢] للتوسعة في أدلة القائلين بعدم الجواز وأدلة القائلين بالجواز: ظ: د. محمد حسين الذهبي، بحوث في علوم التفسير، ص٤٠٧ – ٤٠٨، د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص١٠٤

[٣] سورة الإسراء، الآية: ٣٦ .

[٤] سورة البقرة، الآية: ١٦٩ .

[٥] سورة النحل، الآية: ٤٤ .

فالمانعون من التفسير الاجتهادي، يتمسكون بهذه الآيات، ويقولون: إن التفسير الاجتهادي لا يصل الى العلم بمراد الله من الآيات، وكل ما لا يصل الى العلم لا اعتبار به، فالتفسير الاجتهادي لا اعتبار به، وغاية ما يصل به المفسر في المنهج الاجتهادي هو: الظن بمراد الله، والظن لا يغني من الحق شيئاً، وإضافة الى هذا فإن الله تعالى كلف النبي ﷺ بتبين القرآن للناس، فالتفكر في القرآن يجب أن يكون من طريق بيان الرسول ﷺ.

الثاني: السُنة الشريفة: واستدل المانعون بالحديث المعروف بين الشيعة والسنة، وهو: قول النبي ﷺ: (من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)[١].

وروي عن عائشة أنها قالت: (ما كان النبي (ﷺ) يفسر شيئاً من القرآن إلا آيا بعد علمهن إياه جبرئيل عليه السلام)[٢].

الثالث: اجتناب بعض الصحابة والتابعين التفسير الاجتهادي، كما ثبت في التاريخ امتناع الصحابة عن التفسير. وكره جماعة من التابعين وفقهاء المدينة القول في القرآن بالرأي: كسعيد بن المسيب وعبيدة السلماني، ونافع، ومحمد بن القاسم، وسالم بن عبد الله، وغيرهم.. [٣].

الرابع: اختصاص فهم القرآن بمن خوطب به .

ذهب بعض الى أن فهم القرآن مختص بمن خوطب به ودليل هؤلاء عدة روايات واردة في الموضوع، مثل ما نقل عن الإمام محمد الباقر عليه السلام حينما دخل قتادة عليه فقال له عليه السلام: (يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: هكذا يزعمون، فقال عليه السلام: بلغني أنك تفسر القرآن؟،...، ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد

---

[١] الصدوق، كتاب التوحيد، ص٩١، احمد بن حنبل، مسند احمد، ٣٢٣/١.
[٢] احمد بن حنبل، مسند احمد، ٣٢٣/١، الطبري، جامع البيان، ٣٧/١.
[٣] ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٧٨/١.

هلكت وأهلكت وإن كنت قد أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت،..، فقال عليه السلام: ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به)[١].

*** مناقشة إشكالات المانعين من التفسير الاجتهادي:**

أولاً: الجواب عن الآيات فهو:

١ – إن كل واحد من السمع والبصر الفؤاد مسؤول، ولأجل ذلك لابد للإنسان من أن يستفيد من هذه الآيات مع الضوابط العقلية والشرعية، وهذا لا يعني ترك النظر والفكر، والاجتهاد في فهم الآيات. ولهذا نبهت الآية الكريمة الى ان (العلم واليقين) هما أساس المعرفة في كل شئ، وأن لا شئ من (الظن) أو (التخمين) أو (الشك) يسد مسد العلم واليقين، ومَن يعتمد على ما دون العلم فإنه بذلك يخالف القانون الإسلامي الصريح.

٢ – التقول على الله حرام، فإذا علم الإنسان شيئاً بنحو اليقين والقطع، يجوز له إسناده الى الله، وإذا ظن شيئاً، فبقدر الظن يمكن الاسناد إليه سواء حصل العلم أو الظن من اجتهاده أو من ملاحظته لرواية ودلالة آية .

ففي هذه الآية: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[٢]، دلالة على حرمة التفسير **بالرأي المذموم** الذي لا يستند على العلم، والنتيجة القول على الله بغير علم حرام شأنه شأن غيره من المحرمات الواردة في الآية الكريمة.

٣ – كثيراً ما يحصل للإنسان في التفسير الاجتهادي العلم بمراد الله تعالى من الآيات، ولا يمكن ان نقول: إن ما يحصل في ضوء التفسير الاجتهادي هو الظن دائماً.

---

[١] الكليني، الكافي، ٣١١/٨ .
[٢] سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

٤ – التفكر في القرآن يجب ان يكون بواسطة بيان المعصوم عليه السلام، فنلحظ ان الله سبحانه اضاف البيان الى الناس وان لا يبادروا الى ابداء رأيهم من تلقاء انفسهم[١] في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٢]، ولكن إذا لم نجد أثراً معتبراً عن المعصوم واصحابه، فلابد من التفسير الاجتهادي، لفهم الآيات القرآنية.

٥ – إن المعصوم عليه السلام كثيراً ما يبين جميع نواحي الآيات وجوانبها كما لا نجد حلاً للمشاكل العلمية الجديدة احياناً في التفسير الروائي .

فلابد ان نفسر القرآن تفسيراً اجتهادياً؛ لكي تحل مشاكل العصر وتطبق احكام القرآن في المجتمعات المعاصرة .

ثانياً: جواب عن حديث التفسير بالرأي:

قال الزركشي: (قال أبو الحسن الماوردي في نكته: قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره، وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاد ولو صحبتها الشواهد، ولم يعارض شواهدها نص صريح، وهذا عدول عما تعبدنا بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الاحكام منه، كما قال تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[٣])[٤].

وقال الفيض الكاشاني: فلا بد من تنزيل التفسير المنهي عنه على أحد وجهين:

الأول: أن يكون للمفسر في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه؛ ليحتج على تصحيح غرضه ومدعاه، ولو لم يكن ذلك الرأي والهوى، لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى.

---

[١] ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١٦١/١، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٤٧٤/٢.
[٢] سورة النحل، الآية: ٤٤.
[٣] سورة النساء، الآية: ٨٣ .
[٤] البرهان في علوم القرآن، ٣٠٤/٢ .

والثاني: أن يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيها من الألفاظ المبهمة والمبدلة وغيرها[١].

ويقول العلامة الطباطبائي بعد ذكر الحديث: (الرأي هو الاعتقاد عن اجتهاد، وربما أطلق على القول عن الهوى والاستحسان، وكيف كان لما ورد قوله: "برأيه" مع الإضافة الى الضمير، علم منه أن ليس المراد به النهي عن الاجتهاد المطلق في تفسير القرآن، حتى يكون بالملازمة أمراً بالاتباع والاقتصار بما ورد من الروايات في تفسير الآيات عن النبي وأهل بيته عليهم السلام، على ما يراه أهل الحديث.... بل الإضافة في قوله: برأيه، تفيد معنى الاختصاص والانفراد والاستقلال، بأن يستقل المفسر في تفسير القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي)[٢].

أما الحديث المروي عن عائشة فيمكن توجيهه بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم – حسب هذه الرواية – لا يُفسر القرآن الكريم المُنزل عليه إلا بعد الإيحاء بمعناه من لدن الله تعالى، فالأجدر بعامة المسلمين ان يتحرجوا عن التفسير بالرأي لما في ذلك من الجرأة على الله سبحانه والقول بغير علم ودليل[٣].

وهو الواضح من الروايات التي تحرم تفسير القرآن الكريم بمجرد الرأي كقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (مَن قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)[٤].

بل ان بعض الروايات كانت أكثر تشدداً في حرمة هذا التفسير المبني على الرأي المتبع للهوى والجرئة في القول بكتاب الله، فنلحظ هذا التشدد في الحرمة في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (مَن قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)[٥]. والمتتبع يلحظ ان (الروايات الناهية عن التفسير بالرأي مستفيضة من الطرفين)[٦].

---

[١] التفسير الصافي، المقدمة الخامسة، ٣٤/١ .
[٢] الميزان في تفسير القرآن، ٧٦/٣ .
[٣] ظ: د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص١٠٠.
[٤] الصدوق، كتاب التوحيد، ص٩١، الترمذي، سنن الترمذي، ٢٦٨/٤.
[٥] المجلسي، بحار الأنوار، ٥١٢/٣٠، الترمذي، سنن الترمذي، ٢٦٩/٤.
[٦] الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٤٢١.

إذن من جُملة ما تقدم يُفهم أن من يُحاول معرفة المراد من الآيات القرآنية بواسطة الاجتهاد، طبقاً لأصول التفسير والقواعد والضوابط التفسيرية[١] (التفسير الممدوح)، لا تشمله أحاديث المنع التي تمنع التفسير بالرأي المجرد (التفسير المذموم).

ثالثاً: جواب عن **اجتناب بعض الصحابة والتابعين للتفسير**، فهو:

١. نعم بعض الصحابة والتابعين كفوا انفسهم عن التفسير الاجتهادي وإعمال النظر والرأي، ولكن بقي كثير منهم، إما فسروا بأنفسهم القرآن باجتهاداتهم، او قبلوا هذه الطريقة ولم يرفضوها، فمن هنا يظهر أن الكف لا يدل على المنع.

٢. في زمن الصحابة والتابعين، كان تفسير القرآن المجيد في مراحله الابتدائية، ولم يلمسوا الحاجة إلى إعمال الرأي في التفسير، إضافة الى هذا كانوا قريبي العهد بالنبي ﷺ وكان بأيديهم الحجم الكبير من روايات النبي ﷺ.

٣. بعض الصحابة والتابعين الذين لم يفسروا القرآن بالاجتهاد والعقل، كان ذلك منهم لأجل عدم قدرتهم على الورود في هذا الميدان، فاحتاطوا لدينهم وبقوا على سلامتهم في الفكر والعمل، إذ التفسير الاجتهادي كان علمية خطيرة خصوصاً في ذلك العهد.

رابعاً: جواب عن **اختصاص فهم القرآن بمن خوطب به**، فهو:

١. المراد من هذه الروايات – على فرض صحتها سنداً – وهو: اختصاص فهم القرآن حق فهمه ومعرفة ظاهره وباطنه بمن خوطب به، فلا يمكن لغير المعصوم أن يدعي فهم القرآن حق فهمه ومعرفة كله حق معرفته .

٢. تخصيص فهم القرآن بمن خوطب به مخالف لكثير من الآيات القرآنية الآمرة بالتدبر والتفكر في القرآن، إذ التدبر أو التعقل لازم في الاجتهاد؛ كما أن هذا التخصيص مخالف للسنة الشريفة والسيرة المأثورة .

---

[١] ظ: المؤلف، أصول التفسير – دراسة في المبادئ العامة والضوابط والقواعد، ص٦٣.

مما تقدم **يلحظ** الباحث المدقق في مفهوم التفسير بالرأي عند العلماء ان الخلاف بينهم لفظي لا حقيقي، فالذين اجازوه كانوا ناظرين الى ما كان موافقاً لكلام العرب، ومناحيهم في القول، مع موافقة الكتاب العزيز وسنة المعصوم، ومراعاة سائر شروط التفسير؛ من معرفة الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول وغيرها.

والذين منعوه كانوا ناظرين الى إنه اتباع للهوى والاستحسان، فكان الخلط حينذاك بين التفسير (بالرأي المذموم) وبين التفسير (بالرأي الممدوح) المعني به التفسير بالاجتهاد القائم على أساس الموازين الشرعية.

والذي نعنيه هنا في هذا الفصل **(منهج التفسير بالرأي)** هو النوع الأول الذي لا يُلتزم فيه بالضوابط والشروط التي يحتاجها المفسر، وهذا ما تحرج منه العلماء واحجموا عن القول في كتاب الله من غير علم بالأثر الصحيح أو افتقروا الى الدليل الذي يُستند عليه، وبهذا (فلا يجوز الاعتماد فيه على الظنون والاستحسان، ولا عن شئ لم يثبت أنه حجة من طريق العقل أو من طريق الشرع للنهي عن اتباع الظن، وحرمة اسناد شئ الى الله بغير إذنه..)[١].

إذن إنّ التفسير بالرأي لا يعتبر تفسيراً صحيحاً ومعتبراً؛ وفي الحقيقة لا يعتبر تفسيراً للقرآن (بيانه في بحث التفسير بالرأي). فذكره بين أنواع المناهج التفسيريّة هو من أجل رَدِّه والتنبيه على خطره؛ أي إنّنا إذا تعرّضنا للمناهج التفسيريّة بصورة عامّة (أعمّ من كونها صحيحة أو خاطئة)، فحينئذٍ سيدخل التفسير بالرأي في نطاقها، وسوف نقوم بدراسة وبحث كلّ من هذه المناهج وأقسامها الفرعية وكيفية اعتبارها فيما بعد في الفصول التي تليه.

---

[١] الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٤٢١.

أسباب تؤدي الى التفسير بالرأي:

قد حدد المفسر ابن النقيب (ت:٦٩٨هـ) أبو عبد الله جمال الدين، أسباب تؤدي الى التفسير بالرأي المذموم، وهي[١]:

أولاً: التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير.

ثانياً: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

ثالثاً: التفسير المقرر للمذاهب الفاسدة، بأن يجعل التفسير تابعاً للمذهب، فيرده إليه بأي طريق كان، وإن كان ضعيفاً.

رابعاً: التفسير بأن مراد الله كذا على القطع من غير دليل.

خامساً: التفسير بالاستحسان والهوى المنهي عنه.

ويُمكن تلخيص أسباب الانحراف في التفسير وإعمال الرأي المجرد ترجع إلى:

١. سوء نوايا المفسرين لتحقيق غاياتهم المنكرة وأغراضهم المشبوهة.

٢. أن يعتقد المفسر معنى من المعاني، ثم يُريد أن يحمل ألفاظ القرآن الكريم على ذلك المعنى الذي يميل إليه ويعتقده. وهذا من أهم أسباب الانحراف قديماً وحديثاً.

أول تفسير بالرأي: ويبدو أن مقاتل بن سليمان البلخي (ت:١٥٠هـ) صاحب الاشباه والنظائر في القرآن الكريم كان من أوائل المفسرين بالرأي.

ومسمى تفسيره: تفسير مقاتل[٢]. وكان مقاتل لا يتريث في القول بالتفسير ولا يتثبت من صحة رأيه، فقد حدّث مالك بن أنس (أنه بلغه أن مقاتل جاءه إنسان فقال: أن إنساناً جاءني فسألني عن لون كلب أصحاب الكهف، فلم أدر ما أقول؟ فقال له

---

[١] ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٤٨٢/٢، محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٧٧/٣.

[٢] تحقيق: عبد الله شحاته، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٤هـ .

مقاتل: ألا قلت له أبقع؟ فلو قلته لم تجد أحداً يردّ عليك)[١]، قال ابن حماد: (أول ما ظهر من مقاتل الكذب هذا قال لرجل اما لو قلت اصفر أو كذا من كان يرد عليك)[٢].

وأسرف مقاتل كثيراً في الرواية المكذوبة من غير رادع من ورع وتقوى، فكان ان شخصه أهل العلم ونبهوا الى كذبه، قال الشافعي: (مقاتل قاتله الله تعالى)[٣].

نعم لظهور التفسير بالرأي بوادر في نشوءه ولكن الذي يطمئن إليه الباحث أن الظهور بمعناه الحقيقي لم يكن إلا حين ظهور الفِرق الإسلامية، وخاصة مَن له مذهب خاص فيما يتصل بالعقائد فكان ذلك يدفعهم الى تلوين التفسير باللون المذهبي رداً على خصومهم كما إنبرى لهم خصومهم ففسروا القرآن بما يتفق مع عقائدهم، مع العمل على إبطال آراء الأولين ونمَّى هذا من العصر العباسي، فكان للسلطة أيضاً اثر بارز في اذكاء نار الفرقة والخلاف بين المسلمين[٤].

وأستمرار وجود التفسير بالرأي في وقتنا المعاصر يعود الى إهمال تطوير البحث المنهجي في الدراسات القرآنية وإذكاء المعارك الأيديولوجية بزعم "فهم" جديد للقرآن.

---

[١] ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٧٩/١٠، ظ: د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص١٠٣.
[٢] الصواف محمد بن أحمد (ت:٣٥٩هـ)، فوائد ابي علي الصواف، ص٧١ .
[٣] ابن حجر، العجاب في بيان الاسباب، ٢١٦/١ .
[٤] ولم ندرج ها هنا مصنفات في التفسير بالرأي المذموم إذ ان كل فرقة تدعي ان غير تفاسيرها يكون في مصاف التفسير المذموم، في حين يجد الباحث ان اغلب التفاسير تشمل في طياتها تفسيراً مذموماً لبعض الآيات وهذا أمر واقعي فمن سجية البشر الخطأ. فكيف بعد ان اختلفت المباني التفسيرية!

نماذج على التفسير بالرأي:

• ان يرى المفسر في الثعبان في قصة موسى عليه السلام هو ثعبان النفس لأنه أضاف العصا إلى نفسه في قوله: ﴿**هِيَ عَصَايَ**﴾[١] ويعلم منه أن كل شيء أضفته إلى نفسك وجعلته محل حاجتك فإنه ثعبان يبتلعك ولذلك قال له: ﴿**أَلْقِهَا يَا مُوسَى**﴾[٢] أي ألق عصا النفس[٣].

• ان يرى المفسر ان المقصود من (اليد البيضاء) في قوله تعالى: ﴿**وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ**﴾[٤] هي أن الأيدي قبل تعلقها بالأشياء كانت بيضاء نقية نورانية وروحانية.

• ومن ذلك قول من قال في: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[٥]، انه قصص القرآن[٦].

• ومن ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾[٧] ان نبي الله ابراهيم عليه السلام كان له صديق، وصفه بأنه قلبه، أي ليسكن هذا الصديق الى هذه المشاهدة إذا رآها عياناً[٨].

• فهم معنى ﴿**نَقْدِرَ**﴾ "القُدرة" من قوله تعالى: ﴿**فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ**﴾[٩]، وهو ما ذهب إليه الأخفش، أي: فظنّ أن يفوتنا[١٠].

---

[١] سورة طه، الآية: ١٨ .
[٢] سورة طه، الآية: ١٩ .
[٣] ظ: نظام الدين النيشابوري (ت:٧٢٨هـ)، غرائب القرآن، المذكور في حاشية تفسير جامع البيان، ٢٤/٩.
[٤] سورة طه، الآية: ٢٢ .
[٥] سورة البقرة، الآية: ١٧٩ .
[٦] ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٢٠٢/٤ .
[٧] سورة البقرة، الآية: ٢٦٠ .
[٨] ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٢٠٢/٤ .
[٩] سورة الأنبياء، الآية: ٨٧ .
[١٠] يقول أبو حاتم (ت:٢٥٥هـ): (ولم يعلم كلام العرب حتى قال: إن بعض المفسرين قال: أراد الاستفهام: أفظنّ أن لن نقدر عليه؟ ولو علم أن معنى نقدر: نضيِّق، لم يَخْبِط هذا الخبط، ولم يكن عالماً بكلام العرب، وكان عالماً بقياس النحو). ظ: ابن منظور، لسان العرب، ٧٨/٥ .

• فهم أمد الحمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[١]، إذ يرى المفسر ان مدة الحمل مفتوحة الأجل، فقال: (هو وقت الوضع آخر ستة أشهر، أو تسعة، أو سنتين، أو أربع، أو كما شاء وقدر، وما لم يشأ إقراره محته الأرحام أو أسقطته)[٢].

• التفسير على وفق آيديولوجية مسبقة كما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٣]، قال عطاء ومقاتل: (نزلت في أبي طالب كان ينهى قريشاً عن إيذاء النبي عليه الصلاة والسلام، ثم يتباعد عنه ولا يتبعه على دينه)[٤].

وأخيراً أرى ان المتكلم في هذا النوع من التفسير مُتقحّم مُتكلّف ما لا علم له به، ولم يراع في تفسير القرآن قوانين اللغة ولا نصوص الشريعة وأصول الاستنباط، قد جعل هواه رائده ومذهبه قائده.

• **ومما تجدر الاشارة إليه** قبل مغادرة هذا الفصل (التفسير بالرأي المذموم) ونحن على أبواب فصول لمناهج التفسير بالرأي العقلي – الاجتهادي –، نقول: ان وصف بعض تفاسير القرآن الكريم أنها اعتمدت منهج التفسير بالرأي، لا يقصد به أن تلك التفاسير اعتمدت الرأي المجرد في تفسير القرآن، بل المقصود من هذا الإطلاق أن ذلك النوع من التفسير اعتمد الرأي المستند إلى الدليل في الأعم الأغلب، ولم يعتمد الرأي المجرد، وعلى هذا فالمصطلح ليس على إطلاقه، وإنما مقيَّد بالرأي المعتبر، والموزون بميزان الشرع؛ يرشد لهذا أن التفسير بالرأي المجرد لا اعتبار له عند من يُعتد بقوله من أهل العلم.

---

[١] سورة الحج، الآية: ٥ .
[٢] الزمخشري، الكشاف، ١٤٥/٣.
[٣] سورة الانعام، الآية: ٢٦.
[٤] الرازي، مفاتيح الغيب، ١٨٩/١٢.

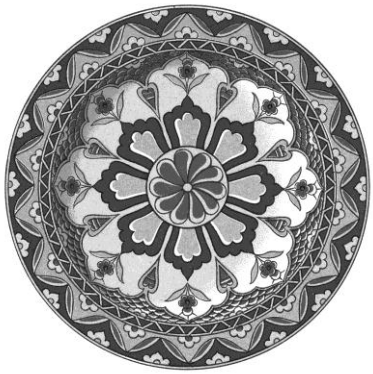

الفصل الرابع

منهج التفسير اللغوي

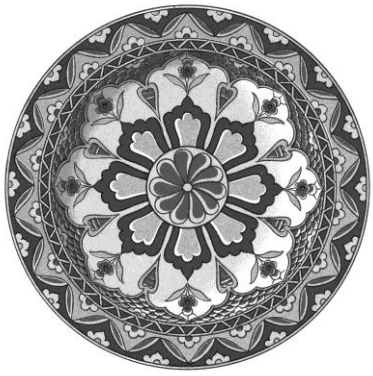

منهج التفسير اللغوي

وهذا المنهج التفسيري من أقدم المناهج التفسيرية، ويهتم بمفردات القرآن الكريم وشكل ألفاظه، وكان موضوعه: إعراب القرآن وغريبه والوجوه والنظائر فيه.

والتفسير اللغوي، بلا شك هو مفهوم مركب، ويمكن تفسيره بالمقتضي اللقبي المركب، بأنه: (بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب)[١]، وهذا التعريف له شقان الأول بيان معاني القرآن، ومعناه أن هناك مناهج تفسيرية متعددة تشترك في بيان معاني القرآن، كتفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن باللغة وهكذا، أما الشق الثاني فيعد مقيداً للشق الأول، ومقتضاه تفسير القرآن بموجب ما ورد في لغة العرب. ومعنى هذا أن التفسير اللغوي يعد أحد المناهج المعتمدة في بيان معاني القرآن الكريم.

أولاً: أهمية المنهج اللغوي: تظهر أهميته بالنظر إلى أن تفسير القرآن منه ما يرجع فيه إلى الوحي نفسه كتاباً وسُنة، ومنه ما يتوقف فهمه على الرجوع إلى اللغة التي أنزل الله تعالى بها كتابه.

قَالَ الإمام جعفر الصادق(ت:١٤٨هـ) عليه السلام: (تَعَلَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ، فَإِنَّهَا كَلامُ اللهِ الَّذِي كَلَّمَ بِهِ خَلْقَهُ)[٢].

وقال الطبري في أحق المفسرين بإصابة الحق: (... وأوضحهم برهاناً فيما ترجم وبين من ذلك ما كان مدركاً علمه من جهة اللسان، إما بالشواهد من أشعارهم السائرة، وإما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة، كائناً من كان ذلك المتأول والمفسر بعد أن لا يكون خارجاً تأويله وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والخلف من التابعين وعلماء الأمة)[٣].

---

[١] د.مساعد بن سليمان الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ص٣٨.
[٢] الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٣٢٧/١٧ .
[٣] جامع البيان في تأويل آي القرآن، ٣٢/١ .

وقال الفقيه الشافعي(ت:٢٠٤هـ): (ومن جماع علم كتاب الله العلم بأن جميع كتاب الله إنما نزل بلسان العرب... والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب)[١].

والأساس في هذا التفسير هو الاعتماد اللغة العربية، لأن القرآن الكريم جاء حاملاً لأعلى مستويات الانجاز الكلامي، من هنا يلزم على المفسر ضرورة أن يكون متمكناً من اللغة العربية، وعلى البحوث البلاغية. قال ابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ): (وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه وفهم مذاهب العرب واقتناءها في الأساليب)[٢].

وهي الإشارة هي التي أكدها الدكتور تمام حسان عندما صرح أن فهم النص القرآني وتحصيل أدبيته، وإدراك جماليته في البيان، والتعبير يتوقف على مدى استثمار جهود اللغويين والبلاغيين والدلاليين، وما قدموه من بحوث، ومساهمات خادمة لهذا العلم...[٣].

إذن من التقريرات التي يلزم التأكيد عليها وأخذها بالحزم والعزم أن القرآن الكريم لا يمكن التعامل معه أو الاستفادة منه علماً أو حكماً إلا وفقاً لمادته العربية، فإن معرفة ألفاظه ودلالاته وفهم مقاصده وأغراضه والوقوف على مقومات بنائه إنما تكون من جهة لسان العرب وقت التنزيل، وإلا كان خروجاً عن الجادة وإدخالاً للقرآن وخطابه المتجاوز في الدائرة البشرية النسبية التي لا تختلف عن سواها من كلام البشر، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ**﴾[٤].

---

[١] الرسالة، ص٤٠ .
[٢] تأويل مشكل القرآن، ص١٢.
[٣] مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن، ص٢٣.
[٤] سورة فصلت، الآية: ٤٤ .

ثانياً: نشأة المنهج اللغوي في التفسير:

ظهرت الحاجة إلى شرح غريب مفردات القرآن، وتتبع جوهره، والبحث في إعرابه خلال عصر التابعين، فقد كانت السليقة العربية تغني مجمل الصحابة عن السؤال والبحث عن ذلك، وكان من المتعذر أن نجد من ألفاظ القرآن، وإعرابه ما خفي على المعاصرين لنزول النص، وإن وجد من تلك الألفاظ ما استعصى على بعضهم، فكان العلم باللغة كالعلم بالأنساب عندهم، إن وجد منهم من توقف في شيء منه، فإن ذلك لا يخفى على جمهورهم حتى لا يعرفه أحد منهم.

قال أبو عبيدة (ت:٢١٠هـ): (فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي ﷺ أن يسألوا عن معانيه، لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه..)[١].

لكن في عصر التابعين وانفتاح العرب على الأُمم ومن ثم اختلاطهم وابتعادهم عن لغتهم الأم كان سبب فشو اللحن، وفساد اللسان، ولا سيما في عصر الدولة الأموية، إذ بدأ اللحن يظهر وينتشر، إلى أن وصل الأمر أن يُعَد مَن لا يلحن[٢].

يقول الزبيدي(ت:٣٧٩هـ): (فاختلط العربي بالنبطي والتقى الحجازي بالفارسي ودخل الدين أخلاط الأمم وسواقط البلدان فوقع الخلل في الكلام وبدأ اللحن في ألسنة

---

[١] الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص٦. وأغلب الظنّ أن ابو عبيدة وكذلك ابن خلدون – كما سيأتي – يقصدون الفهم الأولي للقرآن، لا فهم تمام معانيه بما فيها ذاك الناشئ عن مقاربة الآيات ومقارنتها، فإنه كلّما كان الصحابي حافظاً للقرآن مستحضراً آياته في سبيل مقاربتها ومقارنتها، كان أقدر على الخروج بنتائج أكثر، وهذا أمرٌ طبيعي لكلّ قارئ لنصٍّ نزول نجوماً في ثلاث وعشرين سنة.

[٢] ظ: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٤١.

العوام)[١]، فكان ان احتاج الناس إلى السؤال عن غريب لغة القرآن، ثم احتاجوا إلى إعرابه، ويمكن مما تقدم تحديد **سبب الاحتياج للمنهج اللغوي** في عوامل ثلاثة:

١. ضعف السليقة، وقد كان العرب قديماً يربون أبناءهم في البادية حفاظاً عليها.
٢. اختلاط المسلمين العرب من الفاتحين بغيرهم من الأقوام عن طريق المصاهرة.
٣. دخول عامة العجم إلى الإسلام وحاجتهم لمعرفة تعاليمه.

فظهرت بذلك الحاجة إلى البحث في لغة القرآن فاهتم المفسرون منذ عصر التابعين بإعراب القرآن، وحرصوا على ذلك قبل تقعيد علم النحو، لإدراكهم بأن الإعراب هو الذي يقيم المعنى.

كما أهتم الصدر الأول أيضاً ببيان غريب مفردات القرآن، وكانوا يحتجون للغريب بنظم الشعراء قبل ظهور الإسلام.

وكما تقدم بيانه فإن ابن عباس هو أول مَن اعتمد المنهج اللغوي في تفسيره بعدد من آيات القرآن الكريم في معرض جوابه لنافع ابن الازرق. كما أخرج أبو عبيد بسنده إلى ابن عباس (أنه كان يسأل عن القرآن، فينشد فيه الشعر. قال أبو عبيد: يعني بذلك أنه كان يستشهد به على التفسير)[٢]. وبهذا يكون ابن عباس (من أوائل مَن فسروا القرآن لغوياً إن لم يكن أولهم)[٣]؛ وقد امتدت هذه المدرسة من بعد ابن عباس فشملت جملة صالحه من خيرة العلماء والمحققين ممن سلكوا الطريق وأصابوا فيه كثيراً فألّف أبان بن تغلب (ت:١٤١هـ) تلميذ الإمام جعفر الصادق عليه السلام في غريب القرآن ومعاني القرآن والقراءات[٤].

---

[١] لحن العوام، ص٤.
[٢] السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٣٤٧/١ .
[٣] د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص١٠٦ .
[٤] ظ: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٣٤/١ .

وفي آخر القرن الأول الهجري ومطلع القرن الثاني اتسع مجال الاهتمام بلغة القرآن، وتنوعت العلوم التي تخدم هذه المادة، فظهر: علم نقط القرآن وشكله، وعلم الوقف والابتداء، وعلم الغريب، وعلم لغات القرآن، وغيرها من العلوم.

وقبل أفول القرن الثاني الهجري ظهر في إطار المنهج اللغوي التأليف في:

- إعراب القرآن الكريم.
- غريب مفردات القرآن.
- علم الوجوه والنظائر.

وحين ابتدأ عصر التصنيف اتجه المؤلفون في التفسير اللغوي إلى إفراد كل واحد من المناحي الثلاثة السالفة بالتأليف، على أنه ينبغي الإشارة إلى أن الاهتمام بلغة القرآن لم ينحصر في المفسرين اللغويين فحسب، بل اهتم بها كذلك الأثريون والبيانيون والفقهاء... من المفسرين على تفاوت بينهم في ذلك.

مما تقدم يمكن ان نلحظ ان التفسير باللغة تفسير بالرأي لا من جهة أن اللغة تثبت بالرأي، وإنما من جهة تحديد كون ذلك المعنى هو المراد بالآية أو اللفظ المعين من القرآن.

واستعمال اللغة في تفسير القرآن أخطر ما يسلكه المفسر، فهو إذا فسّر الآية بنفس القرآن أو الحديث أو الأثر، فإنه وإن كان يستعمل رأيه في تتبع النص والأثر والربط له بالآية وتوجيه ذلك، إلا أنه قد أحال واعتمد في غالب أمره على النقل، بينما اللغة بما وقع فيها من السعة واحتمال المعاني الكثيرة المختلفة للفظ الواحد، مع تنوّع الأساليب في تركيب الكلام، لا يسهُل تنزيلُها على ألفاظ القرآن وتراكيبه من دون أصل يرتكز عليه المفسر.

ثم إن الاقتصار على مجرد اللغة لا يُعيِّن المراد الشرعي بالألفاظ، فلفظ الصلاة أو الزكاة أو الصيام مثلاً، لا تُسعفك فيها اللغة لمعرفة مُراد الله تعالى بها، ولذا احتيج الى بيان المعصوم عليه السلام.

ثالثاً: أهمية معرفة قواعد اللغة العربية ومعاني المفردات:

وقبل بيان مصادر وضوابط المنهج اللغوي نرى من الضرورة بمكان ان نبين ولو بالقدر اليسير أهمية معرفة اللغة العربية بعلومها: (النحو والاشتقاق والصرف) ومعاني المفردات، وعلى النحو الآتي:

١. قواعد اللغة العربية:

فبعلم **النحو** يُميز الفاعل عن المفعول، والمفعول عن التمييز، إلى غير ذلك من القواعد التي يتوقف عليها فهم معرفة اللغة. فالنحو في (وضعه المقنَّن مادة ضرورية للتفسير يُعتمد عليها في تحليل التركيب القرآني، وبيان مواقع المفردات بعضها من بعض، وما استقرَّ فيها من روابط الإعراب)[١].

وأمّا علم **الاشتقاق** فهو الذي يُبين لنا مادة الكلمة وأصلها حتى نرجع في تبيين معناها إلى جذورها، وهذا أمر مهم زلّت فيه أقدام كثير من الباحثين، وهذا هو المستشرق (فوجل) مؤلف (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) الذي جعله كالمعجم لألفاظ القرآن الكريم وطبع لأوّل مرة عام ١٨٤٢م، فقد التبس عليه جذور الكلمات في موارد كثيرة، ذكر فهرسها محمد فؤاد عبد الباقي مؤلف (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) في أوّل معجمه.

حيث زعم انّ قوله: (وقرن) في قوله سبحانه مخاطباً لنساء النبيّ ﷺ: ﴿**وَقرن في بُيوتِكُنَّ**﴾[٢] مأخوذ من قَرَن مع أنّه مأخوذ من (قرَّ) فأين القَرْن من القرّ والاستقرار؟! كما زعم انّ المرضى في قوله سبحانه: ﴿**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى**﴾[٣] مأخوذ من رضي مع أنّه مأخوذ من مرض فأين الرضا من المرض؟! وقس على ذلك غيره.

---

[١] محمد الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، ص٣٦.
[٢] سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
[٣] سورة التوبة، الآية: ٩١.

وأمّا علم **الصرف** فبه يعرف الماضي عن المضارع وكلاهما عن الأمر والنهي إلى غير ذلك، وما ذكرنا من الشرط ليس تفسيراً لخصوص القرآن الكريم بل هو شرط لتفسير كلّ أثر عربي وصل إلينا[١].

٢. معاني المفردات

إنّ الجملة تتركّب من مفردات عديدة يحصل من اجتماعها جملة مفيدة للمخاطب، فالعلم بالمفردات شرط لازم للتفسير، فلولا العلم بمعنى (الصعيد) كيف يمكن أن يُفسر قوله سبحانه: ﴿**فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً**﴾[٢].

وقد قام ثلّة من الباحثين بتفسير مفردات القرآن، وفي طليعتهم أبو القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت:٥٠٢هـ) فألّف كتابه المعروف بـ (المفردات) وهو كتاب قيّم، وأعقبه في التأليف مجد الدين أبو السعادات مبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (ت:٦٠٦هـ) فألّف كتابه (النهاية في غريب الحديث والأثر) وهو وإن كان يفسر غريب الحديث لكن ربما يستفيد منه المفسر في بعض المواد.

نعم ما ألّفه المحقّق فخر الدين بن محمد بن علي الطريحي (ت:١٠٨٥هـ) بأسم (مجمع البحرين ومطلع النيرين) يعمّ غريب القرآن والحديث معاً، وهذا لا يعني عدم الحاجة إلى الرجوع إلى سائر المعاجم، كالصحاح للجوهري (ت:٣٩٣هـ)، ولسان العرب لابن منظور الافريقي (ت:٧٠٧هـ)، والقاموس للفيروز آبادي (ت:٨٣٤هـ).

وفي المقام أمر مهمّ، وهو أن يهتمّ المفسِّر بأُصول المعاني التي يشتق منها معان أُخرى، فانّ كلام العرب مشحون بالمجاز والكنايات، فربما يستعمل اللفظ لمناسبة خاصة في معنى قريب من المعنى الأوّل فيبدو للمبتدئ انّ المعنى الثاني هو المعنى الأصلي للكلمة يفسر بها الآية مع أنّها معنى فرعيّ اشتق منه لمناسبة من المناسبات.

---

[١] ظ: جعفر السبحاني، المناهج التفسيريّة في علوم القرآن، ص٢٥.
[٢] سورة المائدة، الآية: ٦.

وأفضل كتابين أُلّفا في هذا الموضوع أي إرجاع المعاني المتفرعة إلى أُصولها:

أ: (المقاييس) لأحمد بن فارس بن زكريا (ت:٣٩٥هـ) طبع في ستة أجزاء.

ب: (أساس البلاغة) للزمخشري (ت:٥٣٨هـ). فبالمراجعة إلى ذينك المرجعين يعرف المفسِّر المعنى الأصلي الذي يجب أن يفسر به الكلمة في القرآن الكريم ما لم تقم القرينة على خلافه، ومثالنا هنا:

قوله سبحانه في قصة آدم: ﴿**وَعَصى آدمُ رَبَّهُ فَغَوى**﴾[١] فإنّ كثيراً من المتعاطين لعلم التفسير يتخذون الكلمتين ذريعة لعدم عصمة آدم بذريعة انّ لفظة (عصى) عبارة عن المعصية المصطلحة، و(الغواية) ترادف الضلالة، لكن الرجوع إلى أُصول المعاني يعطي انطباعاً غير ذلك، فلا لفظة (عصى) ترادف العصيان المصطلح ولا الغواية ترادف الضلالة.

أمّا العصيان فهو بمعنى خلاف الطاعة. يقول ابن منظور: (العصيان خلاف الطاعة، والعاصي الفصيل إذا لم يتبع أمه).[٢]

فمن خالف أمر مولاه، أو نصح الناصح، يقال: عصى، وعلى ذلك فليس كلمة (عصى) إلاّ موضوعة لمطلق المخالفة، سواء أكانت معصية كما إذا خالف أمر مولاه، أو لم تكن كما إذا خالف نصح الناصح.

ولا يمكن أن يستدل بإطلاق اللفظ على أنّ المورد من قبيل مخالفة أمر المولى.

وأمّا الغيّ فهو . كما في لسان العرب . يستعمل في الخيبة والفساد والضلال[٣]، ومن الواضح انّ هذه المعاني أعمّ من المعصية الاصطلاحية، ومن مخالفة نصح الناصح.

---

[١] سورة طه، الآية: ١٢١.
[٢] لسان العرب، ٦٧/١٤.
[٣] ظ: ابن منظور، لسان العرب، ١٤٠/١٤.

رابعاً: مصادر وضوابط المنهج اللغوي:

إذن مع ما للُّغةِ من الأهميَّةِ في فهمِ القرآنِ والردِّ على انحرافاتِ بعضِ التَّفاسيرِ، فإنها لا تعتبرُ المصدرَ الوحيدَ، بل هناكَ ما يُقدَّمُ عليها من المصادر عند الاختلافِ في فهم معنى الآيةِ، ولذا لا يصحُّ أن يُحملَ المعنى على غيرِ ما يدلُّ عليه من المصادر، كما ولا بد من وضع ضوابط يلتزم بها المفسر لآي الذكر الحكيم.

١) أهمِّ هذه المصادرِ:

١ – القرآنُ نفسُه؛ لأنَّه قدْ يفسِّرُ بعضُه بعضاً.

٢– معرفةُ سُنة المعصوم عليه السلام.

٣ – معرفةُ المصطلحاتِ الشَّرعيَّةِ.

٤ – أقوالُ الصَّحابةِ، والتَّابعينَ وأتباعِهم.

٥ – أسبابُ النُّزولِ، وقَصَصُ الآيِ، وغيرُها مَمَّا قد يحُفُّ بآيةٍ دونَ غيرِها. فإذا استوعبَ المفسِّرُ هذه المعلوماتِ، وغيرَها من العلومِ التي يحتاجُها، أمكنَه أنْ يجتهدَ في التَّفسيرِ، ويرجِّحَ فيه بينَ الأقاويلِ.

٢) ضوابط التفسير باللغة: ذكرت كتب مناهج المفسرين والدراسات القرآنية ضوابط لمنهج التفسير اللغوي، والتي منها:

١. أن تُفَسَرَ الآيات بالمعاني التي كانت معروفة عند العرب وقت نزول القرآن، حقائق كانت أو مجازات.
٢. كل تفسير ليس له أصل في لغة العرب فهو مردود.
٣. وجوب مراعاة السياق.
٤. ليس كل ما ورد في اللغة يلزم وجوده في القرآن.
٥. إذا كان الكلام يحتمل الحقيقة والمجاز، قُدِمَتْ الحقيقة.
٦. لا يجوز العدول عن الظاهر إلا بقرينة.
٧. ضرورة التنبه إلى خلود معاني اللفظ القرآني وتجدد فهم معانيها بتجدد الزمن.

خامساً: إنموذج من التفسير اللغوي:

وفيما يأتي إنموذجاً على التفسير اللغوي، وكان اختيارنا على أبي حيان الاندلسي في تفسيره البحر المحيط كونه آخر رواد هذا المنهج.

تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي

هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بأبي حيان، ولد في إحدى قرى غرناطه سنة ٦٥٤هـ، وتوفي في القاهرة سنة ٧٤٥هـ.

قال عنه الداودي: (نحوي عصره، ولغويه، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه) [١].

ومن مؤلفاته: تفسير (النهر الماد من البحر)، و(تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب) وغير ذلك.

وكان يعظم سيبويه جداً، وكان بينه وبين ابن تيمية ودّ، وقد مدحه بقصيده ثم انحرف عنه ونال منه، وقيل إن سبب ذلك انه بحث معه في العربية، فخالف ابن تيمية سيبويه، وذكر ان له أخطاء، فكان ذلك سبب انحراف ابي حيان عنه[٢].

منهجه التفسيري:

- يكثر أبو حيان فيه من التعرض للمسائل النحوية ويتوسع في ذكر الخلاف بين النحويين وفي إعراب الكلمات.
- يتكلم عن المعاني اللغوية للمفردات أولاً، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان شرح ذلك في أول موضع ترد فيه الكلمة.
- يذكر القراءات الواردة في الآية، ويوجهها نحوياً، ويذكر الشاذ والمستعمل.
- يعنى بالناحية البلاغية بيانياً وبديعاً.
- ينقل أبو حيان من تفسير الزمخشري كثيراً، ومن تفسير ابن عطية أيضاً، ويتعقبهما في آرائهما النحوية.

---

[١] طبقات المفسرين، ص٤٩٢.
[٢] ظ: المصدر نفسه، ص٤٩٣.

– تميز هذا التفسير بمنهجية المقارنة بين أقوال المفسرين وذكر أدلتهم والمقارنة بينها، ثم الخروج بالراجح منها.

إنموذج من تفسيره:

تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ**﴾[١].

(التوراة): اسم عبراني، وقد تكلف النحاة في اشتقاقها وفي وزنها، وذلك بعد تقرير النحاة أن الأسماء الأعجمية لا يدخلها اشتقاق، وأنها لا توزن، يعنون اشتقاقاً عربياً. فأما اشتقاق (التوراة) ففيه قولان: أحدهما: إنها من: ورى الزند يرى، إذا قدح وظهر منه النار، فكأن التوراة ضياء من الضلال، وهذا الاشتقاق قول الجمهور، وذهب أبو فيد مورج السدوسي إلى أنها مشتقة من: ورى، كما روي أنه كان إذا أراد سفراً ورى بغيره؛ لأن أكثر التوراة تلويح.

وأما وزنها فذهب الخليل، وسيبويه، وسائر البصريين إلى أن وزنها: فوعلة، والتاء بدل من الواو، كما أبدلت في: تولج، فالأصل فيها ووزنه وولج؛ لأنهما من ورى، ومن ولج، فهي: كحوقلة، وذهب الفراء إلى أن وزنها: تفعلة، كتوصية، ثم أبدلت كسرة العين فتحة والياء ألفا، كما قالوا في: ناصية، وجارية: ناصاه وجاراه.

وقال الزجاج: كأنه يجيز في توصية توصاه، وهذا غير مسموع، وذهب بعض الكوفيين إلى أن وزنها: تفعلة، بفتح العين من: وريت بك زنادي، وتجوز إمالة التوراة وقد قرئ بذلك.

(الإنجيل) اسم عبراني أيضاً، وينبغي أن لا يدخله اشتقاق، وأنه لا يوزن، وقد قالوا: وزنه: إفعيل كإجفيل، وهو مشتق من النجل،وهو الماء الذي ينز من الأرض.

---

[١] سورة آل عمران، الآية: ٣ – ٤.

قال الخليل: استنجلت الأرض نجالاً، وبها نجال، إذا خرج منها الماء، والنجل أيضاً: الولد والنسل، قاله الخليل، وغيره، ونجله أبوه أي: ولده، وحكى أبو القاسم الزجاجي في نوادره: أن الولد يقال له: نجل، وأن اللفظة من الأضداد، والنجل أيضاً: الرمي بالشيء.

وقال الزجاج: الإنجيل مأخوذ من النجل، وهو الأصل، فهذا ينحو إلى ما حكاه الزجاجي.

قال أبو الفتح: فهو من نجل إذا ظهر ولده، أو من ظهور الماء من الأرض، فهو مستخرج إما من اللوح المحفوظ، وإما من التوراة، وقيل: هو مشتق من التناجل، وهو التنازع، سمي بذلك لتنازع الناس فيه.

وقال الزمخشري: التوراة والإنجيل اسمان أعجميان، وتكلف اشتقاقهما من الوري والنجل، ووزنهما متفعلة وإفعيل: إنما يصح بعد كونهما عربيين، انتهى، وكلامه صحيح، إلا أن في كلامه استدراكاً في قوله: متفعلة، ولم يذكر مذهب البصريين في أن وزنها: فوعلة، ولم ينبه في: تفعلة، على أنها مكسورة العين، أو مفتوحتها.

وقيل: هو مشتق من نجل العين، كأنه وسع فيه ما ضيق في التوراة[١].

[١] ظ: ابو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ٣٧١/٢، ونلحظ النقل واضحاً عند مراجعتنا للمفسر: ابن عطية الاندلسي، ظ: المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، ٣٩٨/١.

الفصل الخامس

منهج التفسير البياني

"الأدبي"

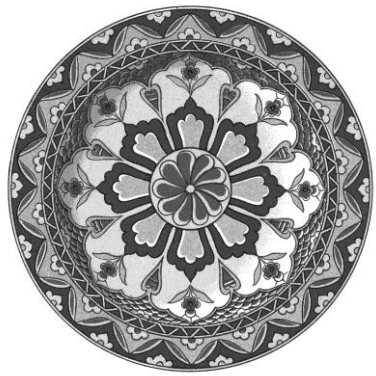

منهج التفسير البياني "الأدبي"

هو عبارة عن استقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده للوصول الى دلالته وعرض الظاهرة الاسلوبية على كل نظائرها في الكتاب المحكم، وتدبّر سياقها الخاص في الآية والسورة ثم سياقها العام في المصحف كلّه التماساً لسرّه البياني.

أي: اظهار ما في الألفاظ من قيم جمالية وما بين اللفظ والمعنى من علاقة وكشف دلالاتها.

أولاً: تأريخ وتطور المنهج البياني: نورد خلاصة المنهج البياني الذي بدأت ملامحه الأولى عند الجاحظ (ت:٢٥٥هـ)، فخصص كثيراً من مباحثه في كتابه (نظم القرآن) الى استيفاء جمال العبارة، واستخراج ما فيها من مجاز وتشبيه بمعانيها الواسعة غير المحددة، إلا أن هذا العرض من قبل الجاحظ جاء مجزءاً وفرقاً ولم يكن متفرغاً للقرآن كله بل لبعض من آياته، حتى إذا برز الشيخ عبد القادر الجرجاني (ت:٤٧١هـ) في كتابيه: "دلائل الاعجاز" و"أسرار البلاغة" فكانت الحال مختلفة، فالجرجاني عالم واسع الثقافة، مرهف الحس، متوقد الذكاء، وقد استعمل ذلك في استنباط الاصول الاستعارية والابعاد التشبيهية، والمعالم المجازية لآيات القرآن الكريم، وأخضعها باعتبارها نماذج حية للتطبيق العلمي، وهذه النماذج تتضح بها معاني القرآن في صوره البيانية، وجوانبه الفنية، فهو أوسع بكثير من الجاحظ في هذا المضمار، إلا أن الصورة التكاملية للقرآن مفقودة في كلا الكتابين على عظم قدرهما البلاغي، ومفتقرة الى السعة لتشمل القرآن أجمع، حتى إذا جاء جار الله الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) فتح لنا عمق دراسة جديدة في البلاغة القرآنية التطبيقية، انتظمت على ما ابتكره عبد القاهر الجرجاني، وما أضافه هو من نكت بلاغية، ومعان اعجازية، اعتمدت المناخ الفني فعاد تفسيره المسمى "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون

الأقاويل في وجوه التأويل" كنزاً من المعارف لا تنتهي فرائده، وقد تجلى فيه ما أضافه من دلالات جمالية في نظم المعاني.

أما في **العصر الحديث** يُعد أمين الخولي (ت:١٩٥٦م) من أبرز أعلام هذا منهج التفسير الأدبي أو البياني ومؤسسيه في العصر الحديث، الذى يعنى بالجوانب البلاغية كمدخل لتجديد مناهج التفسير في العصر الحديث، حيث يرى الخولي أن القرآن هو "كتاب العربية الأكبر" وأن المقصد الأسبق والغرض الأبعد هو النظر في القرآن من حيث هو (كتاب العربية الأكبر، وأثرها الأدبي الأعظم، فهو الكتاب الذى أخلد العربية، وحمى كيانها وخلد معها...)[١] ثم يصل في تحديده لأهمية المدخل الأدبي لمعالجة وتفسير وفهم "النص القرآني" إلى قوله: (... إن التفسير اليوم – فيما أفهمه – هو الدراسة الأدبية، الصحيحة المنهج، الكاملة المناحي، المتسقة التوزيع، والمقصد الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف، غير متأثر بأي اعتبار، وراء ذلك... وعليه يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد إليه ... هذه هي نظرتنا إلى التفسير اليوم وهذا غرضنا منه)[٢]، وهذا التفسير الأدبي عندي هو الذى يجب أن يتقدم كل محاولة لمعرفة شئ من فقه القرآن، أو أخلاق القرآن، أو عبارات الإسلام ومعاملاته في القرآن.[٣]

وأبدع جمع من العلماء والباحثين في هذا النمط التفسيري كان من بينهم سيد قطب (ت:١٩٦٦م) في تفسيره "في ظلال القرآن" وفي كتابيه "التصوير الفني في القرآن" و"مشاهد القيامة في القرآن"، وبنت الشاطئ – عائشة عبد الرحمن – في كتابها "التفسير البياني في القرآن الكريم" وكتابها "الإعجاز البياني في القرآن الكريم"، والدكتور تمام حسان (ت:٢٠١١م) في "كتابه البيان في روائع القرآن"، والدكتور محمد حسين الصغير في كتابه "الصورة الفنية في المثل القرآن – دراسة نقدية وبلاغية –"

---

[١] دراسات إسلامية، ص٣٧.
[٢] من هدى القرآن، ص٨.
[٣] ظ: دراسات إسلامية، ص٣٨ .

وكتابه "المجاز في القرآن الكريم" وبدوي طبانه في كتابه "من بلاغة القرآن"، ووهبة الزحيلي في "التفسير المنير"، ومحمد المبارك في "دراسة أدبية لنصوص من القرآن"، وكامل سلامة في "التفسير الأدبي لسورة لقمان"، وشوقي ضيف في "سورة الرحمن وسور قصار"، والدكتور حسن باجودة في "تأملات في سورة الفاتحة" وغيرها[١].

ولا شك أنّه نمط بديع بين التفاسير، إذ لا يماثل شيئاً مما أُلف في القرون الماضية من زمن الطبري الى العصر الأخير الذي عرف فيه تفسير الشيخ محمد عبده وتفسير المراغي، فهذا نمط لا يشابه التفاسير السابقة، وهذا لا يبخس حق المتقدمين، ولكن الدراسات السابقة لم تصل في مقصدها الى ما وصلت إليه فيما بعد.

فالدراسات السابقة كانت وسيلة وليست غاية، أما الدراسات المعاصرة قصدها الأول أدبي محض صرف غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك .. وعليه يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد إليه، وهي بهذا تؤصل للمنهج البياني للقرآن الكريم.

ثانياً: الأهداف الأساسية للمنهج البياني: يحدد أمين الخولي الأهداف الأساسية للتفسير الأدبي، والتى ترمى إلى تحقيق مجموعة من التأثيرات النفسية والاجتماعية والتي عن طريقها تتحقق أهداف الرسالة الإسلامية، وتتمثل أهداف التفسير الأدبي فيما يأتي[٢]:

١. أنها تقصد إلى التدبير النفسي والاجتماعي في القرآن للحياة الإنسانية، وهذا هو المجال الخاص للقرآن وهو السبيل لتحقيق أهداف الرسالة الإسلامية وتأثيرها على الحياة. وإنكار التفسير العلمي هو من كبريات قضايا المنهج الأدبي في التفسير.

---

[١] ظ: د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص١١٢، د. فهد عبد الرحمن الرومي، إتجاهات التفسير، ص٨٨٢، د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، مناهج تفسير النص القرآني، ص١١٠، د. محمد قاسم الشوم، علوم القرآن ومناهج المفسرين، ص٣٤٩.

[٢] ظ: من هدى القرآن، ص٩ – ١٠.

٢. يعمد التفسير الأدبي إلى معاني الآيات القرآنية التى تؤديها ألفاظها العربية المبنية، كما كان يفهما أهل العربية في عهد نزول القرآن ولا تجاوز ذلك فتحمل ألفاظ القرآن شيئاً من المعاني الباطنية أو الإشارة، أو التأويلات المذهبية، أو الصناعات التي تنشط لها علوم العربية من نحو منطقي بعيد عن الطبيعة اللغوية، أو بلاغة فلسفية نظرية نائية عن الأجواء الفنية.

٣. يهدف التفسير الأدبي – أيضاً – إلى تفسير القرآن موضوعات، لا سوراً، وأجزاء، وقطعاً متصلة، على ضرب من الترتيب.

ثالثاً: أبعاد المنهج البياني: ويربط الخولي في رسمه لمنهجية التفسير الأدبي بين بُعدين أساسيين يتعلقان بهذه المنهجية:

أولاً: البُعد النفسي، حيث يؤكد أمين الخولي على أن ما استقر من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس قد مهد السبيل إلى القول بالإعجاز النفسي للقرآن، بما عرف العلم من أسرار حركات النفس البشرية في الميادين التى تناولتها دعوة القرآن الدينية، وجدله الاعتقادي، ورياضته للوجدانات والقلوب.

ثانياً: البُعد الاجتماعي، ويتمثل ذلك في العلم بأحوال البشر وهو ما لا يتم التفسير إلا به.

ويؤكد أمين الخولي على حضور (الإصلاح الاجتماعي) و(الإصلاح النفسي) في مقاصد القرآن من خلال التفسير الأدبي، وهو ما يوضحه في حديثه في كتابه: (من هدى القرآن) تحت عنوان (القادة ... الرسل) بقوله: (... ونريد هنا لنقف عند هذه الوحدة للاستعمال القرآني في تعبيره بالضعف والضعفين ﴿فَيُضَاعِفَهُ﴾[١] وهي وقفة أدبية... على أنها وقفة ليست وقفة يراد منها الفن للفن، بل هي فنه المرتبط بالهدف الاجتماعي الذى يرمى إليه القرآن دائماً، نبتغيه أول ما يبتغى من هذه الأحاديث... وأن الفن يرجى للفن وحده، فإنا لا نأخذ هنا بهذا الاتجاه. ولا نحسب القرآن قد أخذ به

---

[١] سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

لأنه يجعل فنه القوى وسيلة لإصلاح الحياة البشرية، ذلك الإصلاح الخلقي والاجتماعي العام الذى أنزل من أجله هدى للناس ورحمة[١].

وتواصل عائشة عبد الرحمن (ت: ١٩٩٨م) تطبيقاً لمنهجية التفسير الأدبي في التعامل مع النص القرآني، فتؤكد (أن طبيعة النص القرآني من حيث هو كتاب هدى ودين، تقتضي توجيه كل لفظ وآية إلى مناط الهداية والاعتبار)[٢].

وتبدأ تفسيرها حول موضوع (الإنسان) بتتبع اللفظة وورودها واستقرائها في السور المتعاقبة، توضح المعنى المشترك، والخصائص ومقصدها الإصلاحي في كل موضوع، ومن الأمثلة التطبيقية لهذا المعنى ما تورده حول لفظه إنسان، فتقول: (وقد ورد لفظ "الإنسان" في القرآن الكريم، في خمسة وستين موضوعاً، نتدبر سياقها جميعاً، فنطمئن إلى الدلالة المميزة للإنسانية ونبدأ بسورة العلق، أول ما نزل من كتاب الإسلام، وفيها يمكن أن نجتلي الملامح العامة للإنسان، وقد تكرر في هذه السورة الأولى ثلاث مرات؛ إحداها: تلفت إلى آية خلقه من علق، والثانية: تشير إلى اختصاصه بالعلم، والثالثة: تحذر مما يتورط فيه من طغيان، حين يتمادى، به الغرور فيرى أنه استغنى عن خالقه)[٣].

وهكذا تستمر في تفسير لفظ "الإنسان" والموضوعات التى ترتبط بها في كل سور القرآن، وتناقش فيها عدة موضوعات فكرية واجتماعية مثل (قصة الإنسان، مصير الإنسان، إنسان العصر بين الدين والعلم).

ويبدو للباحث ان هذه الابعاد في المنهج الأدبي من الأسباب التي تفرع منه المنهج الاجتماعي[٤]، إذ ان رؤية الخولي وبنت الشاطئ للمنهج الأدبي مستوحاة من هذه الابعاد وان كان ليس كل من فسر بالمنهج الأدبي كان ناظراً بالضرورة لها.

---

[١] ظ: أمين الخولي، من هدى القرآن، ص١٠٩.
[٢] د. عائشة عبد الرحمن، القرآن وقضايا الإنسان، ص٢٢.
[٣] المصدر نفسه، ص٢٠.
[٤] ظ: الفصل الثامن: منهج التفسير الاجتماعي من هذا الكتاب.

رابعاً: ضوابط المنهج البياني الأدبي:

للمنهج البياني ضوابط، توضّحها الدكتورة عائشة عبد الرحمن، من خلال ما استخلصته من استاذها أمين الخولي، وهي[١]:

١. جمع كل ما في الكتاب العزيز من سور وآيات في الموضوع المدروس.
٢. ترتيب الآيات على وفق نزولها لمعرفة ظروف المكان والزمان، والاستئناس بالمرويات في أسباب النزول. دون أن يفوت المفسِّر أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية.
٣. تلمّس الدلالة اللغوية الأصلية، ثم لمح الدلالة القرآنية باستقراء كل ما في القرآن من صيغ اللفظ، والأخذ بسياقها العام في القرآن كلّه.
٤. الاحتكام إلى سياق النص، بعيداً من أقوال المفسّرين، ثم ضبط أقوال المفسّرين من خلال عرضها على النص، كذلك ضبط أقوال النحويين والبلاغيين بعرضها على النص نفسه.

فهو لون من التفسير الموضوعي أولاً، وتفسير القرآن بالقرآن ثانياً، والنقطة البارزة في هذا النمط هو استقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده في الكتاب.

والذي **يؤخذ** على هذا النوع من التفسير أنه لا يكفي في تفسير الآيات الفقهية من غير مراجعة السنّة، لأنها عمومات فيها مخصصها، أو مطلقات فيها مقيدها، أو مجملات فيها مبينها.

[١] ظ: د. بنت الشاطئ، التفسير البياني، ١٠/١، جعفر السبحاني، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، ص١٤٥.

خامساً: انموذج على المنهج البياني:

تفسير الزمخشري (ت:٥٣٨هـ):

"**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**"

هو ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي حنفي المذهب معتزلي المعتقد، ويلقب بجار الله، ولد سنة (٤٦٧هـ) في زمخشر من قرى خوارزم، وقدم الى بغداد وتلقى العلم على مشاهير العلماء، وبعد ان تلقى العلم رحل الى مكة، وألَّف فيها تفسيره "الكشاف" ثم عاد الى خوارزم، وتوفي فيها، وهو إمام من أئمة اللغة، ومن رجال فرقة المعتزلة، ومن مؤلفاته: "أساس البلاغة" و"الفائق في غريب الحديث" و"المُفصَّل" في النحو... [١] وغيرها.

سبب تأليف الكشاف: ذكر الزمخشري في مقدمة كشافه قصة تأليف كتابه هذا وضح فيها ما كان منه من التردد بين الإقدام عليه والإحجام عنه أولاً، ثم العزم المصمم منه على تأليفه حتى أخرجه للناس. فذكر أنه كان في بداية الأمر يرى من التعجب والاستحسان في وجوه أصحابه وتلاميذه عند تفسيره لبعض آيات القرآن، مما جعلهم يستطيرون شوقاً إلى تأليف يجمع أطرافاً من ذلك حتى اقترحوا عليه أن يملي عليهم الكشف حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. وبعد رفض منه اقتنع في نهاية الأمر وبدأ في الكتابة في الحرم المكي حتى أخرج للناس هذا الكتاب[٢].
وقد قال شعراً يمدح تفسيره[٣]:

إنّ التفاسير في الدنيا بلا عددٍ ... وليس فيها لعمري مثلُ (كشافي)
إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ... فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

---

[١] ظ: السيوطي، طبقات المفسرين، ص١٢٠.
[٢] ظ: الزمخشري، الكشاف، ٤٣/١.
[٣] ظ: الداوودي، طبقات المفسرين، ص٥١١.

ولأهمية هذا التفسير تصدى له كثير من العلماء ما بين مختصر له أو شارح أو معلق عليه أو مخرج لأحاديثه، أو شواهده الشعرية[١]، ولكن الغالب على المتصدين له من المفسرين كانت رداً على الآراء الاعتزالية للزمخشري في الكشاف، لهذا ارجئنا ذكرها في فصل منهج التفسير الكلامي من هذا الكتاب.

منهجه في تفسير الكشاف:

لم يخرج "الكشّاف"، في مستوى التعامل مع آيات المصحف، عمّا سبقه من التفاسير؛ فقد كرّس المنهجيّة الخطّيّة التي تراعي ترتيب الآيات في الكتاب، وهي منهجيّة فرضت نفسها على المفسّرين مع مساهمة الطبري (ت:٣١٠هـ) في تفسيره. ذلك أنّ السورة تُفسّر آية آية، ويقع أحياناً الجمع بين عدد من الآيات. ومن غير المفيد، ههنا، ذكر مثال على ذلك، بما أنّ الزمخشري قد اتّبع هذه الطريقة في كامل تفسيره، ومن أهم مميزات منهج الزمخشري:

١- غلب عليه إظهار ثروة القرآن البلاغية التي لها أثر كبير في عجز العرب عن معارضته وقد تأثر بهذه الطريقة جميع المفسرين الذين جاؤوا بعده، ولذلك امتاز تفسير أهل المشرق على أهل الأندلس بهذا الفن في التفسير[٢].

٢- يتعرَّض بدون توسُّع الى المسائل الفقهية التي تتعلق ببعض الآيات باعتدال، ودون تعصب لمذهبه الحنفي الفقهي[٣].

٣- يقلّ من الروايات الإسرائيلية، وما يَذكر منها يُصدِّره بلفظ "روي" المشعر بالضعف، أو يفوّض علمها الى الله، وهذا غالباً فيما لا مساس له بالدين، وأحياناً ينبه على درجة الرواية ومبلغها من الصحة أو الضعف.

---

[١] للتوسعة ظ: حاجي خليفة، كشف الظنون، ١٤٧٥/٢.

[٢] ونلحظ هنا ان الزمخشري يرى أن الإعجاز في القرآن قائم في النُظم مخالفاً في ذلك للنظّام إبراهيم بن سيّار (ت:٢٣١هـ) رأس المعتزلة الذي يرى الإعجاز بالصرفة، والصرفة تعريفها: "صرف الهمم عن المعارضة"، الرماني، النكت في إعجازالقرآن، ص١١.

[٣] ظ: الزمخشري، الكشاف، ٢٩٢/١، سورة البقرة، الآية: ٢٢٢. الكشاف،٥٥٤/٤، سورة الطلاق، الآية: ١.

٤- الزمخشري قليل أيضاً بالاستشهاد بالحديث النبوي، ويورد أحياناً الأحاديث الضعيفة الخاصة في فضائل السور.

٥- خلو التفسير من الحشو والتطويل؛ لما تقدم من إقلال الزمخشري للموارد اعلاه.

٦- عوّل الزمخشري، في تحديد المعاني القرآنية التي انتهى إليها عبر التفسير، على مسلكيْن اثنين هما الاستشهاد بالشِعر وضَرْب الأمثال[١].

٧- طرح أكثر بحوثه بأسلوب المحاكاة السؤال والجواب، بصورة: إن قُلتَ، قلتُ[٢]، ولهذا نجد حتى العلماء من المفسرين وغيرهم الذين تكلموا عن الزمخشري وعن تفسيره من الناحية الاعتزالية قد أثنوا عليه من الناحية الأدبية والبلاغية والنحوية.

٨- حرص الزمخشري على تحقيق القراءات والعناية بصور اختلافها، فكان يذكر مختلف القراءات التي انتهت إليه عبر التفاسير السابقة له، ويختار منها ما يوافق التأويل الذي ارتضاه عنه تفسير آية من الآيات[٣].

٩- انتصاره لمذهبه الاعتزالي: ومن ثَم تفسير آيات القرآن الكريم على أصول فرقة المعتزلة الخمسة: (التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

١٠- وهو شديد على مخالفيه من (الأشاعرة)، ويذكرهم (بعبارات الاحتقار، ويرميهم بالأوصاف المقذعة، ويمزج حديثه عنهم بالسخرية والاستهزاء)[٤].

---

[١] ظ: الزمخشري، الكشاف، ١٦٩/١، سورة البقرة، الآية ٥٤.

[٢] هذا الأسلوب وإن اختاره الآخرون من المفسرين نحو الطبري، وقاضي عبدالجبار وغيرهما إلا أنهم لم يستعملوه في سياق تناول مسائل البلاغية والبيان عند تفسير الآي القرانية، أما العلامة الزمخشري فقد ركز عليه، واعتنى به اعتناء بالغا حين تعرضه لمواطن بلاغة القرآن الكريم. وهذا مما زاد من قيمة تفسير "الكشاف" فجعل النفوس تميل إلى تفسيره، والطباع ترغب في قراءته وتناوله.

[٣] ظ: الزمخشري، الكشاف، ١٥٩/١، سورة البقرة، الآية: ٣٩.

[٤] د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص١٧٨.

ومن أجل هذا الخلاف العقائدي بين الزمخشري والاشاعرة نشاهد أن الخصومة بينهم قد وصلت حدها من العنف والقوة فكل منهم يتهم صاحبه بالزيغ والضلال والابتداع وجعله في مصاف الكفرة العجزة فهذا تطرف لا مبرر له ومبالغة في الخصومة ما كان ينبغي أن تصل الى هذا الحد[١].

أنموذج من تفسيره:

ففي قوله تعالى: **[وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ]**[٢].

يقول الزمخشري: (والعجب من قوم يقرءون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الأحاديث العظيمة، وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم أشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل إليهم مناهم أن يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبه – أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها – ثم ذكر الله سبحانه وتعالى التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للأطماع وأي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي.

فإن قلتَ: هل فيها دليل على خلود من لم يتب من أهل الكبائر؟[٣]

قلتُ: ما أبين الدليل وهو تناول قوله ومن يقتل أي قاتل كان من مسلم أو كافر تائب أو غير تائب إلا أن التائب أخرجه الدليل، فمن ادعى إخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله)[٤].

---

[١] للتوسعة في هذا المضمون ينظر للمؤلف، الفرق الإسلامية الكبرى – الإمامية، المعتزلة، الأشاعرة–، ص٢٤.

[٢] سورة النساء، الآية: ٩٣.

[٣] يقول ابن المنير الإسكندري (ت:٦٨٣هـ): (غير أن أهل السنة "الاشاعرة" يقولون بخروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان كما في حديث الشفاعة الوارد في "الصحيحين")، كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (حاشية تفسير الكشاف).

[٤] الزمخشري، الكشاف، ٥٨٤/١.

ومثالنا الآخر في تفسير قوله تعالى: ﴿..فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[١]، قال الزمخشري: (إن قلت: ما الفرق بين الخوف والحزن؟ قلت: الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع، والحزن غم يلحق لواقع وهو فراقه والإخطار به فنهيت عنهما جميعاً وأومنت بالوحي ووعدت ما يسليها ويطأ من قلبها ويملؤها غبطة وسروراً وهو رده إليها وجعله من المرسلين)[٢].

وأيضاً في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٣]، قال الزمخشري: (العهد: الوصية، وعهد إليه: إذا وصاه، وعهد الله إليهم ما ركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع. وعبادة الشيطان: طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم. وقرئ إعهد بكسرة الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته الكسر إلا في الياء وأعهد بكسر الهاء. وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب وأحهد بالحاء وأحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحا محا (هذا) إشارة إلى ما عهد إليهم معصية الشيطان وطاعة الرحمن لا صراط أقوم منه، ونحو التنكير فيه ما في قول كثيِّر:

لئن كان يُهدَى بَردُ أنيَابِها العُلى لأَفقَرَ منِّى إنَّنِي لفَقِير

أراد: إنني لفقير بليغ الفقر حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه في وإلا لم يستقم معنى البيت[٤].

[١] سورة القصص، الآية: ٧.
[٢] الزمخشري، الكشاف، ٥٨٤/١.
[٣] سورة يس، الآية: ٦٠.
[٤] الزمخشري، الكشاف، ٢٧/٤.

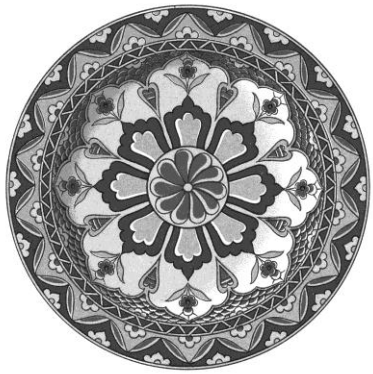

الفصل السادس

منهج التفسير الصوفي
الباطني، الإشاري، العرفاني

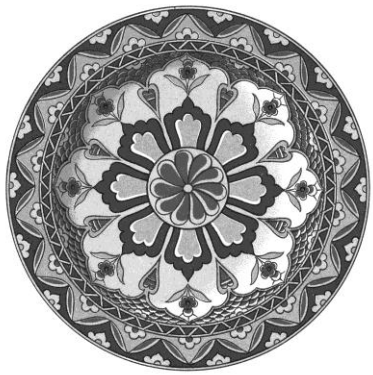

منهج التفسير الصوفي

(الباطني، الاشاري، العرفاني)

هو أحد المناهج القديمة في التفسير، وقد عُرِف بأسماء متنوّعة، مثل التفسير الصوفي، والباطني، والعرفاني، الشهودي، والرمزي، والاشاري، وكل من هذه الأسماء يشير إلى نوع خاص من هذا التفسير.

وتعريفه: هو تأويل القرآن بغير ظاهره لأشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينها وبين المراد أيضاً[١].

وهناك اختلاف كبير في وجهات النظر بين المفسّرين والمحقّقين بالنسبة إلى هذا المنهج وأنواعه، فهناك من ارتضى بعض أقسامه واستفاد منه، ومنهم من رفضه واعتبره من التأويل والباطن.

وسبب هذا القبول والرفض من العلماء هو ان هذه التفسيرات (اختلط فيها الحق بالباطل، واشتبه على الناس فيها كلام الباطنية بكلام الصوفية)[٢]، ولتوضيح هذه المسألة وتمييز المنهج الصحيح من غير الصحيح منه في التفسير الصوفي والإشاري لا بدّ من دراسته بصورة دقيقة[٣]، والذي يعنينا ها هنا هو المعرفة العامة لهذا المصطلح بما ينسجم مع أهداف تأليف هذا الكتاب.

لذا سنقوم ببيان منهج التفسير الصوفي الأشاري من خلال جملة من الموضوعات ذات الصلة المباشرة به، وعلى النحو الآتي:

---

[١] ظ: الزرقاني، مناهل العرفان، ٥٤٦/١.

[٢] د. محسن عبد الحميد، الاتجاه الباطني في تفسير القرآن، ص١٥٤.

[٣] وبما ان مقام التأليف ها هنا منهجي درسي فلا يسعفنا التفصيل في كثير من الجزئيات ومناقشتها ومن ثم ارهاق الطالب في تفاصيلها؛ لهذا نحيل الباحث الى جملة من المصادر، ظ: محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون، الجامعة الرضوية، ١٤٢٦هـ، ٩٣٩/٢، د. قاسم عني، تاريخ التصوف في إسلام، ص٢٣٠، علي أكبر باباني، مدارس التفسير الإسلامي، ١٠٩/٢.

أولاً: الواقع التاريخي لهذا المنهج: يرجح بعض العلماء ان تأريخ بعض أقسام التفسير الإشاري كالتفسير الباطني إلى صدر الإسلام، أي إنّ جذور هذا المنهج توجد في أقوال وكلام النبيّ ﷺ وأهل البيت عليهم السلام حيث روي عنهم: (أنّ القرآن له ظاهر وباطن)[١]، وقد أشارت بعض الأحاديث إلى هذا النحو من التفسير فقد روي في الحديث: (أنّ كتاب الله عزّ وجلّ على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق؛ فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء)[٢].

وهذا التأصيل التاريخي للمنهج التفسيري عدّه بعض العلماء اشتباه من المتصوفة في فهم النصوص الحديثية بكونها تعني المنهج الصوفي، (ولعل المراد بالحديث غير ما يذهبون إليه، وقد عالج ذلك الشيخ الطوسي[٣] والسيوطي[٤])[٥]، وفصّل في توجيه هذه الأحاديث الدالة على وجود البطن في القرآن من المتأخرين أيضاً الشيخ جعفر السبحاني[٦].

كما وعدّ العلامة الطباطبائي أنّ بداية هذا المنهج تعود إلى القرن الثاني والثالث الهجري، أي بعد ترجمة الكتب الفلسفية اليونانية إلى اللغة العربية[٧].

وقد غلبت على بعضهم ثقافات ونظريات فلسفية تأثروا بها من يونانية، وهندية، وفارسية، فأثّر ذلك كله على تأويلهم لآيات القرآن الكريم، بل حاولوا في منهجهم أن يجعلوا الآيات مطابقة لمبادئهم وآرائهم.

فكان ان ذهب أصحاب هذا المنهج في تفسير القرآن الى تأويل آياته بما يوافق إشراقاتهم، وثقافاتهم وأفكارهم.

---

[١] المجلسي، بحار الأنوار، ٩٥/٩٢.
[٢] المصدر نفسه، ٢٠/٩٢.
[٣] ظ: التبيان في تفسير القرآن، ٣/١.
[٤] ظ: الإتقان في علوم القرآن، ١٩٦/٤.
[٥] د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص١١٥.
[٦] ظ: المناهج التفسيرية في علوم القرآن، ص١٣٢.
[٧] ظ: الميزان في تفسير القرآن، ٧٠٥/١.

ثانياً: معنى مفردة الصوفية:

تعددت الأقوال في الأصل اللغوي لكلمة الصوفية، فمنهم من قال أنها ليست عربية، وقد أرجعها بعض الباحثون والمؤرخون المختصين بعلوم الديانات القديمة، إلى أصل يوناني، هو كلمة: (صوفيا)، ومعناها الحكمة[١].

وقال البعض بأنها عربية الأصل وهي على عدة أقوال، أشهرها[٢]:

- أنه من الصوفة، لأن الصوفي مع الله كالصوفة المطروحة، لاستسلامه لله تعالى.
- أنه من الصِّفة، إذ أن التصوف هو اتصاف بمحاسن الأخلاق والصفات، وترك المذموم منها.
- أنه من الصُفَّة، لأن صاحبه تابعٌ لأهل الصُفَّة وهم مجموعة من المساكين الفقراء كانوا يقيمون في المسجد النبوي الشريف ويعطيهم رسول الله ﷺ من الصدقات والزكاة طعامهم ولباسهم.
- أنه من الصف، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث حضورهم مع الله؛ وتسابقهم في سائر الطاعات.
- أنه من الصوف، لأنهم كانوا يؤثرون لبس الصوف الخشن للتقشف والاخشيشان.
- أنه من الصفاء، فلفظة (صوفي) على وزن (عوفي)، أي: عافاه الله فعوفي.

ثالثاً: مصطلحات علم التصوف:

إن لكل علم من العلوم كالفقه والحديث والمنطق والنحو والهندسة والفلسفة اصطلاحات خاصة به، لا يعلمها إلا أصحاب ذلك العلم، ومن قرأ كتب علم من العلوم دون أن يعرف اصطلاحاته، أو يطلع على رموزه وإشاراته، فإنه يؤول الكلام تأويلات شتى مغايرة لما يقصده العلماء، ومناقضة لما يريده الكاتبون.

---

[١] ظ: محمد جميل وآخر، الصوفية الوجه الآخر، ص٤٧.

[٢] ظ: د. قاسم غني، تاريخ التصوف في الإسلام، ص٦٣، عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، ص٢٥.

وللصوفية اصطلاحاتهم التي قامت بعض الشيء مقام العبارة في تصوير مدركاتهم ومواجيدهم، حين عجزت اللغة عن ذلك. فبسبب ذلك دعى الصوفية من يُريد الفهم عنهم إلى صحبتهم حتى تتضح لهم عباراتهم، ويتعرفوا على إشاراتهم ومصطلحاتهم. قال بعض الصوفية: (نحن قوم يحرم النظر في كُتبنا على من لم يكن من أهل طريقنا)[١]. ومن هذه **المصطلحات**[٢]:

- الأنس: هو ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة.
- الاتصال: وهو أن ينفصل العبد بسره عما سوى الله، فلا يَرَى بسره – بمعنى التعظيم – غيرَه، ولا يسمع إلا منه.
- التجريد: وهو أن يتجرد العبد بظاهره عن الأعراض، وبباطنه عن الأعواض.
- الوجد: هو ما صادف القلب من فزع، أو غم، أو رؤية معنى من أحوال الآخرة، أو كشف حالة بين العبد وبين الله.
- التواجد: ظهور ما يجد في باطنه على ظاهره، ومن قوي حاله تمكن فسكن.
- الغيبة: أن يغيب عن حظوظ نفسه فلا يراها، وهي قائمة معه، موجودة فيه، غير أنه غائب عنها بشهود ما للحق.
- الجمع: جمع الهمة: وهو أن تكون الهموم كلها هماً واحداً وهو الله.
- الحدس: سرعة انتقال الذهن من المبادي إلى المطالب، ويقابله الفكر، وهو أدنى مراتب الكشف.
- البصيرة: قوة للقلب المنور بنور القُدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها، بمثابة البصر للنفس يرى به صور الأشياء وظواهرها، وهي التي يسميها الحكماء: العاقلة النظرية، والقوة القدسية.
- الاشتياق: هو انجذاب باطن المحب نحو المحبوب في حالة الوصال.

---

[١] الشعراني، اليواقيت والجواهر، ٢٢/١.

[٢] ظ: الكلاباذي أبو بكر (ت:٣٨٠هـ)، التعرف على مذهب أهل التصوف، ص١٢٥، د. قاسم عني، تاريخ التصوف في الإسلام، ص٩٣٩.

رابعاً: ماهيّة المنهج الصوفي: إن المنهج الصوفي هو لون يعتمد العارف الصوفي فيه على التذوّق الوجداني الذي يدركه في حالة استغراقه في الوجْد والرياضة الروحية، بضربٍ من الحس النفسي، والكشف الباطني، والشهود القلبي من دون ربط ومناسبة مع ظاهر الآية. وكأنّ منهجه أن يتكلّم بلسان الباطن الذي هو في الحقيقة لسان مذهبي، ويترك الظاهر الذي يعبّر عن (عقيدة العوام)، فيُخرج المعاني التي يُريدها من الآيات والأحاديث بطريقة خاصة في التأويل، فإن كان في ظاهر الآية ما يؤيّد مذهبه أخذ بها، وإلاّ حرَفها إلى غير معناها الظاهري[١].

ويندرج التفسير الصوفي ضمن التفسير بالرأي، وهو من أوضح مصاديقه وأبرزها؛ ولتميّزه وبلحاظ طبيعته يطلق عليه عنوان التأويل، وهو الاسم الذي ارتضاه الصوفية لجهدهم التفسيري، ولعلّه ألصقُ بهذا الجُهد، وأدلُّ عليه من لفظ التفسير بمعناه الاصطلاحي.

ولقد بلغ التأويل . كمذهب . أوجُه في التصوّف، وصار مدرسة وطريقة في النظر إلى القرآن، واحتلّ مكانة بين مناهج التفسير الأُخرى، إمّا طبيعته وحقيقته على الإجمال، فهي: أنّه طريقة في أخذ النصّ من حيث وقْعه في النفس، ومن حيث إيحاءاته الروحية في تجربة الإيمان العميق. وبلغ هذا المذهب نُضجه مع ابن عربي (ت٦٣٨هـ) ومدرسته، وكان الصوفي يبذل جهده في حَرْف الآية عن ظاهرها؛ لإشارة خفيّة تظهر لأرباب السلوك، ويمكن الجمْع بينهما وبين الظاهر في بعض الأحوال.

ولم يكن التأويل مرفوضاً مذموماً بأكمله، وإن كان كثير مِن أئمّة السلَف يفترضون أنّ الصوفيّ إنّما يحاول تأييد آرائه بالقرآن، وباللجوء إلى تفسيره تفسيراً باطنياً، واستخراج معانٍ لا يحتملها النصّ بحسب قانون اللغة العام. والمقبول منه هو ما كان استنباطاً حسَناً يوافق مقتضى ظاهر العربيّة، ويشهد بصحّته شاهد من غير معارض، وإلاّ فإن أوغل في الإشارة الخفية من غير مستند كان ضرباً من التجهيل.

---

[١] ظ: محمد علي آيازدي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ص٦٠.

خامساً: أنواع التصوف والفرق بينهما:

أولاً: أنواع التصوف: التصوّف ينقسم على قسمين[١]:

١. تصوّف نظري: وهو التصوّف الذي يقوم على البحث والدراسة.

٢. تصوّف عملي: وهو التصوّف الذي يقوم على التقشّف والزهد والتفاني في طاعة الله.

ولكلٍّ من القسمين تفسيرٌ خاص به:

تفسير صوفي نظري.

تفسير صوفي عملي أو فيضي أو إشاري.

أوّلاً : التفسير الصوفي النظري

وُجد من المتصوّفة مَن بنى تصوّفه على مباحث نظرية وتعاليم فلسفية، فكان من البديهي أن ينظر هؤلاء المتصوّفة إلى القرآن نظرة تتماشى مع نظرياتهم وتتّفق وتعاليمهم. وليس من السهل أن يجد الصوفي في القرآن ما يتّفق صراحة مع تعاليمه، ولا ما يتماشى بوضوح مع نظرياته التي يقول بها؛ إذ إنّ القرآن عربي جاء لهداية الناس، لا لإثبات نظرية من النظرّيات ربّما كانت في . الغالب . مستحدثة، وبعيدة عن روح الدين وبداهة العقل.

غير أنّ الصوفي حرصاً منه أن تصبح تعاليمه ونظرياته مسلّمة، يحاول أن يجد في القرآن ما يشهد له أو يستند إليه، فتراه من أجل هذا يتعسّف في فهْمه للآيات القرآنية، ويشرحها شرحاً يخرج بها عن ظاهرها الذي يؤيّده الشرع، وتشهد له اللغة، معولاً في تفسيره على الواردات القلبية، وهذه الواردات القلبية عندهم هي (فوق الشرع والعقل والنقل والعلم)[٢].

---

[١] ظ: د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ٣٣٩/٢، محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص٢٠٣.

[٢] د. قاسم عني، تاريخ التصوف في الإسلام، ص٧٥٣.

ثانياً: التفسير الصوفي الفيضي أو الإشاري:

وهو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها، بمقتضى إشارات خفيّة تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المُرادة.

فالإشارة لغةً بمعنى العلامة والإيماء والّذي يعني اختيار أمر من الأمور (من القول أو العمل أو الرأي). وقد وردت هذه الكلمة في القرآن، كما في الآية ﴿**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ**﴾[١] أي اختيار شيء وإرجاع لهم إليه.

أما في الاصطلاح فالإشارة تعني أن يستفاد شيء من الكلام دون أن يكون موضوعاً له. والإشارة قد تكون حسّية كما هو الحال في ألفاظ الإشارة مثل (هذا)، وقد تكون ذهنية كالإشارة للمعنى في الكلام، بحيث لو أراد التصريح به للزمه الكثير من الكلام. ثمّ إنّ الإشارة قد تكون ظاهرة وقد تكون خفيّة[٢].

وعلى هذا يكون المراد من التفسير الإشاري هو ما يطلق على الإشارات الخفيّة الموجودة في آيات القرآن، والّتي تعتمد على أساس العبور من ظواهر القرآن والأخذ بالباطن، أي استخراج وفهم وتوضيح نكتة من الآية لا توجد في ظواهر الآية عن طريق دلالة الإشارة، وهذا البحث العرفاني في المناهج التفسيرية قليل من المفسرين مَن يجيده، لما يحتاج من رياضة روحية وتهذيب للنفس – كما يرى السيد عبد الأعلى السبزواري (ت:١٤١٤هـ) – إذ يقول: (يمكن ان تتضمن الآيات الشريفة إشارات لأصحاب السير وارباب السلوك لأنهم حرّموا على انفسهم الدنيا وزخارفها، بل الموقنين منهم العاشقين الى اللقاء والمشتاقين للحق حرّموا على انفسهم نعيم الآخرة أيضاً)[٣].

---

[١] سورة مريم، الآية: ٢٩.

[٢] ظ: محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص١٩٢، خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، ص٢٠٥.

[٣] مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ٣٩٢/١٠.

ثانياً: الفرْق بين التفسير الصوفي النظري وبين الفيضي (الاشاري)[١]:

١. إن التفسير النظري يُبنى على مقدمات علميّة تتقدم في ذهن الصوفي أوّلاً، ثُم ينزل القرآن عليها بعد ذلك.

أمّا التفسير الإشاري، فلا يرتكز على مقدمات علميّة، بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه، حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات هذه الإشارات القدسية، وتنهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية.

٢. إنّ التفسير النظري: يرى صاحبه أنّه كلّ ما تحتمله الآية من المعاني، وليس ورائه معنى آخر يمكن أن تُحمل الآية عليه... ، وهذا بحسب طاقته طبعاً .

أمّا التفسير الإشاري: فلا يرى الصوفيّ أنّه كلّ ما يراد من الآية، بل يرى أنّ هناك معنى آخر تحتمله الآية، ويراد منها أوّلاً وقبل كلّ شيء: ذلك هو المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره.

وبكلمة: ان القائل بالتفسير الإشاري هنا لا ينكر كون الظاهر مُراداً، ولكن يقول بأنّ في هذه الظواهر، إشارات إلى معان خفية تفهمه عدّة من أرباب السلوك وأولو العقل والنُهى، فهم يلتفتون الى الظاهر والباطن معاً، وبذاك يمتاز عن تفسير الباطنية فانّهم يرفضون كون الظواهر مرادة ويأخذون بالبواطن.

سادساً: المؤاخذات على التفاسير الصوفية الباطنية:

أهمّ ما يؤخذ على هذه التفاسير، هو ابتناؤها على الذوق والسليقة والأذواق والسلائق، بما أنّها أحاسيس شخصيّة، فإنّها تختلف حسب المذاقات ومعطيات الأشخاص ولا تتّفق على معيار عام شامل[٢].

والإلهام، إدراك شخصيّ بحت، وهي تجربة روحية وشخصيّة لا مستند لها لأعتبارها خاصة عند صاحب التجربة فحسب، فلا تعتمد على الدليل والبرهان.

---

[١] ظ: د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ٣٥٢/٢.
[٢] ظ: محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون، ٩٥٣/٢، د.الذهبي، التفسير والمفسرون، ٣٥/٣.

ومن ثمّ ترى تفاسير أهل الذوق الصوفي قلّما تتّفق ولو في تفسير آية واحدة على نهج سويّ وعلى تأويل متوازن لا تعريج فيه.. ولا مبرّر له سوى ما نبّهنا عليه أنّها ليست من التفسير ولا من التأويل، وإنّما هي واردات قلبيّة.

سابعاً: شروط التفسير الصوفي الإشاري:

وبناء على ما سبق من الآراء يمكن تقرير الشروط التي يقبل بها التفسير الصوفي في العناصر الآتية:

١. أن لا يكون التفسير الصوفي منافياً للظاهر من النظم القرآني الكريم والمقرر في لسان العرب.

٢. أن يكون له شاهد شرعي يؤيده، وذلك لأنه إن لم يكن للتفسير الإشاري شاهد في محل آخر، أو كان له شاهد لكن له معارض صار دعوى تُدّعى على القرآن من غير دليل، والدعوى التي لا دليل عليها مرفوضة باتفاق العلماء[١].

٣. أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

٤. أن لا يدعى أن التفسير الصوفي هو المراد وحده دون الظاهر، بل لا بد أن نعترف بالمعنى الظاهر أولاً، إذ لا يُطمع في الوصول الى الإشارة قبل إحكام فهم العبارة، وهو كما قال السيوطي: (ومَن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يُحكِم التفسير فهو كمن ادَّعى البلوغ الى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب!!)[٢].

٥. أن لا يكون التأويل بعيداً لا يحتمله اللفظ وفيه تلبيس على أفهام الناس.

فإذا توفرت هذه الشروط، وليس للتفسير ما يعارضه من الأدلة الشرعية، جاز الأخذ به أو تركه، لأنه من قبيل الوجدانيات، والوجدانيات لا تقوم على دليل نظري، وإنما هو أمر يبعث على تنمية المشاعر وتحصيل مكارم الأخلاق، فيجده الصوفي من نفسه، فله أن يعمل بمقتضاه دون أن يلزم به أحداً من الناس.

---

[١] ظ: د. يوسف مرعشلي، علوم القرآن، ص٤٤١.
[٢] الإتقان في علوم القرآن، ١٨٥/٢.

ثامناً: أهمّ تفاسير الصوفيّة وأهل العرفان:

١. التستري سهل بن عبد الله (ت:٢٨٣هـ)، تفسير القرآن الكريم.
٢. السلمي ابو عبد الرحمن (ت:٤١٢هـ)، حقائق التفسير.
٣. القشيري أبو القاسم عبد الكريم (ت:٤٥٦هـ)، لطائف الإشارات.
٤. البقلي ابو محمد صدر الدين (ت:٦٠٦هـ)، عرائس البيان في حقائق القرآن.
٥. ابن عربي محي الدين محمد (ت:٦٣٨هـ)، تفسير القرآن الكريم.
٦. صدر المتألهين محمد بن إبراهيم (ت:١٠٥٠هـ)، تفسير القرآن الكريم.
٧. السبزواري عبد الأعلى بن علي رضا الموسوي (ت:١٤١٤هـ)، مواهب الرحمن في تفسير القرآن.

تاسعاً: نماذج من التفسير الصوفي الباطني والاشاري:

بسبب قبول جميع المسلمين ان للقرآن له باطن عميق، ومعانٍ دقيقة ويحتوي على الإشارات والكنايات، فقد أصبح الطريق مفتوحاً لهذا النوع من التفاسير، وسنختصر القول على:

أولاً: منهج ابن عربي في التفسير:

يُعد الشيخ محي الدين بن عربي (ت:٦٣٨هـ) في تفسيره للقرآن إمام هذا الفن من التفسير، وبه يذهب الى التفسير تفسيراً عرفانياً تارة، وباطنياً صوفياً تارة أخرى، ويومي الى الإشارات أحياناً، فصار بين النفي والإثبات: فهناك من يكفّره من دون قيد[١]، وهناك من يوصله الى مصاف الأولياء[٢]، وهناك من يؤيده من دون إفراط،

---

[١] ومنهم: ابن الخيّاط، الحافظ الذهبي، وابن تيمية. ظ: د.الذهبي، التفسير والمفسرون، ٤٠٨/٢.
[٢] ومنهم: الفيروز آبادي صاحب القاموس، وكمال الدين الزملكاني، والحافظ السيوطي الذي ألف في الدفاع عنه كتاباً أسماه: "تنبيه الغبي على تنزيه ابن عربي"، وتقي الدين بن السبكي ظ: د. الذهبي، التفسير والمفسرون، ٤٠٨/٢، ومن الشيعة الإمامية ظ: صدر المتألهين، تفسير القرآن الكريم، ٧١/١، السيد الخميني، تفسير سورة الحمد، ص٩٤.

أي لا يكفّره ولا يكبّره، بل سلك طريقاً وسطاً، ومع هذا فهو يضفي منهجاً جديداً بين اللمحات الإشارية والاوهام الباطنية، ونحن لا نحمل أقواله إلا على المحمل الحسن[١].

فكان أحد الأعلام الكبار، ختام علماء الأندلس، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد، المعرفي الأندلُسِي الأشبيلي المعروف بابن عربي.

وُلد أبن عربي في أشبيلية وتأدّب ببلده وقرأ القراءات، وكان أبوه من فقهاء بلدة أشبيلية، ثُم رحل إلى مصر والشام وبغداد ومكّة، وكان يأخذ عن علماء كلّ بلد يرحل إليه؛ حتى أتقن الفقه والأُصول، وقيّد الحديث واتّسع في الرواية، وأتقن مسائل الخلاف والكلام وتبحّر في التفسير[٢].

وكان شيخ المتصوّفة في وقته، وكان له أتباع ومريدون يعجبون به إلى حدٍّ كبير؛ حتى لقّبوه فيما بينهم بالشيخ الأكبر والعارف بالله، كما كان له أعداء ينقمون عليه ويرمونه بالكفر والزندقة؛ وذلك لِما كان يصدر منه من المقالات الموهمة، التي تحمل في ظاهرها كلّ معاني الكفر والزندقة..

لم تقتصر براعة ابن عربي على التصوّف، بل برع مع ذلك في كثير من العلوم، فكان عارفاً بالآثار والسُنن، وكان شاعراً وأديباً[٣].

كان أبو بكر يرى أنّ الوجود حقيقة واحدة، ويعد التعدّد والكثرة أمراً قضت به الحواس الظاهرة، وقد دفعه قوله بوحدة الوجود إلى القول بوحدة الأديان، لا فرْق بين سماويها وغير سماويها؛ إذ الكلّ يعبدون الإله الواحد المتجلّي في صورهم وصور جميع المعبودات، والغاية الحقيقية من عبادة العبد لربّه: هو التحقّق من وحدته الذاتية معه، وإنّما الباطل من العبادة: أن يقصر العبد ربّه على مُجلّى واحد دون غيره ويسمّيه إلهاً.

---

[١] ظ: د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص١١٣.
[٢] ظ: السيوطي، طبقات المفسرين، ص٩٨.
[٣] ظ: د. محسن جهانكيري، ابن عربي الشخصية البارزة في العرفان الإسلامي، ص١١.

يقوم مذهب ابن عربي في التفسير . غالباً . على نظرية وحدة الوجود[١] التي يدين بها، وعلى الفيوضات والوجدانيات التي تنهل من سحائب الغيب الإلهي، وتنقذف في قلْبه من ناحية الإشراق الربّاني.

أمّا من الناحية الأُولى . ناحية التأثير بمذهب وحدة الوجود . فإنّنا نراه في كثير من الأحيان يتعسف في التأويل؛ ليجعل الآية تتمشّى مع هذه النظرية، وهذا منهج كلّه شرّ في التفسير، فهو يبدّل فيما أراد الله من آياته ويقسرها على أن تتضمّن مذهبه وتكون أسانيد له، وذلك ليس من شأن المفسّر المنصف الذي يبحث في القرآن بحثاً مجرّداً عن الهوى والعقيدة.

وأمّا من الناحية الثانية . ناحية الفيض الإلهي . فهو واسع الباع فيها[٢].

نماذج من تفسير ابن عربي:

إنّ الذي يتصفّح تفسير أبن عربي يلمس منه روح الإنصاف لمخالفيه أحياناً، كما يلمس منه روح التعصّب المذهبي التي تستولي على صاحبها، فتجعله أحياناً كثيرة يرمي مُخالفيه، وإن كان إماماً له قيمته ومركزه بالكلمات المقذعة اللاذعة، تارة بالتصريح وتارة بالتلميح ...

ففي قوله تعالى : **[وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ]**[٣].

---

[١] وحدة الوجود: مذهب فلسفي يقول بأن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق، ويعتبرون الله صورة هذا العالم المخلوق، أما مجموع المظاهر المادية فهي تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته. وهي فكرة قديمة أعاد إحيائها بعض المتصوفة من أمثال: ابن عربي، وابن الفارض وابن سبعين والتلمساني والذين تأثروا بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة وفلسفة الرواقيين. ويعتبر بعض علماء أهل السنة من يعتقد بوحدة الوجود أنه زنديق خارج من دين الإسلام. ظ: ابو العلا عفيفي، الملامتية، ص٤٣. ولا زال في مسألة (وحدة الوجود) بين المتكلمين وبين المتصوفة والفلاسفة وأتباعهم وغيرهم أخذ ورد، فمنهم من يرى أنها حق، ومنهم من يستدل على بطلانها، وعلى اي حال لا ينبغي الخوض في هذه المسائل الفلسفية إلا بعد دراسة علم الكلام وفهم المباني العقدية من خلال الكتاب والسنة، كما يؤكد على ذلك اكثر العلماء والفقهاء.

[٢] ظ: محمد علي آيازدي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ص١١٧.

[٣] سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

يقول ابن عربي: (**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ**) القلب (**مَثَابَةً**) أي: مرجعاً ومبّوأ (**لِلنَّاسِ وَأَمْنًا**) ومحل أمن أو سبب أمن وسلامة لهم يأمنون بالوصول إليه والسكون فيه شرّ غوائل صفات النفس وفتك فتاك القوى الطبيعية وإفسادها، وتخييل شياطين الوهم والخيال، وإغوائهم ومكائدهم (**وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**) الذي هو مقام الروح ومقام الخلة (**مُصَلًّى**) موطناً للصلاة الحقيقية التي هي المشاهدة والمواصلة الإلهية والخلة الذوقية (**وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ**) أمرناهما بتطهير بيت القلب من قاذورات أحاديث النفس، ونجاسات وساوس الشيطان، وأرجاس دواعي الهوى، وأدناس صفات القوى (**لِلطَّائِفِينَ**) أي: للسالكين المشتاقين الذين يدورون حول القلب في سيرهم (**وَالْعَاكِفِينَ**) الواصلين إلى مقام القلب بالتوكل الذي هو توحيد الأفعال المقيمين فيه بلا تلوينات النفس وإزعاجها منه (**وَالرُّكَّعِ**) أي: الخاضعين الذين بلغوا إلى مقام تجلي الصفات، وكمال مرتبة الرضا والسجود الفانين في الوحدة[١].

وفي قوله تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ...**][٢]. يقول ابن عربي: (**إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ**) انبعثتم عن نوم الغفلة وقصدتم إلى صلاة الحضور والمناجاة الحنيفيّة، والتوجه إلى الحق. [**فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ**] أي طهَّروا وجود قلوبكم بماء العلم النافع الطاهر المُطهّر، مِن عِلم الشرائع والأخلاق والمعاملات التي تتعلق بإزالة الموانع عن لوث صفات النفس، [**أَيْدِيَكُمْ**] أي وقدركم من دنَس تناول الشهوات والتصرفات في موادّ الرجس، [**إِلَى الْمَرَافِقِ**] إلى قدر الحقوق والمنافع[٣].

---

[١] تفسير ابن عربي، ٧٣/١.
[٢] سورة المائدة، الآية: ٦.
[٣] ظ: تفسير ابن عربي، ١٩٣/١.

ثانياً: منهج السيد السبزواري (ت:١٤١٤هـ) في تفسير مواهب الرحمن:

هو السيد عبد الأعلى بن علي رضا بن عبد العلي بن محمد السبزواري، وتصل شجرة عائلته إلى محمد العابد بن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، ومن المعلوم انه مرجع ومُفسّر وفقيه شيعي يُعد من كبار فقهاء الإمامية وعلمائها المشهورين يقيم بمدينة النجف الأشرف العراقية، تسنّم المرجعية العليا بعد وفاة المرجع أبي القاسم الخوئي (ت:١٩٩٢م)، وأخذ كل الشيعة في العراق والكثير منهم في إيران وباقي البلدان الإسلامية يرجعون إليه في تقليدهم؛ إلا إن ذلك لم يدم طويلاً لوفاته بعد فترة قليلة سنه وشهر. وقد ساهم االسبزواري خلال فترة مرجعيته القصيرة في نشاطات سياسية واجتماعية، واضطلع في تلك الفترة بنشاط إصلاحي بمدينة النجف أواخر أيام حياته ومن المراجع المحبوبين جداً لدى الشيعة[١].

منهجه التفسيري: الملاحظ على تفسير مواهب الرحمن أنّه لم يكن طابعه العام عرفاني ولكن اعتماد مؤلّفه سمة المنهج الإشاري، فكان مُميزاً به مما عَكَس عرفانية السيد السبزواري، إذ ان وظيفة البحث العرفاني في منهجه التفسيري تكمن (في كيفية التطابق ما بين الحقيقة العرفانية والحقيقة القرآنية بوصفها ان دلالات القرآن على مستويات منها الظاهرة ومنها الباطنة)[٢].

حيث أن البحث الإشاري العرفاني لدى السيد السبزواري متناسقاً مع بحوثه الأُخرى من حيث الطرح والمنهج، ومما لا شك فيه أنّ القارئ يتحسس أنّ تناول السيد السبزواري لهذا الجانب يقترن بتفاعله مع المادة المطروحة، أي تشعر بعرفانيّة السبزواري بحيث ترى أنّ المؤلِّف عاش القرآن الكريم في سلوكياته وأخلاقه واتخذه منهجاً في حياته العلمية.

---

[١] ظ: حسين نجيب محمد، جمال السالكين العالم الرباني السيد عبد الأعلى السبزواري، ص١٥.
[٢] د. فضيلة علي فرهود، منهج السبزواري في تفسير القرآن، ص١٧٤، ظ: كاظم عوده الأسدي، معالم المنهج التفسيري عند السيد عبد الاعلى السبزواري، ص١٠٦.

ومما دفعه ان يطبع منهجه التفسيري بالطابع العرفاني انه لم يلحظ لهذه (البحوث العرفانية إقبالاً عملياً إلا من أخص الخواص، لأن غيرهم توجهوا للمظاهر وتركوا الحقائق واخذوا بالقشور ورفضوا اللباب، فإليه جلت عظمته المشتكى من مكائد الشيطان)[١].

فالسيد السبزواري يرى (ان العرفان مأخوذ من المعرفة الحاصلة من العلم النفساني الحاصل من النظر في النفس وطرق صلاحها، واحوالها واطوارها ودائها ودوائها وسائر خصوصياتها، والنظر في الآفاق، ومعرفة الله سبحانه وتعالى، مما يوجب هداية الإنسان الى التمسك بالدين الحق والشريعة الإلهية التي تمثل المعرفة الكاملة وما لها من التعلق بعلم التوحيد والمعاد والنبوة)[٢].

كما ان منهجه التفسيري يمتاز بصورة عامة:

١. تفسير القرآن بالقرآن والافادة منه في بيان المراد من النص القرآني[٣].
٢. التفسير بسنة المعصوم عليه السلام والاستعانة بالتفسير باقوال الصحابة والتابعين لبعض الآيات الكريمة[٤].
٣. تكلم عن النفس وافاض الكلام فيها وتناولها من عدة جوانب، وذلك في بحوث عرفانية متفرقة[٥].
٤. اعتماد اللغة والبلاغة والشواهد الشعرية في تفسيره للنصوص القرآنية[٦].
٥. التفسير بالسياق سمة بارزة في تفسيره[٧].
٦. كان موقفه متشدد من الاسرائليات.

---

[١] مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ٣٩٥/١٠.
[٢] المصدر نفسه، ٤٢٨/١٢.
[٣] ظ: المصدر نفسه، ٤١٠/٤.
[٤] ظ: المصدر نفسه، ٤٤٤/١.
[٥] ظ: المصدر نفسه، ٢٦٩/٦، ١٦٠/٨، ١٨/٩.
[٦] ظ: المصدر نفسه، ٢٧١/٢.
[٧] ظ: المصدر نفسه، ٦٩/٨.

٧. استعمال المفسِر عبارات سهلة وبعيدة عن السرد الذي لا طائل منه، وهو ما أكده المفسِر في مقدمته، إذ قال: (احترزت عن ذكر العبارات المغلقة والالفاظ الصعبة، أو التفصيل الزائد عن الحد وحاولتُ أن أُبيّن المعنى بأسهل الألفاظ والكلمات حتى يعم النفع للجميع وتتم الحجة به عليهم)[١].

نماذج من تفسيره:

١. في تعليقه على آية البرّ في قوله تعالى: ﴿**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[٢]، يقول: (من أفضل البرّ وأهمّه هو الانقياد لأوامر الله تعالى وإطاعته في كلّ ما شاء وأراد، والتفاني في مرضاته (عزّ وجلّ) الذي هو آخر حدّ الإمكان وأوّل حدّ الوجوب، كما أنّ أعلى المحبوبات عند الناس هو حبّ الجاه والشرف والعزّة، ولا بدّ من إنفاق هذا المحبوب في ساحته (جلّ جلاله) لينال العبد الغاية القصوى من البرّ بالمعنى المطلق، وعليه سيرة أولياء الله المخلصين)[٣].

٢. وفي تعقيبه على مقطع تقطيع الطيور[٤] بالنسبة إلى رسمه لشخصية إبراهيم (عليه السلام) يقول: (فشرقت على قلبه الأنوار القدسية، فاتّخذه الله خليلاً وجعل الحبيب من نسله، فصار الخليل يفتخر بالحبيب والحبيب يفتخر بالخليل، لما بينهما من الجامع القريب، من شروق النور الأزلي على قلبيهما والوصول إلى مقام الوصال، والينبوع الذي لا يعقل فيه النفاد، وبمدبّر حكيم لا يتصوّر فيه التغيّر والفساد،... وصدر منه

---

[١] مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ٧/١.
[٢] سورة آل عمران، الآية: ٩٢.
[٣] مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ١٥٥/٦.
[٤] قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾. سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

العجائب والغرائب؛ لأنّه مستمد من مدد الغيب الذي لا حدّ له، فيكون إحياء الموتى على يديه أيسر شيء)[١].

٣. ففي تعقيبه على آيات الإنفاق يقول: (إنّ استغراق العبد في العبودية المحضة تلذذ من الجمال المطلق الأتّم، واستشعار بالكمال الأرفع الأهمّ، **[فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]**[٢]، وفي مثل هذه المرتبة تتّحد الحقيقة والفعل والفاعل، وحينئذٍ يقصر القلم عن البيان، ويكلّ اللسان عن الكلام).

والعبودية الحقيقية هي التي تظهر آثارها على العبد، فلا تصدر عن معصية ولا يخطر في باله غير رضاء الرب، وفيها قال علي عليه السلام: (اعبد الله كأنك تراه، فإنْ لم تراه فإنّه يراك، واحذره أن يراك حيث نهاك)[٣]، (وأنّها إذا استولت على القلب فلا يشغله شاغل من الشواغل الماديّة الدنيوية، ولا يمنعه مانع من الإنفاق في سبيل الله تعالى)[٤].

٤. وفي تعقيبه على آية: **[لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ]**[٥]، يقول(قدس سره): (ولكلام الحق تعالى جذبات وللقرآن كذلك، وللموعظة الصادرة عن أهلها جذبات بمراتبها المختلفة، التي لا حدَّ لها، ومع تحقّق تلك الجذبة كيف يتصور الإكراه؟)[٦].

---

[١] مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ٣٥٢/٤.
[٢] سورة السجدة، الآية: ١٧.
[٣] الكليني، الكافي، ٦٨/٢.
[٤] مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، ١٠/١.
[٥] سورة البقرة، الآية.
[٦] مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، ١١/١.

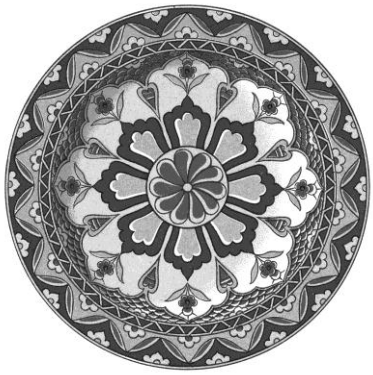

الفصل السابع

منهج التفسير العلمي

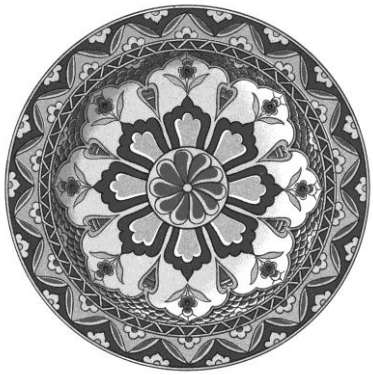

منهج التفسير العلمي

ومعنى التفسير العلمي: هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن المتعلقة بالكون وما فيه ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز القرآن ليدل على مصدره الإلهي وصلاحيته لكل زمان ومكان[١].

أولاً: تأريخ التفسير العلمي: إن التفسير العلمي ضارب في التاريخ، وله جذور في ثقافتنا التفسيرية، ويرجع السبب في ذلك الى شرعيته، ولذلك لا جرم أن نجد من المفسرين القدامى من خاض فيه، كالرازي في تفسيره مفاتيح الغيب (إلا ان السمة البارزة في تفسيره المنهج الكلامي)، والغزالي في كتابه إحياء علوم الدين وفي جواهر القرآن، والسيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن وفي الإكليل في استنباط التنزيل، وغيرهم.

ومن مطلع القرن الهجري الماضي والى الآن نما هذا المنهج التفسيري نمواً كبيراً كنتيجة حتمية للاكتشافات العلمية والمخترعات التي لم تحدث في التاريخ الإنساني من قبل، ذلك أن الإسلام يصلح لكل زمان ومكان ويواكب كل جديد.

ولذلك اكتشف العلماء والمفسرون السائرون في هذا الاتجاه أن كثيراً من اليقينيات العلميّة الحديثة المكتشفة قد سبق إليها القرآن قبل بضعة عشر قرناً وأشار إليها بالتصريح أو بالتلميح.

وأصل هذا المنهج واضح في القرآن الكريم، ويمكن الاستدلال عليه في قوله تعالى: **[سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ]**[٢]، والآيات التي تأمر بالنظر لآيات الله سبحانه وإبصارها ورؤيتها

---

[١] للتوسعة في هذا المنهج ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي (المؤلف)، الإعجاز في القرآن الكريم – دراسة في التفسير العلمي للآيات الكونية – ص٨١ .

[٢] سورة فصلت، الآية: ٥٣.

بالعين، والتفكير فيها بالعقل ليس مقصوده التفرج عليها وإمتاع النفس بجمالها، وإنما اكتشاف أسرارها وإعجازها وإبداعها وعظمتها لتدلنا على وحدانيته سبحانه وعظمته وقدرته وعلمه وحكمته وبديع صنعته.

ثانياً: حكم التفسير العلمي وضوابطه:

اختلف العلماء في التفسير العلمي للقرآن الكريم الى مؤيد ورافض، وقد استدل كل فريق بأدلة على قوله، وناقش كل فريق أدلة الآخر[١]، وهذه الأقوال هي:

أ: القول الأول: جواز التفسير العلمي (المؤيدين):

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة قرآنية وحديثية، منهم: الغزالي (ت:٥٠٥هـ)، الرازي(ت:٦٠٦هـ) وأبو الفضل المرسي، والسيوطي، ومحمد الزرقاني، والشيخ طنطاوي جوهري، والملا صدرا الشيرازي (ت:١٠٥٠هـ)، والعلامة محمد باقر المجلسي (ت:١١١١هـ)، وحنفي احمد، ومحمد الطاهر بن عاشور، ومحمد متولي الشعراوي، وغيرهم..

فنلحظ ان القدماء من المفسرين والمحدثين منهم قد توغلوا بعلوم القرآن في استخراج العلوم المختلفة من القرآن الكريم توغلاً شديداً حتى أنهم لم يتركوا علماً من العلوم إلا قالوا: إن القرآن قد تحدث عنه أو أشار إليه إشارة قوية قريبة أو بعيدة، كأنهم بذلك أرادوا تطبيق الآية الكريمة بقول الله تعالى: **[مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ]**[٢]، فكل ما يحتاج إليه الناس في أمر دينهم ودنياهم قد ذُكر في القرآن مفصلاً أو مجملاً.

---

[١] وتجنباً للإطالة هنا ينظر الأدلة ومناقشتها: د. عبد المجيد عبد السلام المحتسب، اتجاهات التفسير في العصر الحديث، ص٢٩٥، د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ١٤٠/٣، محمد علي الرضائي، مناهج التفسير واتجاهاته، ص٢١٠، د. كمال محمود الهوبي وآخر، التفسير ومناهج المفسرين، ص٥٢.

[٢] سورة الانعام، الآية ٣٨ .

ب: القول الثاني: رفض التفسير العلمي (المعارضين):

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة عديدة، أهمها:

١. إن الصحابة والتابعين ومن يليهم لم يتكلموا فيه.
٢. إنه تكلف وتحميل الألفاظ فوق ما تحتمل.
٣. إن القرآن كتاب هداية، فالهداية هي الأصل والعلم دليل عليها، والاتجاه العلمي يجعل العلم هو الأصل والقرآن دليله عليه.
٤. إن ما يسمى بالحقائق العلمية متقلبة غير ثابتة، وينقض الجديد منها القديم، وإنزالها على القرآن يقتضي تناقضه.

وبهذا قال الشاطبي(ت:٧٩٠هـ)[١]، وأبو حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)[٢]، والشيخ محمود شلتوت (ت:١٩٦٤م)[٣] والشيخ أمين الخولي(ت:١٩٦٦م)[٤] والدكتور محمد حسين الذهبي[٥] واستاذنا الدكتور محمد حسين الصغير[٦] والدكتور محمد لطفي الصباغ[٧] وغيرهم.

ج: القول الثالث للباحثين: جواز التفسير العلمي بضوابط:

وهناك قول ثالث يذهب الى الوسطية في حكم التفسير العلمي، فيذهب الى جواز التفسير العلمي لآيات في القرآن الكريم.

ولكن جعل لهذا الجواز ضوابط يجب ان يتلزم بها المفسِر؛ وهذه **الضوابط** هي:

أولاً: أن لا تُفسر آيات القرآن العلميّة إلا بحقائق العلم اليقينية الثابتة التي لا تحتمل النقض أبداً.

---

[١] ظ: الموافقات، ٦٩/٢.
[٢] ظ: البحر المحيط، ٢٢/٣.
[٣] تفسير القرآن، ص١١.
[٤] ظ: دراسات إسلامية، ص٣٢.
[٥] ظ: التفسير والمفسرون، ٤٩٧/٢.
[٦] ظ: تقديم هذا الكتاب، ص١٠.
[٧] ظ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص٢٠٣.

وأما النظرية العلمية القابلة للنقض فلا تفسر بها الآية، وإذا أوردت عند تفسير الآية ذكرت بصيغة: تقول المكتشفات العلمية: كذا وكذا... الخ، والله أعلم، من دون تحميلها للآية لأنها قد تبطلها حقيقة جديدة.

ثانياً: أن تكون هناك علاقة توافق وترابط بين ظاهر لفظ الآية ومعناها العربي وبين الحقيقة العلميّة المكتشفة.

ثالثاً: ان يكون التفسير العلمي واحداً من آليات إيضاح المفاهيم القرآنية، على ان يتقدم عليه التفسير بالمأثور إذا ثبت صدوره عن المعصوم، ولم يتعارض مع قاطع عقلي أو علمي.

رابعاً: ان لا يسمى هذا التفسير (إعجازاً) قرآنياً لأن الإعجاز يتم بمعجزة، والمعجزة أمر خارق للسنن الطبيعية، المقرون بالتحدي، والسالم عن المعارضة، وهذا التفسير تمّ بأدوات ليست خارقة للسنن، لأنها جرت وفقاً لقانون العليّة الكونية الكبرى والعلل المباشرة.

فنلحظ أن بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي عموماً وخصوصاً، فكل إعجاز تفسير علمي وليس كل تفسير علمي إعجازاً. ولعل الإعجاز العلمي هو النتيجة والغاية المنتظرة فعلاً من التفسير العلمي، لأن الإعجاز العلمي حتى عندما يستقل به في البحث لا يتوصل إليه إلا بعد التفسير العلمي.

إذن حكم التفسير العلمي: على ما تقدم ينقسم على قسمين مختلفين في الحكم:

أ) تفسير علمي جائز بشروط:

ومثاله ما نلحظه في قوله تعالى: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[1]، فالأرض موضع طبيعي هائل لسلالات متعددة من النباتات المختلفة الأنواع والمنافع. فتعبير بـ(كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) اشارة الى مسألة الزوجية في عالم النباتات التي لم تكن معروفة كأصل كلّي حين نزول الآيات محل البحث، وبعد قرون وسنين متطاولة استطاع العلم

[1] سورة ق، الآية: ٧.

ان يميط النقاب عنها، او انّه اشارة الى اختلاف النباتات وانواعها المتعددة، لأن التنوع والاختلاف في عالم النبات عجيب ومذهل[١].

وكذلك في قوله تعالى: **[وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ]**[٢]، فقد أدرك العلماء سر هذه الآية، واكتشفوا أن الماء هو العنصر الأساسي لاستمرار الحياة لجميع الكائنات والنباتات، وأن معظم العمليات الكيمياوية اللازمة للحياة والنمو تحتاج الى الماء.

وقوله تعالى: **[وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا]**[٣]، يقول العلم الحديث: إن الشمس مشتعلة من ذاتها كالسراج، والقمر ليس مشتعلاً وإنما عاكسٌ لنور الشمس، وهذا مطابق للآية الكريمة. والامثلة كثيرة يرجع لها في مظانها[٤].

ب) تفسير علمي غير جائز:

وهو الذي لا ينضبط بشروط كما أسلفنا، ومثاله في تفسير قوله تعالى: **[وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ]**[٥]، فقد قال البعض: إن المقصود بالطير هي الميكروبات والفيروسات، وهذا مخالف للغة العربية، ولظاهر الآية، وللمأثور الوارد فيها، وهو تحميل للآية فوق ما تحتمل، وهذا التفسير في غاية البطلان[٦].

وبناءاً على ما تقدم من **ضوابط** أرى أنه ليس هناك خلاف بين الفريقين وان كان لابد أن يسمى خلافاً فهو خلاف لفظي لا جوهري إذ إن الذين قالوا بالتفسير العلمي وخرجوا على الحد الواجب الوقوف عنده تجاوزوا بفعلهم هذا حدود التفسير فخرجوا من الميدان، أمثال الرازي وطنطاوي جوهري وان (كان حسن النية وسلامة القصد متوافر عند من كتب في هذا المجال فالله عز وجل كفيل بأثباتهم بحسب نياتهم)[٧]، وأما

---

[١] ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٣/١٧ .
[٢] سورة الأنبياء، الآية: ٣٠ .
[٣] سورة الفرقان، الآية: ٦١ .
[٤] ظ: جواهري طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن. وغيره من التفاسير..
[٥] سورة الفيل، الآية: ٣ – ٤ .
[٦] ظ: د. كمال محمود الهوبي وآخر، التفسير ومناهج المفسرين، ص٢١٥.
[٧] د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص١١٩.

الذين قالوا بعدم الخوض في هذا المجال فقد أقفلوا باباً للنظر وميداناً للفكر دعا إليه القرآن المجيد وحث عليه في أكثر من آية فلو التزم هؤلاء وهؤلاء حقيقة واحدة دون اعتساف وفسروا الآية بالحقيقة العلميّة من دون تكلف لما حدث خلاف ولا تفرق رأي إذ إن هناك تسليم بحقيقة مؤكدة وهي أن القرآن لا يصادم حقيقة من حقائق العلم تطمئن إليها العقول وهذا الرأي الذي أميل إليه.

ثالثاً: أدلة (مسوغات) جواز التفسير العلمي:

من خلال العرض المتقدم وعوداً على بدأ نستخلص إننا نرى جواز التفسير العلمي للقرآن الكريم شريطة خضوعه **للضوابط** المُحكمة والمنهج المُعتبر – كما تقدم –، وذلك للأدلة الآتية:

١. إن هذا الكون الذي نحيا فيه متناه في أبعاده، مذهل في دقة بنائه، وإحكام ترابطه وانتظام حركاته[١].
٢. اهتمام القرآن بالعلم، فإن الأمثلة العلميّة، والحث على التفكر في الآيات الإلهية في السماء والأرض[٢] والإنسان[٣]، أدى الى تطور العلوم والمعارف، ومقارنتها مع ما ورد في القرآن الكريم.
٣. شعور علماء المسلمين بوجوب الدفاع والوقوف أمام شُبهات الغرب، مثل تعارض العلم مع الدين، لإثبات عدم مخالفة القرآن للعلم.
٤. لما تمّ الإشارة إليه إن جوهر الحقيقة واحد وأفضل تعبير عنها المنقول بالوحي فإيضاحها من خلاله عمل منسجم مع هذا التصوّر، واثبات التطابق مع القاطع العلمي والعقلي دليل على كون المنقول بالوحي صادر من عند الله

---

[١] للتوسعة ظ: د. زغلول راغب النجار، مدخل الى دراسة الإعجاز العلمي، ص١٤٨، د. عبد الأمير زاهد،مقدمات منهجية في تفسير،ص٥٤، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص٢٧٨.
[٢] ظ: المؤلف: الإعجاز في القرآن الكريم – دراسة في الآيات الكونية –، ص١٤٧.
[٣] تناولت بحوث عديدة الاعجاز التكويني للإنسان في القرآن الكريم، وقد كان للمؤلف سهم في ذلك في اطروحته للدكتوراه التي كانت تحت عنوان: المنظور القرآني في بناء الانسان – دراسة تفسيرية – ونالت درجة (الامتياز)، إذ تناولنا فيها جانب العناية القرآنية في بناء إنسانية الإنسان.

تعالى الذي يترتب عليه الالتزام بأوامره ونواهيه.

٥. كون القرآن الكريم يجعل التفكير السديد والنظر الصائب في الكون وما فيه أعظم وسيلة من وسائل الإيمان بالله تعالى.

٦. كون ذلك مدركاً لارتباط القوانين الكونية والقوانين التشريعية وتكاملها، الأمر الذي يوجب الالتزام بالمنهج القرآني في حركة الحياة والكون والإنسان.

٧. كون القرآن الكريم قانوناً أبدياً، فليس فيه سلطة ثقافية لغير المعصوم، فكل جيل له تجلياته من هذا النص.

رابعاً: طرق التفسير العلمي: هناك ثلاثة طرق للتفسير العلمي، هي:

١. استخراج العلوم من القرآن.

٢. تحميل وتطبيق النظريات العلمية على القرآن.

٣. استخدام العلوم في فهم وبيان الإشارات العلميّة لآيات القرآن.

وان الطريق الصحيح من هذه الطرق، هو الطريق الثالث؛ أما الطريقان الآخران فليسا بصحيحين، وأن معظم إشكالات المخالفين ترجع الى هذين الطريقين.

أهم كتب التفسير العلمي:

- محمد بن احمد الإسكندراني (من علماء القرن الثالث عشر الهجري)، كشف الأسرار النورانية القرآنية، فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية.
- الطنطاوي جوهري (ت:١٩٤٠م)، الجواهر في تفسير القرآن.
- حنفي أحمد، التفسير العلمي للآيات الكونية.
- د. محمد عبد المنعم الجمّال، التفسير الفريد للقرآن المجيد.
- عبد الرزاق نوفل، القرآن والعلم الحديث.
- محمد كاظم الفتلاوي، الإعجاز في القرآن الكريم – دراسة في التفسير العلمي للآيات الكونية –.

خامساً: انموذج على التفسير العلمي

منهج الشيخ جواهري طنطاوي في تفسيره: الجواهر في تفسير القرآن

هو الشيخ طنطاوي بن جوهري المصري المفسر والأديب، ولد في قرية كفر عوض الله حجازي احدى قرى الشرقية بمصر وفيها تلقى تعليمه على يد ابيه وعمه الشيخ محمد شلبي ودرس في المدارس الحكومية والتحق بالأزهر واتقن العلوم الدينية والعربية والعلوم الأخرى وعني بدراسة اللغة الأنكليزية التي كانت مادة مهمة في ثقافته وسعة معلوماته العلمية، ومارس التعليم في المدارس الابتدائية، ثم مدرساً بدار العلوم واخيراً مدرساً في الجامعة المصرية، وكان شيخاً اديباً فاضلاً وكاتباً مجيداً وشاعراً قديراً، وخلف عدداً من الكتب المطبوعة من تآليفه، توفي بالقاهرة ١٩٤٠م[١].

تعريف بكتاب: الجواهر في تفسير القرآن: كتاب (الجواهر) واسمه (الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات) تفسير للقرآن الكريم وضعه الشيخ طنطاوي جوهري على نمط حاول فيه أن يفسر القرآن تفسيراً علمياً مع العناية بالأحكام والأخلاق القرآنية، لذلك فهو يكثر من ذكر عجائب الكون واسرار العلوم والنظريات الحديثة ويسخرها لخدمة آية أو لفظة أو حكم من الأحكام القرآنية، فهو موسوعة في علوم الكون المختلفة، وغرض صاحبه – كما صرح – هو إصلاح على أساس العلم، والأخذ بمنجزاته، والسير في طريقه، وذلك حتى يلحق المسلمون بركل الحضارة، ويفوقوا الفرنجة في الزراعة والطب والحساب والهندسة وغيرها من العلوم والصناعات، انتهى من تأليفه كما ورد في نهايته صباح يوم الثلاثاء ٢١ شهر محرم ١٣٤٤ هجرية ١١ آب سنة ١٩٢٥م.

[١] ظ: الزركلي(ت:١٤١٠هـ)، الأعلام، ٣/٢٣٠.

منهجه التفسيري:

١- يبدأ الشيخ طنطاوي جوهري تفسير السورة عادة بذكر ملخص للسورة، ويقسم السورة الى اقسام، ثم يذكر مقصد كل قسم، ثم يتبع ذلك بمقدمة عن مناسبة السورة لما قبلها، ثم يبدأ بالمقصد الأول فيذكر مقطعاً من الآية أو من السورة (لأن ذلك المقطع قد يحتوي على أكثر من آية) ثم يبدأ بتفسيره اللفظي، ثم يبدأ بالمعنى فيقسم المقصد الواحد الى فصول، ويتبع كل فصل بما يراه مناسباً من اللطائف الدقيقة والظواهر التي تنبه الاذهان الى سر أمر غامض أو كنه شئ مألوف لم ينتبه إليه.

٢- وهو يفسر الحروف المقطعة بتفسيرات كثيرة تختلف في كل سورة عن غيرها، كما يفسر البسملة في كثير من السور تفسيرات تختلف بحسب مواضعها ويربطه بما جاء في العلم والنظريات الحديثة.

٣- يقوم هذا التفسير على تفسير الآيات تفسيراً حديثاً قائماً على معطيات العلوم الحديثة والنظريات الجديدة، ويجعل من الآية منطلقاً الى ولوج ابواب تلك العلوم.

ومن امثلة ذلك قوله في تفسير: **[يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ]**[١]، يقول: (ان تنزيل الأمر من السماء الى الأرض يقتضي البحث في غرضين: الغرض الأول: النظر في منشأ هذا العالم من مبدئه...)[٢] ثم يبدأ هذا البحث..

٤- وهو دائم المقارنة بين الآيات وبين ما جاء في العلم الحديث، بل قد يعقدها على هيئة جدول كما فعله في اثناء تفسيره للآيات المبتدئة بقوله تعالى: **[سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ]**[٣]، قال: هذا ملخص ما جاء في العلم الحديث وفي علم الارواح موازناً به ما جاء في القرآن والحديث الشريف:

---

[١] سورة السجدة، الآية: ٥.
[٢] الجواهر في تفسير القرآن، ١٥/٢٠٠.
[٣] سورة آل عمران، الآية: ١٥١.

موازنات

العلم الحديث	القرآن الكريم
١- الأرض انفصلت عن الشمس والقمر انشق منها.	١- [أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا][١].

٢- الأرض إذا جاء اجلها تمور وتصير هباء، ٢- [يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ][٢].

ثم تصير عالماً جديداً وكذا بقية الكواكب.

وهكذا يستمر في عقد المقارنات وهي كثيرة[٣].

٥- وهو يؤول الأشياء التي لا تخضع للعلم كأحياء الموتى ووجود الملآئكة والبعث والنشور والخوارق والإسراء والأمور الغيبية تأويلاً يجعلها ممكنة الحدوث في عالمنا هذا، ويضرب عليها كثيراً من الأمثلة فنلحظ في تأويله لقوله تعالى: [فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ][٤]، إذ يجعل ضرب القتيل ببعض لحم تلك البقرة واحياءه واخباره عن القاتل، ضرباً من احضار الارواح الذي أهتم به الناس باعتباره علماً حديثاً واخذ يضرب على ذلك امثلة جرت في ذلك[٥].

٦- واهتمامه بالنواحي العلمية ينطلق من عدة دوافع على رأسها:

أ. ميل المؤلف الى تلك النواحي.

ب. ان العلم هو السلاح المجدي والمقنع في هذا العصر الذي ضربت فيه الأمم بسهم وافر.

ج. حاجة الأمة الى ذلك لتخلفها.

---

[١] سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.
[٢] سورة ابراهيم، الآية: ٤٨.
[٣] ظ: الجواهر في تفسير القرآن ، ١٨٦/٢.
[٤] سورة البقرة، الآية: ٧٣.
[٥] ظ: الجواهر في تفسير القرآن ، ٨٤/١.

د. توثيق الصلة بين القرآن والعلوم الحديثة.

هـ. ان الآيات العلمية الواردة في ثنايا القرآن أكثر من الآيات التي استنبط منها الفقهاء احكامهم، فإذا كانت آيات الأحكام (١٥٠) على رأي بعضهم أو (٢٠٠) آية، أو (٥٠٠) آية وكوّن منها الفقهاء والمفسرون ما يملأ الأرض من الكتب والتفاسير فإن الآيات العلمية بلغ عددها (٧٥٠) آية وهي بلا شك دلالة على عناية القرآن بالعلم ووجوب صرف الهمة الى ذلك[١].

٧- وهو في تفسيره مصلح يدعو قومه الى الإصلاح ما استطاع إليه سبيلا وهو يقاوم الجهل والتقليد الذي خيم على مجتمعه، يتضح ذلك مما مر ومن المحاورات التي يجريها مع الناس ليبصرهم بما هم فيه من البدع والضلالات والتقليد المقيت، قال: (..س: دع ذكر الأمم والممالك، واذكر حكاية صغيرة يعرفها الفلاحون ويفهمها المزارعون الذين يعقلون).

ج: نعم، المسألة الأولى: قابلني منذ عشرين سنة مزارع صغير... الخ)[٢] وهو يقول في تفسيره لسورة الانفال بعنوان الإصلاح العام (واعلم ان دواء هذا الداء في الأمم الإسلامية يجب له الشروط الآتية... ويذكر سبعة شروط[٣].

٨- وهو لا ينفك يحشي تفسيره بما يحدث في ساعته من استفسارات أو محاورات علمية، أو ما يشعر به من مشاعر في تلك الآونة[٤] وقد تحضره قصيدة نظمها أو تخميس ابيات رتبها، أو ترجمها الى العربية شعراً[٥] وقد ينقل مقالاً كتبه هو أو رسالة ارسلها الى جهة ما أو فقرة كاملة من كتاب كان قد الفه، وهو دائماً يشير ويحيل الى كتابه الذي وضعه في علم الارواح، بل غدا تفسيره اشبه

---

[١] ظ: الجواهر في تفسير القرآن، ٢/١، ٢٤٤/٢٥.
[٢] ظ: المصدر نفسه، ٢٢٣/٣.
[٣] ظ: المصدر نفسه، ٢٣٧/٢٥.
[٤] ظ: المصدر نفسه، ٣٥/١، ٢١٣/٣.
[٥] ظ: المصدر نفسه، ١٦٠/٢، ١٥١/٥.

بالمذكرات يؤرخها يوماً بعد يوم[١]، ثم قد يستنسخ من كلام غيره مقالاً بأكمله أو خبراً تنشره الصحف اليومية، وقد يستغرق في موضوع علمي فيملأ الصفحات العديدة حول ذلك ويعزز ذلك بغرائب الحوادث والواقعات ويستشهد على ذلك بجدول أو تقرير رسمي أو بيان موجه الى جمهور الناس فضلاً عن مئات الصور والرسوم التي زين بها تفسيره.

وقد ينقل عن الاناجيل[٢] وغيرها ما يراه موافقاً لمعنى آية أو حكمة أو ظاهرة من ظواهر هذا الكون، أو عن الفلاسفة والفرق[٣].

٩- وقد باتت هذه الأمور من الكثرة بحيث قد طغت على التفسير وغلبت عليه حتى ليجد القارئ صعوبة في تفسير الآية تفسيراً كاملاً، وفي أي موضوع هو، لاستطراده الى هذه الموضوعات العلمية واستغراقه لجزئيات بعضها مما يفوت الفرصة على القارئ ويشتت ذهنه.

وقد تعرض هذا التفسير ومؤلفه الى انتقادات كثيرة بسبب طغيان النواحي العلمية والاستطرادات الكثيرة الى النظريات الكونية والموضوعات الحديثة في مختلف العلوم وخروجه عن علم التفسير وابتعاده عنه كل ذلك لم يجعل تفسيره يلق قبولاً كاملاً عند أهل العلم والتفسير، لأجل هذه الناحية وهذا يفسر لنا كثرة ما يحكيه لنا هو عن نفسه من المحاورات والاعتراضات عليه، ويؤكد ذلك ما جاء في آخر الكتاب وقبل تمامه من أنه ارسل رسالة الى "عبد العزيز بن سعود" ملك نجد والحجاز حين منع العلماء هناك نشر هذا التفسير وتداوله في تلك الاقطار[٤]، فلم يتحقق ما كان يتوقعه ويصبو إليه في بداية الكتاب[٥] من تعلق الناس بهذا النوع من التفسير ورواجه واحداثه ما كان يصبو إليه من التغيير.

---

[١] ظ: الجواهر في تفسير القرآن، ١٢/١٧٢ وغيرها.
[٢] ظ: المصدر نفسه، ٣/٢١٩.
[٣] ظ: المصدر نفسه، ١٥/٧.
[٤] ظ: المصدر نفسه، ٢٥/٢٤٤.
[٥] ظ: المصدر نفسه، ١/٣.

ومن هذه النقودات ما قاله الدكتور صبحي الصالح، إذ قال: (انه في تفسيره كل شئ ما عدا التفسير)[١]، والنقد ذاته نلحظه في قول استاذنا الدكتور محمد حسين الصغير، إذ قال: (وباستقراء هذا المنهج نجده يحتوي على علوم عدة، ومباحث جمة لا علاقة لأغلبها بفن التفسير، حتى يصح لنا أن نقول أن في كتاب الجواهر كل شئ إلا التفسير)[٢].

وقال آخر: (إن هذا الكتاب إذا نُسب الى التفسير فشره أكثر من خيره، وإذا نُسب الى علوم الكون فخيره أكثر من شره. والله أعلم)[٣].

ونرى ان في ذلك شئ من الغلو، لأننا نجد في تفسير الجواهر من النكات الدقيقة والالتفاتات الصائبة ما لا يُنكر فضله وسبقه إليه، فهذا التفسير موسوعة ضخمة اراد لها مؤلفها أن تحدث تغييراً في حياة الأمة التي ساءته حالتها المتأخرة فأراد أن يربط الآيات بمقررات العلوم الحديثة مما يكون حافزاً لأبناء هذه الأمة ليستعيدوا مجدهم، وينطلقون من مبادئ القرآن ليحققوا لها العزة والمجد، حتى إنه نقد مخالفيه بكلام لاذع إذ قال طنطاوي جوهري: (إن هذه العلوم التي أدخلناها في تفسير القرآن هي التي أغفلها الجهلاء المغرورين من صغار الفقهاء في الإسلام)[٤].

ولعلنا نعلم أن لكل عصر مقاييسه ومعارفه الخاصة به ولا يصح بأي حال من الأحوال أن نُحكم مقاييس عصر على عصر آخر، ولنكون موضوعيين فلابد علينا أن نقرر أن الخطأ في بعض التأويلات لهذا اللون واقع ملموس ولكنه لا ينبغي أن يحملنا الخطأ عند البعض على إنكار الكل.

---

[١] مباحث في علوم القرآن، ص٢٩٧.
[٢] المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص١٢١.
[٣] د. كمال محمود الهوبي وآخر، التفسير ومناهج المفسرين، ص٢١٩.
[٤] الجواهر في تفسير القرآن، ١٩/٣.

أنموذج من تفسيره: نجده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**﴾[١].

يقول: (الفوائد الطبية في هذه الآية)، ثم يأخذ في بيان ما أثبته الطب الحديث من نظريات طبية، ويذكر مناهج أطباء أوروبا في الطب، ثم يقول: (أو ليس هذه المناهج هي التي نحا نحوها القرآن؟ أو ليس قوله: ﴿**أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**﴾ رمزًا لذلك؟ كأنه يقول: العيشة البدوية على المن والسلوى .. وهما الطعامان الخفيفان اللذان لا مرض يتبعهما، مع الهواء النقي والحياة الحرة، أفضل من حياة شقية في المدن بأكل التوابل، واللحم والإكثار من ألوان الطعام، مع الذلة، وجور الحكام، والجبن، وطمع الجيران من الممالك، فتختطفكم على حين غفلة وأنتم لا تشعرون، بمثل هذا تفسر هذه الآيات، بمثل هذا فليفهم المسلمون كتاب الله)[٢].

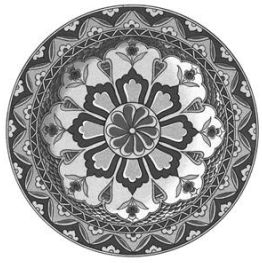

[١] سورة البقرة، الآية: ٦١.
[٢] الجواهر في تفسير القرآن، ٦٧/١.

الفصل الثامن

منهج التفسير الموضوعي

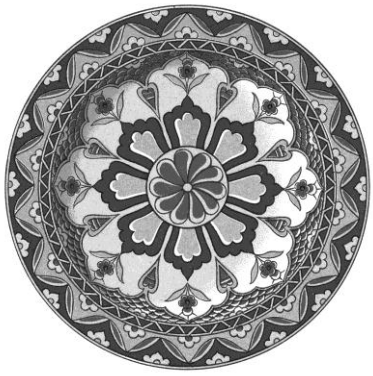

منهج التفسير الموضوعي

التفسير الموضوعي هو نوع من أنواع التفسير الذي يهتم بالموضوع القرآني وموضعه في السياق القرآني للسورة، وتتضح أهميتة من خلال اهتمامه بالهدايات القرآنية حيث يحاول الكشف عنها من خلال السياق للآيات القرآنية، ومن خلال تتبع الكلمة واستعمالاتها، ومن خلال التعرف على المناسبات والروابط بين السور والآيات، وبين بدايات الآيات وفواصلها وافتتاحيات السور وخواتيمها.

وهذا المنهج التفسيري يمكن القول عنه أنه علم حديث، لم يكن معروفاً كعلم مستقل فيما سبق، ولم يظهر هذا المنهج بمعناه الاصطلاحي إلا في القرن الرابع عشر الهجري وإن كانت وجدت له لبنات، أشار إليها علماؤنا الأفاضل من خلال أقوال المعصوم عليه السلام، فهو بهذا قديم بقدم علم التفسير نفسه، وتتجلى على الخصوص في منهج تفسير القرآن بالقرآن الذي أسسه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعدد من الأمثلة[١].

وقد تعددت تعاريفه بتعدد وجهات نظر المهتمين به، غير أنها لا تكاد تخرج عن كونه منهجاً يقوم على: (جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن الكريم المتعلقة بالموضوع الواحد لفظاً أو حكماً وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية)[٢].

وإن كان هذا التعريف يَعد القرآن كله مجالاً للبحث تبعاً للدلالة الأصلية للمصطلح، غير أن معظم الباحثين يرون أن اتخاذ سورة واحدة موضوعاً مستقلاً للبحث، هو أيضاً من صميم التفسير الموضوعي، وذلك باعتبار السورة القرآنية وحدة موضوعية متكاملة لارتباط قضاياها الجزئية بموضوعها المحوري غالباً.

وبهذا يكون هو علم يتناول قضايا متنوعة حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر.

---

[١] ظ: فصل المنهج الأثري من هذا الكتاب.
[٢] د. محمد نبيل غنايم زاهر، بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي، ص١١.

مع العلم أن تحديد موضوع التفسير يكون إما بتصور مسبق لمعالمه ومحاوره، وكذا الألفاظ المفاتيح الدالة عليه، وإما باعتماد لفظة ذات مفهوم عام يصلح لأن يكون موضوعاً مناسباً تبحث قضاياه وإشكالاته، باستقراء موارده في القرآن الكريم، والمنهج الموضوعي عموماً لا يتقيد بترتيب السور في المصحف بل يبحث عن الترتيب التاريخي لنزول القرآن الكريم، ويستأنس بسبب النزول إن وجد.

أولاً: مظاهر السبق في التفسير الموضوعي: وبما ان المنهج الموضوعي (قضية، أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم)[١] فقد سبق بعض الأوائل من المفسرين الى هذا المنهج من حيث لا يقصدون، ويتجلى هذا السبق **في مظاهر** هي:

١: **تفسير القرآن بالقرآن،** لا ريب أن تفسير القرآن بالقرآن هو لب التفسير الموضوعي وأعلى ثمراته، وجميع الآيات التي تناولت قضية واحدة والجمع بين دلالاتها والتنسيق بينها، ومثالنا فيه: تفسير مفاتح الغيب في قوله تعالى: **[وعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ]**[٢]، نلحظ تفسيرها في قوله تعالى: **[إنَّ اللهَّ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ومَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً ومَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إنَّ اللهَّ عَلِيمٌ خَبِيرٌ]**[٣].

٢: **آيات الأحكام:** قام الفقهاء بجمع آيات كل باب من أبواب الفقه على حدة، وأخذوا في دراستها واستنباط الأحكام منها، ومن أهم المؤلفات:

- الجصاص ابي بكر (ت:٣٧٠هـ)، أحكام القرآن (الفقه الحنفي).
- المقداد السيوري (ت٨٢٦:هـ)،كنز العرفان في فقه القرآن (الفقه الجعفري).
- ابن العربي القاضي (ت:٥٤٣هـ)، أحكام القرآن (الفقه المالكي).

---

[١] د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص١٦.
[٢] سورة الانعام، الآية: ٥٩.
[٣] سورة لقمان، الآية: ٣٤.

- الفراء محمد بن الحسين (ت:٤٥٨هـ)، تفسير آيات الأحكام (الفقه الحنبلي).
- الكياالهراسي عماد الدين (ت:١٠٥٨هـ)، أحكام القرآن (الفقه الشافعي).
- محمد بن الحسين الحسني (ت:١٠٦٧هـ)، منتهى المرام شرح آيات الاحكام (الفقه الزيدي).

وهذا المظهر التاريخي في التفسير الموضوعي لآيات الأحكام ساهم بشكل فاعل في تطور المجال الفقهي، يقول السيد محمد باقر الصدر: (وأكثر ظنّي أن الاتجاه التوحيدي والموضوعي في الفقه بامتداده وانتشاره ساعد بدرجة كبيرة على تطوير الفكر الفقهي وإثراء الدراسات العلمية في هذا المجال)[١].

٣: الأشباه والنظائر: وهو اتجاه نحاه بعض العلماء في تتبع اللفظة القرآنية، ومحاولة معرفة دلالاتها المختلفة، مثال ذلك: كلمة (خير) وردت في القرآن على ثمانية أوجه حسبما ذكره الدامغاني في كتابه (إصلاح الوجوه والنظائر)، وهي: المال: كقوله: **[إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ إن تَرَكَ خَيْراً]**[٢]، والإيمان كقوله : **[ولَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ]**[٣]، والإسلام كقوله: **[مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ]**[٤]، وبمعنى أفضل كقوله: **[وأَنتَ خَـيْـرُ الرَّاحِمِينَ]**[٥] والعافية كقوله: **[وإن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إلاَّ هُوَ وإن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]**[٦]، والأجر كقوله: **[لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ]**[٧]، والطعام كقوله: **[فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ]**[٨]، وبمعنى الظفر والغنيمة والطعن في

---

[١] المدرسة القرآنية، ص١٥.
[٢] سورة البقرة، الآية: ١٨٠.
[٣] سورة الانفال، الآية: ٢٣.
[٤] سورة القلم، الآية: ٢.
[٥] سورة المؤمنون، الآية: ١٠٩.
[٦] سورة الانعام، الآية: ١٧.
[٧] سورة الحج، الآية: ٣٦.
[٨] سورة القصص، الآية: ٢٤.

القتال كقوله: [ورَدَّ اللهُ الَذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً][1]، وهذا كما ترى لون من التفسير الموضوعي، وهو أول وسيلة يلجأ إليها الباحثون في البحث عن موضوعات القرآن حيث يجمعون ألفاظ ذلك الموضوع من سور القرآن ثم يتعرفون على دلالة اللفظ في أماكن وروده .

٤: **الدراسات في علوم القرآن:** اهتم العلماء بموضوعات علوم القرآن فأشبعوها، ومن بين هذه الموضوعات والدراسات، لون ينصبُّ على دراسة وجمع الآيات التي لها رابطة واحدة، كآيات النسخ والقسم والمشكل والجدل والأمثال وغير ذلك، ومؤلفاتهم في ذلك يعز على المؤلف حصرها وهي أشهر من أن تذكر.

وبهذا نلحظ إنَّ مصطلح التفسير الموضوعي وإن تأخرت تسميته بهذا الاسم فإنه من علوم السَّابقين ومن مبتكراتهم والمؤلفات فيه قد كثرت في العصر الحديث وأصبحت المكتبة القرآنية تزخر بها، فهو ميدان خصب للباحثين.

ثانياً: أنواع التفاسير من حيث منهج المفسرين والترجيح بينها:

١: **أنواع التفاسير** كثيرة ولكن يمكن حصرها في نوعين:

النوع الأول: التفسير الموضعي التجزيئي: الذي يرجع فيه المفسر إلى موضوع واحد من القرآن الكريم، متتبعاً الآيات في سورها، إما بالمأثور أو بالرأي المحمود، وإما أن يكون تحليلياً، أو إجمالياً عند الاختصار، أو مقارناً بين تفاسير مع بعضها.

وهذا النوع من التفسير هو أكثر أنواع التفسير انتشاراً، ولعل مسألة شيوع منهج التفسير التجزيئي وسيطرته على الساحة التفسيرية لقرون عديدة، هو بافتراض وجود النزعة الروائية والحديثية في التفسير، حيث أن التفسير لم يكن في البداية إلاّ شعبة من شعب الحديث بصورة أو بأخرى، وكان الحديث هو الأساس الوحيد تقريباً مضافاً إلى بعض المعلومات اللغوية والأدبية والتاريخية التي يعتمد عليها التفسير طيلة فترة

---

[1] سورة الأحزاب، الآية: ٢٥.

طويلة من الزمن[١].

وهذا الاعتماد على النصوص والروايات جعل شكل التفسير تفسيراً تجزيئياً، وذلك لأن المفهوم العام للقرآن كان موجوداً في الصدر الأول لدى المسلمين عدا مفردات محدودة ومعينة جاءت النصوص في تفسيرها. وعلى هذا فإن منهج التفسير بدأ بالتفسير بالمأثور وهو تفسير تجزيئي ثم تطور وانتهى إلى التفسير الموضوعي فيما بعد.

النوع الثاني: التفسير الموضوعي: وهو الذي يلتزم به المفسر مصطلحاً أو موضوعاً أو سورة من القرآن الكريم ويقيم منها بناء متكاملاً.

وينبغي للباحث عند دراسته للموضوعات إعطاء الأولوية للتي تلبي حاجة العصر مثل: الفقر، الغنى، الكسب التقدم التخلف، الإنسان بحيث يتحول وجدانه المعاصر إلى نظريات وتصورات قادرة على تحليل أزمات العصر. مع الاهتمام بتجارب الحياة، ولا تفسير إن لم يكن لدى الباحث أو المفسر تجارب يعيش حياته.

٢: مرجحات منهج التفسير الموضوعي على منهج التفسير التجزيئي

ومن الضرورة بمكان بيان مرجحات منهج التفسير الموضوعي على المنهج التجزيئي، ونذكر ثلاثة مرجحات رئيسة أشار إليها السيد الشهيد الصدر؛ هي:

الأول: أن التفسير الموضوعي يرجح على التفسير التجزيئي لأنه يمثل حالة من التفاعل مع الواقع الخارجي، إذ إن المفسر يبدأ من خلاله بالواقع الخارجي ثم ينتقل إلى القرآن الكريم ثم يعود إلى الواقع الخارجي مرة أخرى بنتاج بحثه داخل القرآن، مما يجعل القرآن الكريم ملبياً وبشكل مستمر لكل متطلبات الحالة الإنسانية والاجتماعية التي تفرضها حركة التأريخ والحركة التكاملية لهذا الإنسان[٢].

---

[١] ظ: محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص١٣.
[٢] ظ: محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص٢٢.

وعلى هذا الأساس كانت طاقات التفسير (التجزيئي طاقات محدودة) لأن طاقات التفسير اللغوي طاقات محدودة بمحدودية طاقات اللغة، إذ ليس هناك تجدد في المدلول اللغوي، ولو وجد فلا معنى لتحكيمه على القرآن[١].

الثاني: إن هدف التفسير التجزيئي في كل خطوة من خطواته هو فهم مدلول الآية القرآنية أو القطعة القرآنية التي يواجهها المفسر بكل الوسائل الممكنة.

وعلى هذا فإن حصيلة التفسير التجزيئي للقرآن الكريم تساوي وعلى أفضل التقادير مجموع مدلولات القرآن الكريم ملحوظة بنظرة تجزيئية أيضاً، أي أنه سوف نحصل على عدد كبير من المعارف والمدلولات القرآنية، ولكن في حالة تناثر وتراكم عددي دون أن نكتشف أوجه الارتباط بها ودون أن نحدد في نهاية المطاف نظرية قرآنية لكل مجال من مجالات الحياة.

نعم، من الممكن استنباط نظرية قرآنية من التفسير التجزيئي، ولكن هذا العمل ليس مستهدفاً بالذات في التفسير التجزيئي، وإن حصل أحياناً[٢].

أما منهج التفسير الموضوعي، فهو لا يكتفي بإبراز المدلولات التفصيلية للآيات القرآنية، بل هو قائم على الصِّلة بين النصِّ والواقع، إذ يُشير إلى أبعاد السور الواقعية وكيفية معالجتها لمشكلات الإنسان المعاصرة. والقرآن الكريم لا يعجز أن يبحث في أي موضوع ولو في وجهٍ واحد من وجوهه وهذا من إعجازه[٣].

الثالث: إن حالة التناثر ونزعة الاتجاه التجزيئي أدت إلى ظهور التناقضات المذهبية العديدة في الحياة الإسلاميّة، إذ كان يكفي أن يجد هذا المفسر أو ذاك آية تبرر مذهبه لكي يعلن عنه ويجمع حوله الأنصار والأشياع كما وقع في كثير من المسائل الكلامية، كمسألة الجبر والتفويض والاختيار مثلاً. بينما كان بالإمكان تفادي

---

[١] ظ: محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص٢٣.
[٢] ظ: المصدر نفسه، ص١١.
[٣] ظ: المصدر نفسه، ص٢٧.

كثير من هذه التناقضات لو أن المفسر التجزيئي خطا خطوة أخرى، ولم يقتصر على هذا التجميع العددي كما نرى ذلك في الاتجاه الموضوعي[١].

ثالثاً: أقسام التفسير الموضوعي:

ويمكن حصر أقسام هذا التفسير في ثلاثة أقسام:

القسم الأول: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني: وهنا يختار الباحث لفظة أو مصطلحاً، تتكرر في القرآن كثيراً، فيتتبعها من خلال القرآن، ويأتي بمشتقاتها ويستخرج منها الدلالات واللطائف. كلفظة: (الأمة، والجهاد، والذين في قلوبهم مرض، والخلافة..)، وهذا القسم كما ترى قد اهتمت به كتب الأشباه والنظائر إلا أنها بقيت في دائرة الكلمة في موضوعها، ولكن يحاول مؤلفوها أن يربطوا بينها في مختلف السور، مما أبقى تفسيرهم للكلمة في دائرة الدلالة اللفظية ..

القسم الثاني: التفسير الموضوعي لموضوع قرآني: بحيث يختار الباحث موضوعاً من القرآن، له أبعاده الواقعية في الحياة أو العلم أو السلوك.....، مما يفيد المسلمين منه ويشكّل منه موضوعاً معيناً، يخرج بخلاصة تساعد على حل مشاكل المسلمين ومعالجة أمورهم.

القسم الثالث: التفسير الموضوعي للسور القرآنية: وهو أن يختار الباحث سورة من القرآن، تكون مدار بحثه ويخرج منها بدراسة موضوعية متكاملة.

وهناك قسم رابع من أنواع التفسير الموضوعي وهو: [التفسير الموضوعي للقرآن الكريم متكاملاً]، بحيث تتضافر جهود عدد من الطلاب للبحث في الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، وإخراجه في صورة واقعية وإلى حيز الوجود.

وهذه فكرة طيبة، تحتاج إلى من يتبناها ويدعّمها، ويحوطها بالعناية لتكون لبنة طيبة في هذا المجال الجديد.

---

[١] ظ: محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص١٢.

رابعاً: أهمية التفسير الموضوعي:

التفسير الموضوعي هو تفسير العصر والمستقبل وله أهمية كبرى عند المسلمين وحاجتهم إليه ماسة، وهذا التفسير يحقق للمسلمين فوائد عديدة من حيث صلتهم بالقرآن وتعرفهم على مبادئه وحقائقه، وتشكيل تصوراتهم وتكوين ثقافتهم، ومن حيث عملهم على إصلاح أخطائهم وتكوين مجتمعاتهم، والوقوف أمام أعداء الإسلام. وبهذا تبرز أهمية التفسير الموضوعي في[١]:

١. حل مشكلات المسلمين المعاصرة وتقديم الحلول لها على أسس حث عليها القرآن الكريم.
٢. تقديم القرآن الكريم تقديماً علمياً منهجياً لإنسان هذا العصر، وإبراز عظمة هذا القرآن وحسن عرض مبادئه وموضوعاته، واستخدام المعارف والثقافات والعلوم المعاصرة أداة لهذا الغرض.
٣. بيان مدى حاجة الإنسان المعاصر إلى الدين عموماً وإلى الإسلام خصوصاً، وإقناعه بأن القرآن هو الذي يحقق له حاجاته ومتطلباته.
٤. يقوم العلماء والباحثون بالوقوف أمام أعداء الله وتفنيد آرائهم وأفكار الجاهلية.
٥. عرض أبعاد ومجالات آفاق جديدة لموضوعات القرآن، وهذه الأبعاد تزيد إقبال المسلمين على القرآن.
٦. التفسير الموضوعي يتفق مع المقاصد الأساسية للقرآن الكريم، ويحقق هذه المقاصد في حياة المسلمين.

---

[١] ظ: د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص٣٠، د. أحمد عبد الكريم الشوكة، أهمية التفسير الموضوعي ومنهجه في معالجة القضايا المستجدة، ص١١٣، د. محمد قاسم الشوم، علوم القرآن ومناهج المفسرين، ص٣٦١، سامر عبد الرحمن رشواني، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم –دراسة نقدية–، ص٢٢.

٧. إظهار حيوية وواقعية القرآن الذي يصلح لكل زمان ومكان فلا ينظر الباحثون إلى موضوعات القرآن على أنها موضوعات قديمة نزلت قبل خمسة عشر قرناً، وإنما يعرضونها في صورة علميّة واقعية تناقش قضايا ومشكلات حية.
٨. التفسير الموضوعي أساس تأصيل الدراسات القرآنية وعرضها أمام الباحثين عرضاً قرآنياً منهجياً وتصويب هذه الدراسات وحسن تخليصها مما طرأ عليها من مشارب وأفكار غير قرآنية.
٩. عن طريق التفسير الموضوعي يستطيع الباحث أن يبرز جوانب جديدة من وجود إعجاز القرآن الذي لا تنقضي عجائبه.
١٠. تأهيل الدراسات القرآنية وتصحيح مسارها.
١١. بالتفسير الموضوعي ينفذ الباحثون أمر الله بتدبر القرآن الكريم وإمعان النظر فيه وإحسان فقهه وفهم نصوصه.

خامساً: طريقة البحث في التفسير الموضوعي:

حاول بعض الباحثين ضبط عناصر المنهج ومراحله، نجملها في[١]:

١- تحديد موضوع الدراسة ومجالها.
٢- تحديد أهداف الموضوع.
٣- تحديد الألفاظ الدالة على محاور الموضوع.
٤- جمع الآيات القرآنية ذات الصلة بالموضوع.
٥- ترتيبها حسب النزول.
٦- معرفة ما ورد في شأنها من حيث أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.
٧- معرفة ما جاء عنها في كتب التفسير مع تنقية المرويات من الضعيف والإسرائيليات، واختصار ما هو من قبيل الاستطراد اللغوي أو البلاغي.

[١] للتوسعة ظ: د. محمد نبيل غنايم زاهر، بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي، ص٣٧.

٨- محاولة استنباط الغايات والمقاصد الشرعية والهداية القرآنية بعيداً عن آراء مسبقة ذات خلفيات ومذاهب مخلة بموضوعية التفسير وبمقاصده العلمية.

٩- استخلاص أهم حقائق السورة والدلالات التي نقررها، والإشارة إلى أبعاد السور الواقعية وكيفية معالجتها لمشكلات الإنسان المعاصرة.

أهم المؤلفات في منهج التفسير الموضوعي في العصر الحديث:

١. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد مجموعة من المتخصصين في القرآن وعلومه بإشراف الدكتور مصطفى مسلم.
٢. دستور الأخلاق في القرآن الكريم، الدكتور محمد عبدالله دراز.
٣. نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي.
٤. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، عبد الله جوادي الآملي.
٥. الصورة الفنية في المثل القرآني – دراسة نقدية وبلاغية –، استاذنا الدكتور محمد حسين الصغير.
٦. نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي.
٧. الإنسان في القرآن، عباس محمود العقاد.
٨. المنظور القرآني في بناء الإنسان ، محمد كاظم الفتلاوي (المؤلف).
٩. مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني.
١٠. تفاسير آيات الأحكام. (مرّ علينا ذكرها في موضوع: مظاهر السبق).

سادساً: نماذج تطبيقية من منهج التفسير الموضوعي:

ولتتمة هذا المنهج التفسيري والذي من خلاله آثرنا عدم ذكر المنهج الفقهي بكونه داخل ضمن المنهج الموضوعي إذ ان (الروايات الفقهية هي نوع من أنواع التفسير الموضوعي للقرآن)[١]، وذلك ان أساليب القرآن في عرض الأحكام هو توزيع الحكم الواحد في سور متعددة؛ فمرة يذكر بصورة مجملة واخرى بصورة مفصلة فلم تأتي الأحكام كلها في سورة واحدة. وهذا ما ينطبق على جميع آيات الأحكام تقريباً فقد تفرقت أحكام الحج والزواج والعدة في سور متعددة. ومن هنا، فعلى المفسر أو الفقيه أن ينظر الى القرآن نظرة كلية فيعمد الى جمع تفاصيل وجزئيات الحكم الواحد من جميع السور التي ذكرت ذلك الحكم.

فنذكر هنا منهجين لمفسرين في آيات الأحكام، هما:

أولاً: منهج الجصاص ابي بكر الرازي (ت٣٧٠هـ) في تفسيره أحكام القرآن:

هو أبو بكر أحمد بن علي الرازي المشهور بالجصّاص نسبة الى العمل بالجِصّ، وهو من اعلام العراق، ولد سنة (٣٠٥هـ)، أخذ الفقه عن أبي سهل الزجاج وأبي الحسن الكرخي وعن غيرهما من فقهاء عصره، وأخذ الحديث وتوسَّع فيه ورحل الى الآفاق، فـ(كان إمام الحنفية في عصره)[٢]؛

استقر له التدريس ببغداد وانتهت إليه الرحلة، وكان على طريق شيخه الكرخي وبه انتفع، له كتب كثيرة منها: أصول الفقه، وشرح مختصر الطحاوي، وأهمهما كتاب أحكام القرآن[٣].

[١] محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، ص٢٦٥.
[٢] عبد الحي اللكنوي الهندي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، نقلاً عن: المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، الجصاص، أحكام القرآن، ٣/١.
[٣] ظ: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٤٠/١٦.

منهجه في تفسير أحكام القرآن:

هذا التفسير هو أول تفسير فقهي مطبوع، ويُعد من أهم كتب التفسير الفقهية عند الحنفية، لأنه يقوم على نصرة مذهبهم، والدفاع عنه[١]، والرد على مخالفيه، وهو تطبيق لكثير مما ورد في كتابه (أصول الفقه) كما أشار إلى ذلك في مقدمته لـ (أحكام القرآن)[٢]. وقد شمل آيات الأحكام كلها على ترتيبها في المصحف، وقد خلا من اثنتين وثلاثين سورة لم يتعرض لها إما لعدم وجود أحكام فيها، أو لأن ما فيها من الأحكام قد مضى بيانه في سور سابقة، لكنه مع ذلك مُبَوَّبٌ على مثال ترتيب كتب الفقه، يضع لكل آية أو آيات عنواناً يدل على مضمون المسائل التي تستنبط منها أو تتفرع عليها، فكان بذلك أسبق من العصريِّين في اتباع هذه الطريقة. اما منهجه فكان:

١. استيعابه لآيات الأحكام، حيث تعرض في كتابه لهذه الآيات، فبين خلاف السلف فيها.
٢. يبين خلاف العلماء في أحكام الآيات، ويذكر أدلة كل فريق.
٣. يذكر الأحاديث والآثار غالباً بالأسانيد، ويتكلم على بعضها.
٤. جمع أدلة الأحناف وحاول استيعابها؛ حتى إنك لا تتعداه إلى غيره في جمع أدلة الأحناف، وناقش كذلك أدلة المخالفين وفندها، وهذا في كل مسألة غالباً.
٥. كان الجصاص في عدد من المواقف يصف من يخالف المذهب الحنفي في بعض المسائل سواء أكان من فقهاء الشافعية أم من غيرهم بأنه مغفل[٣]، أو بأن كلامه فارغ لا معنى تحته[٤].

---

[١] ظ: د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ٤٢١/٢. والغريب ان يقال عنه شيعي المذهب عند بعض الباحثين بسبب بعض مواقفه التفسيرية والتي منها في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا**﴾ سورة الحجرات، الآية:٩، حينما يجعل الإمام علي (هو المحق في قتاله، أما معاوية ومن معه فهم الفئة الباغية، وكذلك كل من خرج على علي). ٥٣٢/٣.

[٢] ظ: الجصاص، أحكام القرآن، ٦/١.

[٣] ظ: أحكام القرآن، ١٤٨/١، ٣٤٧، ٤٨٣،٢، ٤٣١/٣٣٧/٣،١٦٣، ٢٢٦،٢٢٧، ٣٥٩.

[٤] ظ: أحكام القرآن، ٤٢٣/١ في رده على إسماعيل بن إسحاق عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ**﴾. سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

مثال على منهجه:

تفسيره لقوله تعالى: **[وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ]**[١]، (روي عن إبراهيم النخعي في معنى الآية قال: (كانوا يكرهون للمؤمنين أن يذلوا أنفسهم فيجترىء عليهم الفساق). وقال السدي: (**هُمْ يَنْتَصِرُونَ**) معناه: ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا عليهم. قال أبو بكر: قد ندبنا الله في مواضع من كتابه إلى العفو عن حقوقنا قبل الناس، فمنه قوله: ﴿**وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾[٢]، وقوله تعالى في شأن القصاص: ﴿**فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ**﴾[٣]، وقوله: (**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ**)[٤]، وأحكام هذه الآي ثابتة غير منسوخة)[٥].

ويشدّد الجصاص الهجوم على مخالفي الحنفية، وكانت أجواء المناظرات تُهيئ لذلك خصوصاً في بغداد مما ينبهنا الى أن لا نتأثر في عصرنا بمثل هذه المؤثرات.

ومثالنا ها هنا قوله في قوله تعالى: **[... فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا]**[٦]، فسّر جمهور المفسرين **[أَلَّا تَعُولُوا]** أن لا تميلوا الى إحدى الزوجات، وفسرَّها الشافعي بألا تكثر عيالكم، فشنّع الجصاص تبعاً للمبرَّد على الشافعي هذا التفسير بأنه يخالف اللغة، لأنه لو كان هذا هو المراد لقال: (ألا تُعِيلوا)، وشدّد في التشنيع مما لا ينبغي أن يصدر عن مثله[٧].

---

[١] سورة الشورى، الآية: ٣٩.
[٢] سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.
[٣] سورة المائدة، الآية: ٤٥.
[٤] سورة النور، الآية: ٢٢.
[٥] أحكام القرآن، ٣/٥١٠.
[٦] سورة النساء، الآية: ٣.
[٧] وتابعه على ذلك ابن العربي أيضاً في كتابه أحكام القرآن، ١/١٣١، وقد انتقده القرطبي في تفسيره ببيان واسع، ظ: الجامع لأحكام القرآن، ٢/٣٢٢.

ثانياً: منهج المقداد السيوري(ت:٨٢١هـ) في تفسيره كنز العرفان

هو مقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن محمد السيورى أحد علماء الإمامية الإثنا عشرية ومن كبار متكلميهم في القرن التاسع الهجري، والمعروف بينهم بالعلم والفضل، والتحقيق والتدقيق، والمقداد السيوري موثق عند من ترجم له من الإماميَّة[١].

وله مؤلفات كثيرة، منها: تفسيره هذا، ومنها التنقيح الرائع فى شرح مختصر الشرائع، وشرح مبادئ الأصول... وغير ذلك، توفي السيوري في السادس والعشرين من جمادى الآخرة ٨٢٦ هـ في النجف، ودفن بمقبرة وادي السلام[٢].

التعريف بتفسير كنز العرفان في فقه القرآن وطريقة مؤلفه فيه:

يتعرَّض هذا التفسير لآيات الأحكام فقط، وهو لا يتمشى مع القرآن سورة سورة على حسب ترتيب المصحف ذاكراً ما فى كل سورة من آيات الأحكام كما فعل الجصَّاص وابن العربى مثلاً، بل طريقته فى تفسيره: أنه يعقد فيه أبواباً كأبواب الفقه، ويدرج فى كل باب منها الآيات التى تدخل تحت موضوع واحد، فمثلاً يقول: باب الطهارة، ثم يذكر ما ورد فى الطهارة من الآيات القرآنية، شارحاً كل آية منها على حدة، مبيناً ما فيها من الأحكام على حسب ما يذهب إليه الإمامية الإثنا عشرية فى فروعهم، مع تعرضه للمذاهب الأخرى، ورده على مَن يخالف ما يذهب إليه الإمامية الإثنا عشرية[٣].

وبهذا يُعد السُّيُوري مؤصلاً للتفسير الموضوعي في الفكر الإمامي، فهو أول تفسير فقهي على هذا النمط عند الإمامية.

---

[١] الحر العاملي محمد بن الحسن، أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل، طبع النجف، العراق، منشورات مطبعة الآداب، ١٣٨٥هـ، ٣٢٥/٢.

[٢] ظ: يوسف البحراني، لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العينين، طبع البحرين، منشورات مكتبة فخراوي، عام ٢٠٠٨م، ص١٦٧.

[٣] ظ: د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ص٣٤٢.

هذا.. وإن طريقته التى يسلكها فى تدعيم مذهبه وترويجه، وإبطال مذهب مخالفيه، لا تخرج عن أمرين اثنين:

أولهما: الدليل العقلى.

ثانيهما: أن ما ذكره هو ما ذهب إليه أهل البيت عليهم السلام.

منهجه التفسيري:

كانت جهوده في أغلب منهجيته تعقب آيات الأحكام بالتفسير بدلالة من القرآن الكريم والسنة القولية والفعلية عن المعصوم عليه السلام والصحابة والتابعين والمفسرين والفقهاء واللغوين، فمن منهجيته[1]:

١. يفسر مفردات آية الحكم تفسيراً لغوياً مبيناً معاني المفردات ومدلولاتها المعجمية ومادة اشتقاقها وهيئتها وتركيبها.. .

٢. يذكر الآية القرآنية (آية الشاهد) المفسرة لآية الحكم إن وجدت، فقد تكون مفسرة لمعنى حرف أو كلمة أو دلالتهما، أو تكون مبينة للإجمال، أو مخصصة للعام، أو مقيدة للمطلق، في آية الحكم، وغيرها من الاستفادات التفسيرية الأخرى.

٣. يورد الأحاديث النبوية وما روي عن أهل البيت عليهم السلام التي تعرضت لآية الحكم تفسيراً صريحاً، أو ظاهراً، أو يستفاد منها تقيد أو إطلاق، أو تخصيص، أو عموم.

٤. يورد أقوال الصحابة والتابعين في ما يتعلق بتفسير آية الحكم، أو مستشهداً على ما يذهب إليه بتلك الأقوال كأبن عباس، وأبن مسعود، وعطاء، ومجاهد.

٥. يذكر الآراء الفقهية المرتبطة بتفسير آية الحكم مما ورد عن فقهاء المسلمين وكثيراً ما يناقش تلك الآراء متوخياً الموضوعية والتجرد بغية الوصول الى ما يراه منها صحيحاً معضداً رأية بما قام عليه الدليل.

---

[1] ظ: د. عبد الأمير كاظم زاهد، منهج المقداد السيوري في كنز العرفان، ص٢٣، جعفر طالب، منهج مقداد السيوري في تفسيره لآيات الاحكام وتطبيقاتها من خلال كتابه كنز العرفان، ص١٨٤، د. عدي جواد الحجار، المقداد السيوري وجهوده التفسيرية، ص١١١.

٦.يورد أقوال المفسرين في آية الحكم فما كان موافقاً لما يخلص إليه يعتمدهُ، وما كان مغايراً يناقشه بأسلوب موضوعي، بطريق الاستدلال.

٧.وقد يندرج في الكتاب الفقهي الواحد عدة آيات يتفرع البحث فيها الى أنواع، وقد يتضمن النوع آيات فيها فوائد أو أحكام أو فروع أو مسائل أو أقسام.

انموذج من تفسيره:

تحت عنوان: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يدرج المفسر السيوري جملة من أحاديث المعصوم عليه السلام، عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وثواب فاعله..، ثم يقول: إذا عرفت هذا فهنا آيات[١]:

الأولى: قوله تعالى﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِالله ولَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وأَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ**﴾[٢].

كان تامّة بمعنى وجدتم و﴿**خَيْرَ أُمَّةٍ**﴾ منصوب على الحال المقيّدة: ﴿**أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ أي من العدم إلى الوجود لنفع الناس أي لنفع بعضكم بعضاً وهو إجمال تفصيله: ﴿**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ وهو حال أيضاً لا من (كنتم) بل من (خير أمّة) فيكون وجودهم مقيّداً بالخيرية، والخيرية مقيّدة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمراد من ذلك أنّ من شأنهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس المراد حصول الصّفة لهم بالفعل وإلّا لزم أنّهم حال النوم والسكوت عن الأمر والنهي لا يكونون خير أمّة.

وإنّما اقتصر على الإيمان بالله ولم يقل وبجميع ما أتى به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأنّ الإيمان بالبعض دون البعض ليس بايمان بالله لقوله: ﴿**ويَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ ونَكْفُرُ بِبَعْضٍ**﴾ إلى قوله: ﴿**أُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ حَقًّا**﴾[١].

---

[١] ظ: كنز العرفان في فقه القرآن، ص٣٧٢ – ٣٧٤.
[٢] سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

الثانية: قوله تعالى: ﴿**ولْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ويَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[٢].

هذه الآية صريحة في الأمر واستدلّ بها من قال بوجوب الكفاية لكون (من) هنا للتبعيض وقيل للبيان وهو ضعيف لأنّ البيان لا يتقدّم على المبيّن وإذا كانت للتبعيض تكون صريحة في ما قلناه وهو معارض بعمومات القرآن ومطلقاته.

وهنا فوائد[٣]:

١ – الأمر والنهي من وظائف العلماء فانّ الجاهل ربّما أمر بمنكر ونهى عن معروف وربما يكون شيء منكرا في مذهب الآمر غير منكر في مذهب المأمور بأن تكون المسئلة فرعيّة يجوز اختلاف المجتهدين فيها وأيضا الجاهل ربّما يغلظ في موضع اللّين وبالعكس.

٢ – أنّهما يوجّهان إلى من يؤثّران عنده إمّا لجهله أو لدخوله في المنكر اضطراراً من غير تعمّد أو لدخول شبهة عليه أمّا من دخل في المنكر عن قصد وعلم به واختيار وإذعان فإنّه لا يجب أمره ولا نهيه بل يجوز فان تحقّق ضرره أو خيف ذلك فلا جواز أيضاً ومن هذا ورد في الخبر عنهم عليهم السلام (من علَّق سوطاً أو سيفاً فلا يؤمر ولا ينهى)[٤].

٣ – يجب الابتداء فيهما بالأيسر فالأيسر من القول والفعل ويدلّ على الترتيب قوله: ﴿**فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما**﴾ ثمّ قال: ﴿**فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ**﴾[٥] فقدّم الإصلاح على المقاتلة .

---

[١] سورة النساء، الآية: ١٥٠ – ١٥١.
[٢] سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.
[٣] نذكر ها هنا هذه الفوائد وان كانت مطولة ولكن رجاء الفائدة للقارئ الكريم.
[٤] اخرجه من: غوالي اللئالي، ١٠٧/٢.
[٥] سورة الحجرات، الآية: ٩.

٤ – المعروف لاختصاصه بصفة راجحة يشمل الواجب والندب فينقسم الأمر حينئذ بانقسامه فيكون تارة واجباً وتارة مندوباً ويحتمل في النهي انقسامه باعتبار التحريم والكراهية فيكون أيضاً واجباً ومندوباً .

٥ – المعروف والمنكر قد يكونان معلومين بالضّرورة فيعمّان كلّ أحد وقد يكونان معلومين بالاستدلال فيختصّ وجوبهما بمن ظهر له ذلك بالدليل ولا يجب على غيره النظر ليجبا عليه لكون وجوبهما مشروطاً فلا يجب تحصيل شرطه.

٦ – لا يشترط في المأمور به والمنهيّ عنه أن يكون مكلَّفاً فانّ غير المكلَّف إذا علم إضراره لغيره منع من ذلك وكذلك الصبيّ ينهى عن المحرّمات لئلّا يتعوّدها ويؤمر بالطاعات ليتمرّن عليها .

٧ – من ارتكب حراماً أو ترك واجباً لا يسقط عنه وجوب الأمر والنهي؛ لأنّه لا يسقط بترك أحد الواجبين الواجب الآخر وعن السلف: (مروا بالخير وإن لم تفعلوه) ولقوله: ﴿**لَهَا ما كَسَبَتْ وعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ**﴾[١].

الثالثة: آيات كثيرة تدل على ذلك كقوله: ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ وأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ونَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[٢] وغير ذلك.

ثمّ إنّه تعالى جعل الوجوب مقولاً بالشدّة والضعف كقوله تعالى: ﴿**وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾[٣]، وقوله: ﴿**قُوا أَنْفُسَكُمْ وأَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ والْحِجارَةُ**﴾[٤]، وغير ذلك فإنّه أكَّد الأمر الدالّ على الوجوب هنا لشدّته وأولويّته .

[١] سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
[٢] سورة الحج، الآية: ٤١.
[٣] سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.
[٤] سورة التحريم، الآية: ٦.

الفصل التاسع

منهج التفسير الاجتماعي

المنهج الإصلاحي

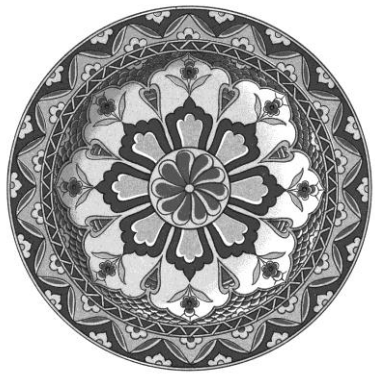

منهج التفسير الاجتماعي

المنهج الإصلاحي

تناول المفسّرون في العصر الحديث مشكلات الحضارة، والانحطاط والتخلّف، وتفشّي الجهل، والمرض، والفقر، ومصادرة الحرّيات، والظلم والاستبداد، وغياب الدور الاجتماعي للمرأة، وغيرها من الأبعاد الغائبة في معظم آثار السابقين. واقترن ذلك بالدعوة لتحرير التفسير من الاستغراق في المباحث اللغوية، وسرد آراء الفِرق العقائدية والمذاهب الفقهية، والافتراضات البعيدة عن روح القرآن.

وهذا ما دعى له السيد جمال الدين الافغاني حين قلّل من شأن ما تراكم على القرآن الكريم وتجمع حوله من آراء المفسرين وما استنبطوه من أحكام فيقول: (القرآن وحده سبب الهداية والعمدة في الدعاية أما ما تراكم عليه وتجمع حوله من آراء الرجال واستنباطهم ونظرياتهم فينبغي أن لا نعول عليه كوحي وإنما نستأنس به كرأي...)[١]، ويحذر من إضاعة الوقت في عرض ذلك فيقول: (ولا نحمله على أكفنا مع القرآن في الدعوة إليه وإرشاد الأمم إلى تعاليمه لصعوبة ذلك وتعسره وإضاعة الوقت في عرضه)[٢].

ومن الضرورة القول ان المتقدمين من المفسرين الأوائل لا ننفي اهتمامهم بالجوانب الاجتماعية بل ينبغي ان (نسجل هنا حقيقة لها أهميتها في هذا الصدد ذلك أن كثيراً من نشاط المفسرين في توضيح الجانب الاجتماعي من الفكرة القرآنية إنما كان في الحقيقة استمداداً من أعمال المفسرين السابقين في كثير من الأحيان)[٣].

---

[١] عبد القادر المغربي، جمال الدين الافغاني، ص٦٢.
[٢] المصدر نفسه.
[٣] د. محمد عفت الشرقاوي، الفكر الديني في مواجهة العصر، ص٢٣.

أولاً: أهمية المنهج الاجتماعي: وتكمن أهميته في مواكبة العصر والظروف الاجتماعية، ومراعاة السنن التاريخية في معالجتْ مشكلات الحضارة والعوامل النفسية والاجتماعيّة لتطوّر الأُمم وانحطاطها، وتنظيم علاقات الإنسان مع نفسه ومع الآخر، في منظومة متكاملة من حيث الوقاية والعلاج. فمن خلال هذا المنهج يبرز ان (الإسلام يسير جنباً الى جنب مع تطلعات الأجيال، ويمقت التقليد الأعمى، ويفتح باب الاجتهاد ويراقب حقيقة التطور الاجتماعي والنمو التاريخي)[١].

ثانياً: علاقة المنهج الاجتماعي بالمنهج الأدبي: اختلف الباحثون في تسميته بين من نظر إليه باعتباره منهجاً مستقلاً، وبين من قرنه بالمنهج الأدبي كما في الدراسة التي أعدها الدكتور محمد حسين الذهبي فقد وجدناه يقرنه بالأدب ويسميه "اللون الأدبي الاجتماعي" في كتابه التفسير والمفسرون ويعرف المدرسة من خلال وظائفها: (إن هذه المدرسة، نهجت بالتفسير منهجاً أدبياً اجتماعياً، فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه، وأوضحت معانيه ومراميه، وأظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم ونظم الاجتماع وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة، ومشاكل الأمم عامة، بما أرشد إليه القرآن من هداية وتعاليم جمعت بين خيري الدنيا والآخرة، ووفقت بين القرآن وما أثبته العلم من نظريات صحيحة وجلت للناس أن القرآن هو كتاب الله الخالد)[٢].

ولعل عن الذهبي أخذ الإصطلاح نفسه عبد القادر محمد صالح في كتابه التفسير والمفسرون في العصر الحديث فسماه التفسير الأدبي الاجتماعي[٣].

وكذلك عدّ استاذنا الدكتور محمد حسين الصغير المنهج الاجتماعي جزء من المنهج الأدبي، إذ قال: (والى جانب المنهج الأدبي يتبرعم المنهج الاجتماعي)[٤]،

---

[١] د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص١٢٨.
[٢] التفسير والمفسرون، ٣٦٩/٢.
[٣] ظ: التفسير والمفسرون في العصر الحديث، ص٣٠١
[٤] المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص١٢٨.

وبالمقابل وجدنا الدكتور محسن عبد الحميد يتحدث عن هذا المنهج باستقلال[١].

وممن اصطلح على هذا المنهج "المنهج الاجتماعي في التفسير" الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي وجعله من بين اتجاهات التفسير في العصر الحديث وقد عرفه بوظيفته بقوله: (يركز صاحب التفسير ذي الاتجاه الاجتماعي على مجتمعات المسلمين، ويحرص على إصلاح تلك المجتمعات على أساس القرآن، ويعالج أمراض ومشكلات المجتمع المختلفة، ويقدم السنن الاجتماعية الكفيلة برقي المجتمعات وتقدمها)[٢].

ويبدو ان سبب هذه التداخل بين المنهجين، عائد الى:

١. التداخل في المقاصد؛ فمقصد منهج التفسير الأدبي عند بعض العلماء ليس أدبياً أو فنياً، كما ربما تشي تسميته، لأنهم يرفضون أن يكون الأدب للأدب، أو أن يكون الفن للفن بل يقتضي توجيه كل لفظ وآية إلى مناط الهداية والاعتبار[٣].
٢. ان المنهج البياني الأدبي وظيفته اظهار دقة التعبير القرآني، ثم تطبيق النص على ما في الكون من سنن الاجتماع ونظم العمران، إذ ان من المعلوم ان المُتلقي هو غاية جهد المفُسِر.
٣. ان شأن العلوم عبر التاريخ بإسهامات العلماء تتفرع وتستقل. ومثالنا هاهنا استقلال علم التفسير عن علم الحديث.

---

[١] ظ: تطور تفسير القرآن، ص٢١٢.
[٢] تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص٥٦٨.
[٣] يقول الشيخ أمين الخولي في تحليله الدلالي لكلمة في أحد الآيات: (ونريد هنا لنقف عند هذه الوحدة للاستعمال القرآني في تعبيره بالضعف والضعفين "فَيُضَاعِفَهُ"، وهي وقفة أدبية. على أنها وقفة ليست وقفة يراد منها الفن للفن، بل هي فنه المرتبط بالهدف الاجتماعي الذى يرمي إليه القرآن دائماً، نبتغيه أول ما يبتغى من هذه الأحاديث. وإن الفن يرجى للفن وحده، فإنا لا نأخذ هنا بهذا الاتجاه. ولا نحسب القرآن قد أخذ به، لأنه يجعل فنه القوى وسيلة لإصلاح الحياة البشرية، ذلك الإصلاح الخُلُقي والاجتماعي العام الذى أنزل من أجله هدى للناس ورحمة). من هدى القرآن، ص١٠٩.

ثالثاً: مظان (آيات) المنهج الاجتماعي في القرآن الكريم:

المادة الاجتماعية في القرآن الكريم واسعة ومظانها كثيرة نشير بالإجمال إلى:

١. آيات الأحكام الاعتقادية: التي تشكل المرجع والمؤطر العقدي للفكر والعمل، وتبين العلاقة التي تربط العقيدة بنوازع الإنسان إلى الفعل، وإلى أي حد يكون السلوك اعتقادياً وتكون العقائد سلوكية، وتكشف عن مدى تبعية الموقفين العملي والفكري للموقف العقدي وعن كونهما الواقع الحركي المجسد للعقيدة، وتمكننا فيما بعد من تسليط الضوء على الوظيفة الاجتماعية للعقيدة، ومعرفة الوجه الذي تكون به الإرادة الحضارية طوعاً لها.

٢. آيات الأحكام الشرعية العملية: التي هي أشبه ما تكون بوصفات الحمية والأدوية المتوفرة لكل الأدواء الممكنة الوقوع، والحالات التي قد يكون عليها المريض، فهي من جهة تسهر على وقاية النظام الاجتماعي من السقوط في براثين الأوحال الحضارية ومن جهة أخرى توفر في حالة تعثره أو سقوطه العلاجات المناسبة.

٣. آيات الآداب والأخلاق الاجتماعية الحسنة: التي ينبغي احتذاؤها في جانب المعاملات، وهو جانب يمنح للإنسان قاعدة صلبة تمكنه من الانطلاق بقوة إلى اتخاذ المواقف الصحيحة في الحياة الاجتماعية على اختلاف وتنوع مظاهرها.

٤. آيات الأمثال والقصص: التي تضمنت نماذج لنهوض الأمم وعللت أسباب النهوض، وقدمت نماذج لأمراضها، وبينت طرق السقوط، وقدمت نماذج للطغيان والظلم السياسي، وطرق حماية المسلم من السقوط على أقدام الظلمة، وبينت مآل هذا السقوط وعواقبه، وقدمت نماذج للظلم والطغيان الاجتماعي، والمصير الذي انتهى إليه.. وقدمت نماذج للترف والبطر، والكبر، وسائر الأمراض والأوبئة الاجتماعية المؤذنة بالخراب والتدمير.

رابعاً: لمصطلح منهج التفسير الاجتماعي معنيان:

١- تفسير يحاول المفسر من خلاله مدّ النظر في أحوال البشر في أطوارهم وحياتهم وأدوارهم ومنشئ اختلاف أحوالهم، من قوة وضعف، وعز وذل، وعلم وجهل، وإيمان وكفر، ثم يتلوه بعد ذلك هداية الخلق، أو اصلاح حالهم، أو التشريع لهم، ويميل الى علم الاجتماع والتاريخ .

٢- التفسير الاجتماعي بمعنى الإخضاع للمفهوم الاجتماعي ولحاجات العصر. ويؤكد المفسر في هذا المنهج ممازجة الهدف الديني في القرآن للهدف الاجتماعي. وبعبارة أخرى يعتمد هذا المنهج على تطبيق النظرية القرآنية في المجال الاجتماعي، وإقامة حياة الجماعة البشرية على أساسها، بما يتطلبه ذلك من علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية، مع ملاحظة تطبيق النظرية هذه في المجال الفردي، وبالتصور الذي يتصل بسلوك الفرد وتصرفاته، ولكن المهم عند المفسر التوفيق بين الدين الإسلامي وقضايا الإنسان المعاصرة، من ناحية عرض القيم القرآنية عرضاً اجتماعياً لأثبات صلاح العقيدة والقرآن لحياة الجماعة البشرية، لينتهي الى القول بأن الجماعات التي تدين بالقيم القرآنية لابد أن تستمد منها حاجاتها.

ومن خصائص هذا المنهج تطبيق فكرة النص، على ملابسات العصر الحديث، وربطها بظروف المجتمع، وملاحظة الواقع الحضاري الذي يعيش فيه المفسر، واثبات التوافق والتلاؤم والانسجام بين متطلبات الزمن والفهم القرآني[١].

وبتعبير آخر يهتم ويعيش المفسر في ضوء اطلاعه على علوم الاجتماع والنفس وفلسفة التاريخ بفهم القرآن وتطبيق آياته بما تناسب حياة الانسان الاجتماعية وضروریاتها فيرصد المفسر حركة الواقع وما تزخر به من تناقضات، وأمراض اجتماعية ويجري عملية استقراء يُحصى فيها ما يكتنف الحياة من مظاهر الوهن

---

[١] ظ: عبد الجبار الرفاعي، الفكر الاجتماعي في تفسير الميزان، مجلة بينات، العدد ٣٤، بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم، ص١٢٦.

والتداعي، مثل: الجهل، الفقر، المرض، الظلم، الاستبداد وغير ذلك ثم يقوم بتصنيفها في نظام محدد للأولويات يبدأ بالأعم فالأخص والأهم فالمهم والأخطر فالأقل خطراً، ثم يعود الى تفسير الآيات فيتدبر مداليل الآيات ويربط بعضها بالبعض الآخر ويستنطق آياته الكريمة فتتبلور عندئذ رؤية قرآنية متميزة في قضية من قضايا الإسلامية.

خامساً: أهمية السُنن التاريخية في المنهج الاجتماعي:

لم يكن هذا المنهج غائب في ثنايا كتب التفسير عند سائر المفسرين، ولكننا نلحظه واضحاً عند غيرهم من المفكرين الذين كثفوا جهدهم في ابراز الجانب الاجتماعي في آيات السنن القرآنية، وفيما يأتي جملة من الرواد القائلين بأهمية معرفة السنن التاريخة في المنهج الاجتماعي، ومنهم:

أولاً: السيد جمال الدين الافغاني (ت:١٨٩٧م)، ويُعد من ابرز رواد هذا المنهج، وان لم يكن للسيد اهتمام كبير في التأليف بل كان همه أن يلقي كلماته وخطبه على تلاميذه القاءً فيبادر بعضهم إلى تسجيلها وتدوينها، وكان الغالب على نشاط السيد الأفغاني هو النشاط السياسي وأنه إنما يتناول ما يتناول من العلم في دروسه ما يدفع به عجلة السياسة خطوة نحو أغراضه وأهدافه وقد تعرض له في أثناء حديثه آية قرآنية يستشهد بها لتقوية رأيه ثم يذهب في تفسيرها تفسيراً يقتصر فيه على الجانب الذي يتكلم فيه من غير استقصاء لمعانيها. ومن ثم فلم يكن له تفسير مستقل وإنما كان تفسيره آية هنا وآية هناك بين ثنايا مقالاته. كما يمكن استجلاء حرصه على معالجات القرآن وتدبيراته وسننه في الاجتماع البشري، كما يتبدّى لنا من مراجعة مقالاته في مجلّة (العروة الوثقى). فمثلاً خصّ جمال الدين مسألة التفسير السُّنني بأكثر من مقال، مضافاً إلى الإشارات والتطبيقات السننيّة في تمام كتاباته. فقد كتب موضوعاً بعنوان: (سنن الله في الأُمم وتطبيقها على المسلمين)، كشف فيه عن قوانين

النهوض والانحطاط في الاجتماع البشري، وحثّ على ضرورة إدراك الأُمّة ووعيها الدقيق لهذه القوانين، إذا ما أرادتْ المساهمة في صناعة التاريخ[١].

ثانياً: الشيخ محمد عبده (ت:١٩٠٥م)، وهو يتبع استاذه الافغاني، فسعى لتطوير هذا المنحى في فكر أُستاذه، فتوسّع في بيان جذور السنن في القرآن الكريم في تفسيره، ولم يقتصر محمّد عبده على ذلك، بل دعا لتدوين علم جديد يعنى بفقه السُّنن، ووجد أنّ تخلّف المسلمين اليوم يبرّر تدوين مثل هذا العلم، فمثلما برّرتْ حاجات الأُمّة في الماضي تدوين علوم أُصول الدين والفقه وغيرهما، فإنّ المتطلّبات الجديدة تقضي ببناء علم السُّنن[٢]. فأبدع منهجاً خاصاً للتفسير له ميزاته الآتية[٣]:

أ) التحرر من قيود التقليد وإعمال العقل في الأقوال والآراء المروية في الآيات، وفهم كتاب الله من دون نظر إلى مذهب إمام دون إمام على وجه يكون القرآن هو المتبع دون مذهب الإمام.

ب) الاهتمام ببيان نظم الاجتماع ومشاكل الأُمّة الإسلامية خاصة، ومشاكل الأُمم عامة، وبيان علاجها بما أرشد إليه القرآن من أُصول وتعاليم.

ت) التوفيق بين القرآن والنظريات العلمية على وجه لا يكون القرآن مخالفاً للعلم.

ثالثاً: محمد رشيد رضا (ت:١٩٣٥م) الذي جعل من أهم معالم تفسيره: (بيان سنن الله في الخلق ونظام الاجتماع البشري وأسباب ترقي الأمم وتدليها وقوتها وضعفها)[٤]، وينسب للسيد رشيد رضا أنه يؤاخذ على مفسرين (غفلتهم عن سنن الله في الوجود وعدم استنباطهم القواعد الاجتماعية من القرآن الكريم)[٥].

---

[١] ظ: د. محمد عماره، جمال الدين الأفغاني: الأعمال الكاملة، : ٢/٥٥ .٦٠ .
[٢] ظ: محمّد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارة وسقوطها، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦م، ص٩.
[٣] ظ: جعفر السبحاني، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، ص١٠٢.
[٤] د. محسن عبد الحميد، تطور تفسير القرآن، ص٢١٢.
[٥] المصدر نفسه، ص ٢١٨.

ويجعل الدكتور محسن عبد الحميد العمل الذي قام به رشيد رضا من أهم ما استند عليه (الاطلاع على تواريخ الأمم وقواعد العمران ونواميس الحياة والاستفادة من الدراسات الإنسانية الحديثة)[١].

رابعاً: الشهيد مرتضى المطهّري(ت:١٩٨٠م) الذي تحدث عن المصير المشترك للأُمّة وسنن اعتلائها وسقوطها في القرآن الكريم، وبيّن شمول هذه السنن ودوامها متى ما توفّرت أسبابها وشروطها[٢].

ومن تحديد الشيخ مرتضى مطهري لمفاهيم توضح "مصطلح التاريخ" بأنه (علم)، كان منها: العلم بسنن وقواعد الماضين، إذ تكمن أهمية التاريخ والانتفاع منه هو العلم بالقواعد والسنن المهيمنة على حياة الماضين والحوادث التاريخية فهي مقدمات لمبادئ علم التاريخ، هذه الحوادث كالعناصر التي يجمعها العالم الطبيعي في مختبره، يجري عليها تجاربه بالتحليل والتركيب والملاحظة لاكتشاف خصائصها وطبائعها وروابطها العلية والمعلولة واستنباط لقوانين بهذا الشأن، فهو الذي يسعى فيه المؤرخ بصدد اكتشاف طبيعة الحوادث التاريخية وروابطها العلية والمعلولة للوصول إلى مجموعة من القواعد والسنن التي يمكن تعميمها لجميع الموارد المشابهة في الحال والماضي[٣].

خامساً: الشهيد محمد باقر الصدر(ت:١٩٨٠م) الذي استخلص أشكال السنن التاريخيّة في القرآن، وحلّل في سياق بحثه عن نماذجها عناصر المجتمع في القرآن وموقع الدين في هذه العناصر، وانتهى إلى صياغة قوانين الثورة في ضوء ما يقرّره التفسير السُنني[٤].

---

[١] د. محسن عبد الحميد، تطور تفسير القرآن ، ص٢١٩.
[٢] ظ: مرتضى المطهري، المجتمع والتاريخ، ١/٧١.
[٣] ظ: م.م.أمجد سعد شلال المحاويلي، مرتضى مطهري قراءة في رؤاه التاريخية، ص٣٣٥.
[٤] المدرسة القرآنية، ص ٣٩ . ٢٣٨ .

وبكلمة.. ان البحث في هذا المجال في القرآن الكريم نقف على آفاق واسعة تكشف عن نواميس الاجتماع الثابتة وسننه المطردة، ومعرفة الأصول التي تقوم عليها الجماعات والوسائل التي تحفظ وجودها وتضمن ارتقاءها أو تفصم عرى ترابطها، على الوجه الذي بينه القرآن الكريم، وقد تمكننا أيضاً من معرفة منهج القرآن في تطوير المجتمع واستئصال آفاته. والمبرر لذلك كله كون القرآن لصيق بالظاهرة الإنسانية والاجتماعية، إذ القرآن في مجمله إما حديث عن الإنسان أو حديث إليه.

أهم التفاسير في المنهج الاجتماعي:

١- محمد رشيد رضا (ت: ١٩٣٥م)، تفسير المنار.
٢- محمد مصطفى المراغي (ت:١٩٤٥م)، دروس في تفسير القرآن الكريم.
٣- سيد قطب، في ظلال القرآن[١].
٤- محمد الطاهر بن عاشور (ت:١٩٧٣م)، تفسير التحرير والتنوير.
٥- محمد جواد مغنية (ت:١٩٨٠م)، تفسير الكاشف.
٦- محمد حسين فضل الله (ت:٢٠١٠م)، تفسير من وحي القرآن.
٧- ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.

[١] أُلحق سيد قطب بهذا المنهج بسبب الجمع في تفسيره بين المنهجين الأدبي والاجتماعي في غالب الظن.

سادساً: نماذج من التفسير في المنهج الاجتماعي:

سنتناول هنا انموذجين لمفسرين في المنهج الاجتماعي، وعلى النحو الآتي:

أولاً: منهج السيد محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤هـ) في تفسير المنار:

ولد محمد رشيد رضا في قرية من قرى لبنان تسمى القلمون، هي قرية تقع على شاطئ البحر المتوسط على مقربة من طرابلس الشام التابعة لها، وهو سليل بيت عربي عريق ينحدر من نسل الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب.

استطاع رشيد رضا أن يتصل بجمال الدين الأفغاني الذي نادى بالإصلاح والتجديد عن طريق السياسة، وكذلك اتصل بمحمد عبده الذي نادى بالإصلاح والتجديد عن طريق التربية والتعليم، وخرج رشيد بعد تعرفه على منهجي أستاذيه بمنهج خاص جعله يمزج بين المنهجين السابقين.

وعلى غرار مجلة العروة الوثقى التابعة للرجلين اقترح رشيد رضا على الشيخ محمد عبده تأسيس مجلة المنار، وكانت المجلة تستهل صفحاتها بتفسير القرآن الكريم، وهو إما بقلم الأستاذ الإمام محمد عبده أو بقلم رشيد رضا[١].

اما تفسيره للقرآن الكريم، المعروف بتفسير المنار، الذي استكمل فيه ما بدأه شيخه محمد عبده الذي توقف عند الآية (١٢٥) من سورة النساء، وواصل رشيد رضا تفسيره حتى بلغ سورة يوسف الآية ٥٣، وفي ١٢ مجلد كبير، وحالت وفاته دون إتمام تفسيره[٢].

نعم، إن روح التفسير اختلفت في بعض عناصرها بين ما كان يكتب معه في حياة الشيخ محمد عبده، وما كتب بعده مما استقل به الشيخ رشيد؛ وذلك الاختلاف يبدو جليّاً في العنصر الذي يعبِّر عنه الشيخ رشيد بـ(الأثريِّ).

---

[١] ظ: ابراهيم العدوي، رشيد الرضا الإمام المجاهد، ص٩، مقدمة تفسير المنار، ١/١٠.
[٢] ظ: المصدر نفسه.

فقد رأينا أن التكوُّن الأصلي للشيخ رشيد كان نقليّاً أثريّاً على طريق المتقدِّمين، مختلفاً في ذلك عن التكوُّن الأصليِّ للسيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده؛ إذ تكوُّنهما بحثيّاً نظريّاً على طريقة المتأخرين.

فنلحظ بعد وفاة الشيخ محمد عبده انفرد الشيخ رشيد رضا بمنهجه الخاص، إذ يقول: (هذا وإنني لمّا استقلَلْت بالعمل بعد وفاته، خالفت منهجه "رحمه الله" بالتوسّع فيما يتعلّق بالآية من السنّة الصحيحة، سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها، ..)[١].

وان كان لم يكتف رضا في أثناء حياة شيخه بالنقل عنه، وتدوين أفكاره وآرائه فقط بل كان يضيف إلى كل ذلك زيادات كثيرة، وكان يميز في معظم الأحيان، أقواله عن أقوال محمد عبده، بقوله: "وأقول"، "وأنا أقول"، "وأزيد الآن"[٢].

وخلاصة القول إن تفسَير المنار هو تفسير عصري كما قال عنه صاحبه في مقدمة تفسيره: (تفسير سَلفي،أثري،مدني، عصري، إرشادي، اجتماعي، سياسي)[٣].

منهجه التفسيري وانموذج من تفسيره:

أولاً: نلخص منهجه التفسيري في النقاط الآتية:

١. الدعوة إلى التمسك بالألفاظ القرآنية ومراعاة المعاني المستعملة في زمن التنزيل[٤].
٢. إعتبار القرآن الكريم جميعه وحدة واحدة متماسكة ولا يتم فهم بعضها إلا بفهم جميعها[٥].
٣. ذكر خلاصة إجمالية عند نهاية كل سورة مع تذييلها بفهرس (مباحث)[٦].
٤. الأهتما بمقاصد القرآن وبيان حكمة التشريع.

---

[١] محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٢٠/١.
[٢] ظ: المصدر نفسه، ١٥/١.
[٣] المصدر نفسه، ١١/١.
[٤] ظ: المصدر نفسه، ١٧٦/١.
[٥] ظ: المصدر نفسه، ٢٠/١.
[٦] ظ: على سبيل المثال: المصدر نفسه، ٤٨٥/١.

٥. التحذير من الأقاصيص الإسرائيلية المكذوبة.
٦. معالجته للمسائل الاجتماعية في الأخلاق والسلوك.
٧. تفسيره للقرآن الكريم على ضوء العلم الحديث القطعي الثابت.
٨. حذره عن الخوض في الأمور المغيبة عن الحس والإدراك.
٩. موقفه النزيه تجاه سحر السحرة، ولاسيما بالنسبة إلى التأثير في شخصية الرسول ﷺ.
١٠. موقفه الصحيح من روايات أهل الحشو، حتى ولو كانت في الكتب الصحاح.
١١. توغله في التيار الوهابي ودفاعه الشديد عن ابن تيمية والثناء عليه على وجه أصبح من دعاة الوهابية وناشري أفكارها [١].
١٢. تحامله على الإمامية في غير واحد من المواضع على وجه دعا السيد محسن الأمين العاملي على إفراد كتاب أسماه (الحصون المنيعة في رد ما أورده صاحب المنار في حق الشيعة) وقد أغرق فيه نزعاً في التحقيق فلم يبق في النفوس منزعاً.
١٣. كثرة الاستطرادات الطويلة والتفريعات وهي تشبه البحوث المستقلة[٢].
١٤. التعصب المذهبي، إذ كان يعطي لنفسه حرية واسعة في استنباط الاحكام من القرآن الكريم وان خالف العلماء والفقهاء.

[١] ظ: د. محمد لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص٣٢٣، د. حسيب السامرائي، رشيد رضا المفسر، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٧م، ص٤٣٤.

[٢] يقول محمد رشيد رضا: (وأستحسن للقارئ أن يقرأ الفصول الأستطرادية الطويلة وحدها في غير الوقت الذي يقرأ فيه التفسير، لتدبر القرآن والأهتداء به في نفسه، وفي النهوض بإصلاح أمته). تفسير المنار، ١٦/١.

ثانياً: إنموذج من تفسيره:

١. في مقاصد التشريع: تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١]، يقول المفسر: فائدة الصيام وحكمة فرضيته إعداد النفس للتقوى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ هذا تعليل لكتابة الصيام ببيان فائدته الكبرى وحكمته العليا، وهو أنه يعد نفس الصائم لتقوى الله تعالى بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة امتثالاً لأمره واحتساباً للأجر، فتَتربى بذلك إرادته على ملكة ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها[٢].

٢. في تعدد الزوجات: يذهب محمد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى: **[وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا]**[٣]، الى التضييق الى حد المنع في تعدد الزوجات، إذ قال: (فمن تأمل الآيتين علم ان إباحة تعدد الزوجات في الإسلام أمر مضيق فيه اشد التضييق كأنه ضرورة من الضرورات التي تباح لمحتاجها بشرط الثقة بإقامة العدل والأمن من الجور، وإذا تأمل المتأمل مع هذا التضييق ما يترتب على التعدد في هذا الزمان من المفاسد جزم بأنه لا يمكن لأحد ان يربي أمة فشا فيها تعدد الزوجات فإن البيت الذي فيه زوجتان لزوج واحد لا تستقيم له حال ولا يقوم فيه نظام، بل يتعاون الرجل مع زوجاته على إفساد البيت كأن كل واحد منهم عدو للآخر ثم يجئ الأولاد بعضهم لبعض عدو، فمفسدة تعدد الزوجات تنتقل من الأفراد الى البيوت ومن البيوت الى الأمة)[٤].

---

[١] سورة البقرة، الآية: ١٨٣.
[٢] ظ: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ١٤٥/٢.
[٣] سورة النساء، الآية: ٣.
[٤] تفسير المنار، ٢٨٨/٣. ونلحظ تعسف من لدن المفسر في تقييد التعدد حتى المنع بسبب عدم تحقق العدل ومن ثم حدوث المشاكل الاسرية، إذ ان العدل المطلوب هو العدل في النفقة والمعاملة والمعاشرة وسائر الأعمال الظاهرة بحيث لا تؤثر إحداهن على الأخرى بشئ ظاهر. أما العدل الذي

ويسترسل المفسر في ذكر الشروط في تعدد الزوجات، وفي ماهية العدل الواجب توفره في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾، فيستأنس المفسر هنا بقول استاذه محمد عبده، إذ قال: (وبهذا يعلم أن تعدد الزوجات محرم قطعاً عند الخوف من عدم العدل)[١]، ويضيف محمد رشيد رضا: (وإن تعدد الزوجات خلاف الأصل الطبيعي في الزوجية فان الاصل أن يكون للرجل امرأة واحدة يكون بها كما تكون به زوجاً)[٢].

٣. في موضوع الوصية للوالدين: في قوله سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الوَصيةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالأَقْرَبينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلى الْمُتَّقين﴾[٣]. يرى محمد رشيد رضا انها ليست منسوخة مخالفاً بذلك الفقهاء من مدرسة الصحابة، إذ يقول مفسراً لها: الآية صريحة في جواز الوصية للوالدين ولا وارث أقرب للإنسان من والديه، وقد خصّهما بالذكر لأولويتهما بالوصية ثمّ عمّم الموضوع وقال: «والأقربين» ليعم كلّ قريب وارثاً كان أم لا، غير انّ جمهور الفقهاء من أهل السنّة رفضوا الآية وقالوا بأنّ الآية منسوخة بآية المواريث، ولكنّ الإمام عبده خالف رأي الجمهور وقال: لا دليل على أنّ آية المواريث نزلت بعد آية الوصية هنا، فانّ السياق ينافي النسخ، فانّ الله تعالى إذا شرع للناس حكماً وعلم

جاءت الآية بشأنه وأنه لا يمكن حدوثه فهو المشاعر القلبية قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ . سورة النساء، الآية: ١٢٩.

[١] المصدر نفسه. اما ما يتعلق بالمشاكل الاسرية بين الزوجات والأولاد فهو أمر عائد الى التخلُق بالآداب الإسلامية والسلوك الحسن، (إذ كم رأينا من الأخوة الأشقاء وهم يقتتلون وقد صارت حياتهم جحيماً لا يُطاق، واخوة لأب عاشوا بصفاء وهناء، يحب أحدهم الآخر حباً شديداً) أبو عبد الرحمن، فضل تعدد الزوجات، ص٢٢، وللتوسعة في أهمية تعدد الزوجات في حل المشاكل الاجتماعية ينظر المصدر نفسه وسائر كتب التفسير.

[٢] تفسير المنار، ٣/٢٨٩.

[٣] سورة البقرة، الآية: ١٨٠.

انّه مؤقت وانّه سينسخه بعد زمن قريب فانّه لا يؤكّده ولا يوثّقه بمثل ما أكّد به أمر الوصية هنا من كونه حقّاً على المتّقين ومن وعيد لمن بدله[١].

٤. في السنن التاريخية: عند تفسير لقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢] قال: اما العذاب في الآخرة، فامره معلوم وكنهه مجهول، وأما خزي الدنيا، فهو ما يلحقهم من الذل والفضيحة وهوان الخيبة، عندما ينكشف نفاقهم، ويظهر للناس كذبهم، ويعلو الحق على باطلهم، وقد صدق وعيد الله تعالى بهذا الخزي على يهود الحجاز كلّهم، كما يصدق في كل زمان على من يفسدون كفسادهم، فيفشو فيهم الكذب والنفاق، ويغلب عليهم فساد الأخلاق، ولا يغني عنهم الانتساب الى نبي لم يتّبعوه، ولا تنفعهم دعوى الإيمان بكتاب لم يقيموه. فان الوعيد في الآية لم يوجه الى أولئك اليهود لذواتهم واعيانهم، فذواتهم كسائر الذوات، ولا لنسبهم وأرومتهم، فنسبهم أشرف الانساب.

وإنما هو وعيد على فساد القلوب الذي نشأ عنه فساد الاعمال، فما بال الفاسدين المفسدين، من المسلمين الجغرافيين أو السياسيين، لا يعتبرون بما كان من خزي اليهود بخرجهم عن سُنّة انبيائهم، وبما حلّ من وعيد الله بهم، على ما كان من حرص الرسول ﷺ على هداهم، وهم يرون في كل زمن مصداقه باعينهم، أفلا يقيمون القرآن بالاعتبار بنذره، والحذر مما حذّر منه؟[٣]

[١] ظ: تفسير المنار، ٢/١١٦ – ١٢٣. وهو بهذا يوافق المذهب الجعفري، يقول الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ): (تصح الوصية للوارث مثل الأبن والأبوين وخالف جميع الفقهاء في ذلك وقالوا: لا وصية للوارث). الخلاف، كتاب الوصية، ٤/١٣٥.

[٢] سورة المائدة، الآية: ٤١.

[٣] ظ: تفسير المنار، ٦/٣٣٦.

ثانياً: منهج السيد محمد حسين فضل الله (ت:٢٠١٠م) في:
" تفسير من وحي القرآن":

ولد آية الله السيد محمد حسين فضل الله في النجف الأشرف في العراق في ١٩٣٥م، حيث كان والده آية الله السيد عبد الرؤوف فضل الله قد هاجر إليها لتلقّي العلوم الدينية، وأمضى مع أسرته فترات طويلة في الدرس والتدريس...

فدرس السيد فضل الله النصوص التقليديّة للنحو والقواعد والبلاغة والمنطق والفقه الإسلامي والتفسير القرآني وأدب الحديث، ثم انكبّ على دراسة المرحلة المتقدمة في حلقات الدّراسة والمناقشات مع أعمق المجتهدين علماً وأكثرهم وقاراً، آية الله العظمى السيّد أبو القاسم الخوئي (١٨٩٩-١٩٩٢م)، وآية الله العظمى السيّد محسن الحكيم (١٨٨٩-١٩٧٠م)، وآية الله العظمى محمود البدقوبي (١٨٨٢-١٩٧٤م)، والشيخ حسين الحلي، والملا صدر البوكوني.. [١].

عاد السيد فضل الله إلى لبنان في العام ١٩٦٦م، وكان مدركاً منذ اللحظة الأولى لمجيئه أنه لا بد من العمل للإسلام في إطار مشروع متكامل رغم الصعوبات الكبيرة.[٢]

أولى السيّد اهتماماً كبيراً بالشأن الاجتماعي للناس فأسس جمعيّة المبرات الخيرية التي تعنى بمتابعة اوضاعهم وقد توسعت هذه المؤسسة لاحقاً لتشمل مناطق مختلفة من لبنان تحت ضغط الحاجة الاجتماعية هذا بالإضافة الى تأسيسه معهد الهادي للإعاقة السمعيّة والبصرية الذي يعد من المعاهد الأولى في الشرق الأوسط.

[١] ظ: جمال سنكري، مسيرة قائد شيعي: السيد محمد حسين فضل الله، ص٣٣.
[٢] ظ: نزار محمد جودة الميالي، الفكر السياسي عند السيد محمد حسين فضل الله، ص٢٣.

تفسير من وحي القرآن:

من مؤلفات السيد فضل الله كتاب تفسير من وحي القرآن، عبارة عن ٢٠ مجلد، ويعتبر من أبرز تفاسير القرآن الكريم في القرن الرابع عشر هجري، وهذا ما شهد به الكثير من العلماء والمراجع المختصين في البحوث القرآنية وأبرزهم:

الشيخ جعفر السبحاني وقد ذكر ذلك في كتابه مفاهيم القرآن عند تعداده أعلام التفسير في القرن الرابع عشر هجري، حيث قال: (العلامة الحجة السيد محمد حسين فضل الله، من أكابر علماء لبنان، له «من وحي القرآن» خرج في عشرين جزءاً)[١].

والشيخ محمد هادي معرفة وقد ذكر ذلك حيث قال: (من وحي القرآن تفسير تربوي اجتماعي شامل، ويعد من اروع التفاسير الجامعة، النابعة من روح حركية نابضة بالحيوية الإسلامية العريقة انطلق فيه المؤلف هو السيد محمد حسين فضل الله، من ألمع علماء الاسلام في القطر اللبناني يعمل في احياء الجو القرآني في كل مجالات الحياة المادية والمعنوية، نظير ما صنعه سيد قطب في تفسيره (في ظلال)، مضيفاً عليه تعاليم صادرة عن أهل البيت في تربية الجيل المسلم، ومتناسباً مع كل دور من ادوار الزمان)[٢].

[١] مفاهيم القرآن، ١٠/٤٣٠.
[٢] التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ٢/٤٧٤.

منهجه في التفسير وانموذج من تفسيره:

أولاً: منهجه في التفسير:

أولاً: ملاحقة المشاكل الحياتية، نلمس في تفسير من وحي القرآن، وبشكلٍ واضحٍ ملاحقة المشاكل المختلفة التي تواجه العاملين في سبيل الله، عندما تكون لها علاقة قوية بتأخير الإسلام أو تقديمه، ويحاول الدخول إليها من خلال بعض الآيات الكريمة، منها ما نلحظه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[١]، وكذلك قوله تعالى: ﴿**أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾[٢]، فيشير الى مشكلة بناء المؤسسات الدينية، وتغير الأهداف فيها من إسلامية إلى غير إسلامية، وكذلك إهمال الكثير من الدعاة أبناءهم، في مجال التربية الروحية[٣].

ثانياً: المنهج الحركي، لا يقبل المفسر كل التفاسير التي تخرج عن الاعتماد على الظاهر إلى التأويل الباطن فيقول: (إنّ قضية التفسير هي أن يدرس المفسر الكلمة من خلال الجو الذي تعيش فيه ليتحقق الترابط بين الآيات في كلماتها، وأجوائها)[٤].

وكذلك يقول في موضع آخر: (إنّ منهج التفسير لدينا يتحرك في إطار الوحي القرآني لحركة الدعوة في الحياة)[٥].

ثالثاً: الإيحاء البعيد، يعتمد المفسر في كتابه اعتماداً كبيراً على الإيحاء البعيد للفظ، وما يحمله من معانٍ متعددة، فنلحظه عند تفسيره لقوله تعالى: (**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ**

---

[١] سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
[٢] سورة البقرة، الآية: ١٢٥.
[٣] تفسير من وحي القرآن، ٣/٣٥.
[٤] مقدمة تفسير من وحي القرآن، ١/١٠.
[٥] تفسير من وحي القرآن، ٣/٥٦. للتوسعة في مفهوم المنهج الحركي ظ: د. حسن محمد علي حسين الحكيم، البُعد الحركي في منهج تفسير من وحي القرآن للسيد فضل الله، ص١٦٧.

يُنفِقُونَ)[١]، يقول: (وملخّص الفكرة أن المؤمن يشعر بأنّه مسؤول عن الإنفاق من كل ما رزقه الله من مالٍ أو علمٍ أو جهدٍ أو جاهٍ وغيره، من موقع الواجب لا من موقع التفضل.

وقد يناقش المناقشون في ظهور اللفظ في ذلك، ولكنّ اللفظ ليس مدلولاً لغوياً يتجمد المعنى عنده، بل هو إيحاء عميق ممتد في رحاب الحياة، يتسع ويشمل كل ما يتصل به من أجواء ومواقف وأشياء)[٢].

رابعاً: المناخات النفسية، يعتمد المفسر في تفسيره للآيات، وفي استفاداته منها على الأسلوب الموجود في الآية . بحسب تعبيره .، ولعلّه يقصد السياق، ثم يأخذ انطباعاً معيناً حول الآية الكريمة، فمثلاً في الآية الكريمة: **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)**[٣]، نجده يقول: (وتحاول الآية الكريمة أن تعطينا . من خلال أسلوبها . انطباعاً، بأنهم غير مقتنعين مما يطرحونه، ولكنهم يريدون تنفيذ مآربهم، وبهذا لا تمثل القضية موقفاً حقيقياً لهم)[٤].

خامساً: البُعد الأدبي، يمتاز التفسير بأسلوبه الأدبي، ويمزج بينه وبين الأسلوب العلمي المتأدب مما يجعله رائعاً يجذب القارئ إليه، ويجعله يتفاعل معه، وكأنه يقرأ مقطوعةً أدبيةً أو قصةً طريفةً في الوقت الذي يعيش فيه أجواء تفسير القرآن.

ومثالنا هذا الأنموذج الأدبي: في تفسير قوله تعالى: **(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ الله بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ)**[٥].

يقول المفسر في تصوير هذا المثل: (فهم تماماً لو كنّا في صحراء مظلمةٍ ليس فيها بصيص نور، فلا قمر تشع أنواره الشفافة الوديعة في الأجواء الممتدة التي

---

[١] سورة البقرة، الآية: ٣.
[٢] تفسير من وحي القرآن، ١١٩/١.
[٣] سورة البقرة، الآية: ١١.
[٤] تفسير من وحي القرآن، ١٤٥/١.
[٥] سورة البقرة، الآية: ١٧.

تنسكب على الرمال بوداعةٍ وهدوء، ولا كواكب تلمع من بعيد، فتوشي حواشي الظلام بلمعات من النور الأبيض القادم من بعيد في خجل واستحياء، فتفتح أمام الخطى بعض مسالك الطريق. – ثم يمضي في الحديث قائلاً: – ليس هناك إلا ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض)[١].

سادساً: الطابع التربوي، يغلب على التفسير الطابع التربوي، بما لكلمة التربية من معنى اصطلاحي، يتجسّد في الارتقاء بالإنسان، في كل مجالاته المختلفة، ويسعى إلى إحداث عملية التكيّف والتفاعل، بين الكائن الآدمي وبيئته الطبيعية والاجتماعية، لتحقيق خلافة الله في الأرض.

كما أنّ المفسر يراعي التربية الأخلاقية بالخصوص، في الكثير من الأحيان، ويفرد لها بحوثاً معنونة بالتربية.

سابعاً: ارتباط الجانب الفكري بالجانب العاطفي، نلحظ في التفسير دوام التذكير بالجوانب الروحية في الآيات القرآنية كلما سنحت الفرصة لذلك، بل لا نبالغ إذا قلنا إننا نلمس ذلك من أول الكتاب إلى آخره.

ومن النماذج على هذا الملحظ حديث المُفسر، عندما كتب مبحثاً تحت عنوان: (الالتزام الفكري يقود الى الالتزام العاطفي)، إذ يقول: (إنّ الالتزام بالعقيدة لا يتمثل في الالتزام الفكري الذي يمثل الموقف الفكري للإنسان، بل يمتد الى الالتزام العاطفي والروحي مع خط الفكر في حركة الحياة إزاء العلاقات الإنسانية الموافقة أو المضادة، فإن التقاء الجانب العاطفي بالجانب الفكري في شخصية الإنسان المسلم يمثل وحدة الشخصية)[٢].

ثامناً: عدم الاستغراق في الأجواء الفلسفية المجردة، يظهر من المفسر عدم رغبته لإخضاع القرآن الكريم في تفاصيله إلى البحث الفلسفي لما فيه من التعقيد، فنجده مثلاً يقول: (إنّ الآية توحي للإنسان بأنّ الطريق إلى معرفة الله لا يتوقف على

---

[١] تفسير من وحي القرآن، ١/١٦٠.
[٢] المصدر نفسه، ٣/١٦٢.

الاستغراق في الأجواء الفلسفية المجردة التي تبتعد بالإنسان عن حياته، ليضيع في متاهات الفرضيات المتنوعة، والأساليب المتضادة، ولا يخضع للانطلاق إلى أجواء بعيدة)[١].

تاسعاً: بحوث تحليلية، وجود بعض البحوث التحليلية والتفصيلية تقريباً عن بعض القضايا مثل: البحث عن الربا، وأضراره، واختلاف وجهات النظر بالنسبة إليه، والبحث عن المرأة، وما يتعلق بها من مشاكل وإشكالات، وغيرها..

ثانياً: انموذج من تفسيره:

١) تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾[٢]، لأن هؤلاء لا يمثّلون التوازن الروحي والعملي الذي تقوم عليه الحياة وتتحرك به في الاتجاه السليم. وفي هذا إيحاءٌ للمؤمنين بأن عليهم أن يعيشوا في داخلهم الرفض النفسي والعاطفي للخائنين، لأن مشاعرهم لا بد من أن تكون منسجمةً مع الخط الإلهي المحدد للخط الشعوري لحركة الإنسان في الحياة؛ فيحبون من يحبهم الله، لأن الله لا يحب إلا الطيبين المخلصين؛ ويبغضون من يبغضهم الله، لأنه لا يبغض إلا المنحرفين الخائنين... وبذلك لا يعيش المؤمن الازدواجية بين قناعاته ومشاعره، كما يعيش ذلك بعض الناس عندما تتجه مشاعرهم في غير اتجاه قناعاتهم، لأن المؤمن يمثل الوحدة في الفكر والعاطفة والحياة[٣].

٢) تفسيره لقوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ، بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[٤]، وهذا رجل . نموذج، يمثل الإنسان الذي يخرج من قلب

---

[١] ظ: تفسير من وحي القرآن، ٤١/٦.
[٢] سورة الانفال، جزء من الآية: ٥٨.
[٣] محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ٤٠٦/١٠.
[٤] سورة يس، الآية: ٢٦-٢٧.

مجتمعه، ليدخل في مواجهة معه، انطلاقاً من موقف الحق أمام الباطل الذي يتبناه المجتمع كله، ومن موقف المساندة للمجموعة الرسالية الصغيرة الداعية إلى الله، في مقابل الجماهير الغفيرة المشركة به أو المنكرة له.

ومن خلال دراستنا لشخصيته، ولروح القوّة التي تعيش في داخل عقله وشعوره، ولإشراقة الإيمان التي تشرق في روحه منيرةً كل المواقع، نستطيع أن نخلُص إلى الفكرة التي لا تعتبر فساد البيئة التي يعيش فيها الفرد أساساً حتميّاً لفساده الذاتي، بحيث تمثّل الضغط الذي لا يستطيع أن يواجهه أو يثبت معه، بل يمكن له أن يتمرد على واقع البيئة الفكري والعملي، عندما يملك عقله ووجدانه، ويحمي شعوره من الاهتزاز العاطفي والانفعالي بما حوله، أو بمن حوله، ويجلس مع نفسه جلسةً هادئةً، في أجواء الهدوء والحياد الفكري. ليكتشف في المسألة الفكرية شيئاً غير ما يفكر به الآخرون، ويجد في المسألة العملية خطاً غير الخط الذي يتحرك بانسجام مع البيئة المنحرفة الضاغطة[١].

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ عندما انتهت حياته، بشكل طبيعيّ، أو بالقتل، كما قيل. وهكذا ينقلنا الله فجأة من ساحة الحوار بينه وبين قومه، ومن التأكيد على ثبات الموقف وشجاعته مما قرّبه من الله، وحبَّبه إليه، وأدخله جنته، إلى يوم القيامة عندما يدعوه الملائكة لدخول الجنة. وهنا تنفتح الروح الإيمانية على المعنى الإنساني الرحيم الذي يجعله بعيداً عن العقدة العدوانية التي تتشفّى وتنتقم، فنرى هذا الإنسان المؤمن الذي قد يكون عاش الاضطهاد من قومه، وقد يكون عاش الوحدة بينهم، وهو يتطلع إلى الجنة ونعيمها، يتمنى وهو في رحاب النعيم، أن يكون قومه معه، لو أنهم علموا هذا المصير الرائع الذي ينتهي إليه المؤمنون.

---

[١] ظ: محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ١٣٩/١٩.

﴿قَالَ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ، بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ من السنوات التي مضت من عمري في خط الكفر والمعصية ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ عندما اطّلع على إخلاصي في إيماني، وصلابتي في موقفي.

وهكذا انتهى هذا الموقف الذي نستلهم منه العبرة في النتائج الإيجابية التي يحصل عليها المؤمنون، وفي الروح المنفتحة على الخير في حياة الناس كلهم من دون تعقيد، فنتعلم أن لا يعيش الإنسان الحاجز النفسي من موقع العقدة الذاتية الفئوية التي تفصله عن الآخرين، بل يبقى في أجواء التفكير التي توحي إليه بأن عليه أن يتمنى للآخرين الحصول على ما حصل عليه من المواقع التي انطلق منها، في ما يهديهم الله إليها، ويقرّبهم منها[١].

٣) تفسيره لقوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾[٢] ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ هذا التاريخ الرساليّ في حركة الأنبياء والمرسلين وفي ملامحهم الروحية، وفي دعوتهم النبويّة، وفي كل تضحياتهم وجهادهم وتفانيهم في خدمة الله، وإخلاصهم لطاعته... هذا ذكرٌ للحاضر وللمستقبل في خط الدعوة لكل الدعاة الرساليين، والمجاهدين العاملين، فيه كل الشرف الكبير والثناء الجميل والخير العميم لكل الذين يتذكرونه ويسيرون في اتجاهه الصحيح في خط الفكر والعمل.

﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ السائرين في منهج الرسالات، ﴿لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ فإن للتقوى دورها الكبير في تحديد العاقبة الحسنة والمرجع الأفضل، إذ تحدّد عظمة النهاية من خلال استقامة البداية[٣].

---

[١] ظ: محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ١٠/١٤٣.
[٢] سورة ص، الآية: ٤٩.
[٣] محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ١٠/٢٧٨.

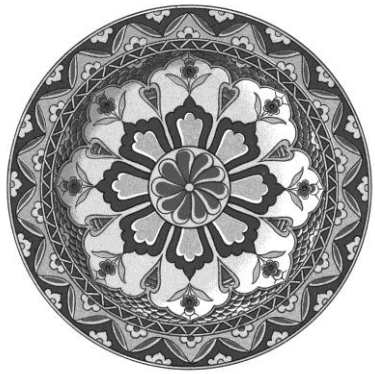

الفصل العاشر

منهج التفسير الكلامي أو الحجاجي

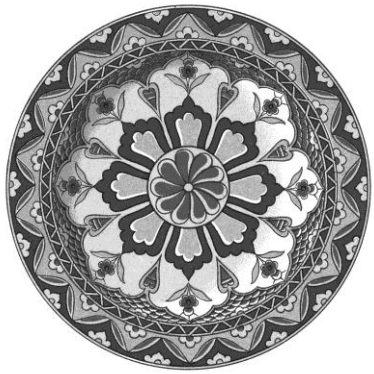

منهج التفسير الكلامي أو الحجاجي:

"الكلام" في اللغة: نطق مفهم[١] بمعنى الحديث، أمّا في الاصطلاح فيُطلق على علم الكلام أو العقائد، وتعريفه: (علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه)[٢].

ووهو أيضاً الحِجاج ومعناه النزاع والخصام بواسطة الأدلة والبراهين والحجج فيكون مرادفاً للجدل أي (مقابلة الحجّة بالحجّة)[٣].

ويأخذ بعين الاعتبار ما تقتضيه نوعيّة الخطاب من جهة، ومستلزمات المتلقي من جهة أخرى؛ فالغاية التي يتأسَّس عليها هي مجابهة العقول وإقناعها بالطرح المقدَّم، لذا (فليس الحِجاج في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السُبل لمحاورتها، والإصغاء إليها ثم محاولة حيازة انسجامها الإيجابي والتحامها مع الطرح المقدّم. فإذا لم توضع هذه الأمور النفسيّة والاجتماعيّة في الحسبان فإنّ الحِجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير)[٤]. لذاك أنّ نظرية الحِجاج تتجاذبها جوانب مختلفة،لا تتعلّق باللغة فحسب؛ بل ترتبط أيضاً بالجانب النفسي والاجتماعي والثقافي، وغيره من المستلزمات التي تؤطّر وتسهم في إنتاج الخطاب اللغوي الحجاجي.

---

[١] ظ: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١٣١/٥.

[٢] الايجي، المواقف في علم الكلام، ص٧. وسمي علم الكلام بهذا الاسم لعدة أسباب منها:
- أن مسألة الكلام هي من أشهر مباحثه التي وقع فيها نزاع وجدل بين المتكلمين، والمقصود منها هي مسألة خلق القرآن التي تبنتها المعتزلة، ونفوا صفة الكلام عن الله تعالى وأكثروا فيها القيل والقال.
- وقيل لأن العادة جرت عند المتكلمين الباحثين في أصول الدين أن يعنونوا لأبحاثهم بـ"الكلام في كذا... إلخ".
- وقيل لأن الكلام والمجادلة والقيل، والقال قد كثر فيه وأصبح سمة لأهله.

[٣] ابن منظور، لسان العرب، مادة (ج د ل).

[٤] محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة، ص٦٨.

من هنا كان اهتمام المفسر مُنصباً على النّص القرآني، وذلك بتفسير آياته وألفاظه وتناسب الآيات مع أسباب التنزيل، وما يمكن ربطه بين جهود المفسرين في بيان آي القرآن وبين الدرس الحجاجي هو أن: (القرآن بوصفه كلاماً دالاً على ذاته ودالاً على مبدعه، يضع نفسه في قلب التواصل اللساني فعملية الكلام في الخطاب القرآني تحتوي على عناصر التواصل الثلاثة: المتكلم، الخطاب، المستمع وهو يتضمن دلالة الكلام على منشئه، دلالة الكلام على ذاته ودلالة الكلام على متلقيه مع الأخذ بعين الاعتبار جلال المرسل في الخطاب القرآني)[١].

ويُمكن القول إن عمل المفسر يقوم على البيان وهو عمل يجنح إلى اختيار الحجج والبراهين المبيّنة لذاك النّص، وتقوم على منطق العقل الذي وظيفته الإقناع، لأن المتلقي قد لا يعي النّص القرآني من الوهلة الأولى لكن المفسر يبسطه بطريقة حجاجية تحمل ذاك المتلقي على التقيد بما ورد فيه أو العمل به.

والهدف المرجو من هذا المنهج إقناع المتلقي على ما ورد في النّص القرآني من جهة، ومن جهة أخرى ذكر سبب التنزيل وهو المقام؛ إذ يتحكم هذا الأخير في عمليتّي إنتاج الخطاب وتلقيه، إذ ان الاسلوب في (الكلام القرآني ليس لغاية أن يكون هذا الكلام جميلاً وإنما لغاية أن يكون كلاماً حجاجياً مقنعاً بوجه من الوجوه)[٢]؛ مع مراعاة حال المتلقي والظروف المحيطة. لهذا (يُراعي المفسّرون عند الكلام عن شروط المفسّر ضرورة إلمامه بالظروف المحيطة بالنّص عند تفسيره من أثر تعميم الدلالة أو الحكم الشرعي، أو تخصيصها، فبيان سبب لنزول مثلاً طريقة إلى فهم معاني الكتاب العزيز)[٣].

---

[١] خلود العموش، الخطاب القرآني، ص١٤٥.
[٢] عبد الله صوله، الحِجَاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص٦٠٤.
[٣] المصدر نفسه، ص١٢٨.

وكان هذا المنهج التفسيري موجه الى غير المسلمين وفي اطار الدعوة الى الدين الإسلامي، وصدر الإسلام حافل بهذه الاحتجاجات الكلامية مع المشركين واتباع الأديان الأخرى من أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَّ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهَّ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[١]، ومعنى كون الكلمة سواء أن القرآن والتوراة والإنجيل متفقة في الدعوة إليها وهي كلمة التوحيد من قبيل وضع التفسير الحق موضع الكلمة المتفق عليها والإعراض عما لعبت به أيديهم من تفسيره غير المرضي الذي تنطبق الكلمة بذلك على أهوائهم من الحلول واتخاذ الابن والتثليث وعبادة الأحبار والقسيسين والأساقفة ويكون محصل المعنى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم وهي التوحيد ولازم التوحيد رفض الشركاء وعدم اتخاذ الأرباب من دون الله سبحانه[٢].

ومن هنا كانت الأصول والثوابت العقائدية وما يتفرع عنها معياراً يقاس بها صحّة الرأي أو الرواية ليقبل ما كان منسجماً معها ويترك ما كان مخالفاً لها، لأنها تمثّل في الواقع حصيلة ما اتفقت عليه العقول والنقول وثمرتما جاهدت لأجله.

وقد عدّ الآلوسي من جملة ما يتوقف عليه التفسير: علم الكلام، فيما يجوز على الله وما يجب له وما يستحيل عليه والنظر في النبوة، إذ (لولاه يقع المفسِّر في ورطات)[٣].

---

[١] سورة آل عمران، الآية: ٦٤.
[٢] ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢١٨/٣.
[٣] تفسير روح المعاني، ٩/١ .

أسباب الأختلاف في تفسير آيات العقيدة: لم يكن هناك اختلاف ملحوظ في المسائل العقائدية في زمن النبيّ ﷺ وإنّما حدث ذلك بعد وفاته ﷺ، وذلك بسبب:

الجهل في أصول الدين والجرئة في التفسير بالرأي من غير دليل والأخذ بظواهر الآيات دون التدبّر فيها سبباً للفهم الخاطئ للقرآن والتعثّر في إدراك معانيه، وفي ذلك يقول الراغب: (كثيراً ما يجييء ألفاظ في الظاهر كالمتنافي عند مَن لم يتدرّب بالبراهين العقلية والعلوم الحقيقية..).

وظهور الفِرق الإسلامية تحول هذا المنهج من الدعوة الى الدين الإسلامي الى الجدل والاحتجاج بين هذه الفِرق العقائدية، وخصوصاً في مسألة الإمامة فكان المفسِر في هذا المنهج يعمد الى إخضاع الآيات للعقائد التي اعتنقها المفسّر في مدرسته الكلامية.

واتّسعت دائرة هذه الخلافات تدريجياً إلى مسائل صفات الله والنبيّ ﷺ ثمّ تكوَّن علم الكلام في أواخر القرن الأوّل الهجري وبداية القرن الثاني، وظهرت المدرسة الاعتزالية في الكلام بواسطة واصل بن عطاء (ت:١٣١هـ).

وتبلورت مدرسة الأشاعرة عن طريق أبي الحسن الأشعري (ت:٣٣٠هـ تقريباً) عاش في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الهجري، ثمّ بعد ذلك ظهرت الفرقة الماتريدية.

وقد تكوّنت المدرسة الكلامية للشيعة عن طريق أهل البيت عليهم السلام في بداية ظهور الإسلام والّتي لها عقائد مستوحاة من القرآن الكريم وأحاديث النبيّ ﷺ في مسألة الإمامة والعصمة، ثمّ أصبحت أكثر ترتيباً وتنظيماً على يد بعض العلماء أمثال الشيخ المفيد (ت:٤١٣هـ).

مارست هذه المدارس الكلامية التفسير أيضاً، فكانت تأخذ من الآيات ما يوافق آراءها وتؤوّل الآيات المخالفة أو تقوم بتوجيهها بحقٍّ أو بغير حقٍّ؛ ومن هنا ظهرت

المناهج الكلامية في التفسير بأنواع مختلفة، وسوف نذكر بصورة مختصرة أهمّ هذه المناهج مع ذكر كتبهم التفسيريّة.

- **أهتمام (عناية) المفسر بالمنهج الكلامي:**

أكثر ما يهتمّ به المفسِّر في المنهج الكلامي هو:

١. الاهتمام بتفسير آيات العقائد (التوحيد، النبوّة، المعاد).
٢. الاهتمام بالآيات المتشابهة في القرآن الكريم.
٣. إثبات عقائده ونفي عقائد الآخرين عن طريق تفسير الآيات.
٤. إنّ بواعث المفسِّر هو الدفاع عن عقائد المسلمين أو الدفاع عن المدرسة الكلامية الّتي يتبنّاها.
٥. الاستفادة من المنهج الاجتهادي والعقلي في التفسير، واتّباع الطريقة الاستدلالية، إضافة إلى استخدام الروايات والآيات أيضاً، ولهذا فقد تشتمل التفاسير الكلامية على مناهج واتجاهات متعدّدة.

- **أهم الموضوعات الخلافية التي اعتنى بها منهج التفسير الكلامي:**

من أهمّ الموضوعات والآيات الّتي كانت مورد بحث ونقاش في التفاسير الكلامية هي:

١. التوحيد الصفاتي.
٢. التوحيد الأفعالي.
٣. عصمة الأنبياء (عليه السلام).
٤. العدل الإلهي.
٥. الإمامة وخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).
٦. الهداية والضلال وعلاقتهما بحرية واختيار الإنسان.
٧. رؤية الله بالعين وعلاقة ذلك بمسألة التجسيم والتشبيه.

مثـــال: قـال إسـحاق المـروزي، وهـو مـن الحنابلـة أشـعري الكـلام فـي الآيـة الكريمـة: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[١]. إنّ الله سبحانه يُقعِد النبيّ ﷺ معه على العرش وذلك جزاءً لهُ على تهجّده، في حين نفى المعتزلة هذا المعنى وقالوا: إنّ حديث الجلوس على العرش محال، ووقعت الفتنة فقتل بينهم عدد كبير!! واضطر الجند إلى التدخّل لإيقافها[٢].

وكذلك بالنسبة إلى الآية الشريفة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٣] فقد ذهب بعض المفسِّرين إلى أنّ الله سوف يُرى في الآخرة، وهناك روايات في صحيح البخاري تؤيّد هذا المعنى أيضاً [٤]. وأما المعتزلة فقالت: إنّ ظاهر الآية يتعارض مع الآية الكريمة: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[٥] وأنّ هذا المعنى رؤية الله في الآخرة هو من المعاني المجازية.

قال العلامة الطباطبائي في تفسير الآية السابقة: (والمراد بالنظر إليه تعالى ليس هو النظر الحسّي المتعلّق بالعين الجسمانية المادّية الّتي قامت البراهين القاطعة على استحالة في حقّه تعالى، بل المراد النظر القلبي ورؤية القلب بحقيقة الإيمان على ما يسوق إليه البرهان ويدلّ عليه الأخبار المأثورة عن أهل العصمة)[٦].

---

[١] سورة الاسراء، الآية: ٧٩.
[٢] ظ: ابن الأثير (ت:٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ٢١٣/٨٥.
[٣] سورة القيامة، الآية: ٢٢ – ٢٣.
[٤] ظ: البخاري، صحيح البخاري، باب التوحيد، ١٧٣/٨.
[٥] سورة الانعام، الآية: ١٠٣.
[٦] محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٩٨/٢٠.

- **أشهر المدارس الكلامية في التفسير:**

معلوم ان الاختلاف من السنن التي ترافق الموجودات، ومنها الاختلاف في وجهات النظر بين البشر في فهم بعضهم وفي فهم النصوص المقدسة والتعاطي معها، وقد تجلى ذلك في ظهور فِرق عقدية جراء ذلك، ونحن هنا لسنا بصدد بيان نشأة هذه الفِرق الإسلامية ورجالها ومبتنياتها العقدية[١]، وإنما يعنينا هنا المنهج التفسيري لها، إذ إن تأثير المعتقد في التفسير أمر واقع لا محالة، وهذا أمر، وكون هذا المعتقد صواباً أو خطأ أمر آخر. ومن ابرز المدارس التفسيرية الكلامية هي[٢]:

أولاً: المنهج الكلامي للشيعة الإمامية في التفسير: الشيعة هم أتباع الأئمّة الإثني عشر – من الإمام عليّ عليه السلام إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف –، وقد استفاد الشيعة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام في القرون الأولى، وأخذوا عنهم أهمّ المسائل الكلامية، وقد شاع المذهب الكلامي للشيعة بعد انتهاء الغيبة الصغرى لإمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف سنة (٣٢٩هـ)، بواسطة علماء الشيعة الكبار أمثال: الشيخ المفيد، والسيّد المرتضى، والشيخ الطوسي، والخواجة نصير الدِّين الطوسي، و...

تعتقد الشيعة بالتوحيد الصفاتي، والعدل الإلهي، وقد أعطوا أهمية لكل من العقل والنقل، وذهبوا إلى أنّ الإنسان مختار في أفعاله (ليس بصورة مطلقة ولكن أمر بين أمرين)، وينكرون التكليف بما لا يطاق، ويعتقدون بأنّ الله لا يُرى بالعين المادّية لا في الدنيا ولا في الآخرة. ومن أهمّ المسائل الكلامية للشيعة هو الاعتقاد بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، والأئمّة الإثني عشر عليهم السلام، وكذلك الاعتقاد بعصمة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام. وأمّا الاتجاه التفسيري للشيعة فهو الالتفات إلى كلّ من الظاهر والباطن للقرآن.

---

[١] لخص المؤلف نشأة الفرق الإسلامية الكبرى واصولها العقائدية في كتاب اسماه: الفرق الإسلامية الكبرى – الإمامية والمعتزلة والأشاعرة– دراسة مدخلية مقارنة، ص٣٥ وما بعدها.
[٢] للتوسعة ظ: مجموعة مؤلفين، دراسات في المناهج التفسيرية، ص١٨٣.

من أهمّ التفاسير الكلامية للشيعة هي:

١- غرر الفوائد ودرر القلائد (أمالي السيّد المرتضى)، الشريف المرتضى (ت:٤٣٦هـ)، والّذي جمع بين الظاهر والباطن.

٢- تفسير التبيان، الشيخ أبو جعفر الطوسي (ت:٤٦٠هـ).

٣- تفسير مجمع البيان، أبو علي الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) رغم كون التفسيرين المذكورين من التفاسير الجامعة ولكنّهما كثيراً ما يهتمّان بالمباحث الكلامية.

٤- متشابه القرآن ومختلفه، ابن شهر آشوب المازندراني (ت:٥٨٨هـ)، وقد دوّن هذا التفسير بصورة موضوعية.

٥- حدائق ذات بهجة، أبو يوسف عبد السلام القزويني (ت:٤٨٨هـ)، ويشمل جميع آيات القرآن وهذا التفسير كان موجوداً حتّى زمان الصفويّين.

٦- بلابل القلاقل، أبو مكارم محمّد بن محمّد الحسني (القرن السابع) باللغة الفارسية. وقد بدأ بالآيات الّتي تبدأ بلفظ "قل".

ثانياً: المنهج الكلامي الاعتزالي في التفسير

المعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء (ت:١٣١هـ)، ومن أهمّ الشخصيات البارزة في هذه المدرسة هم: عمرو بن عبيد (ت:١٤٣هـ)، أبو الهذيل العلّاف (ت:٢٣٥هـ)، إبراهيم النظّام (ت:٢٣١هـ)، الجاحظ (ت:٢٥٥هـ)، أبو علي الجُبائي (ت:٣٠٣هـ)، القاضي عبد الجبّار (ت:٤١٥هـ) والزمخشري (ت:٥٣٨هـ).

ولأسباب إعمال العقل في التفسير وتجنب كثير من المنهج الأثري، هو ما اصاب الرواية من مآخذ الضعف[١]، يقول إبراهيم النَّظَّام: (لا تسترسلوا إلى كثير من المفسِّرين.. فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس وكلّما كان المفسِّر

[١] ظ: الفصل الثالث، من هذا الكتاب، ص٩٠.

أغرب عندهم كان أحبَّ إليهم، وليكن عندكم عكرمة، والكلبي، والسُّدي، والضحَّاك، ومقاتل... فكيف أثق بتفسيرهم وأسكن الى صوابهم)[١].

وكذلك عقائدهم إذ يعتقد المعتزلة أنّ الإنسان حرٌّ ومختار، وأنّ القرآن يمكن تفسيره عن طريق العقل، وأنّه يمكن إدراك كثير من الحقائق بواسطة العقل (دون هداية الشرع)، وفي حالة تعارض الحديث مع العقل فإنّهم يقدّمون العقل، وكذلك يعتقدون أنّ الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر (المنزلة بين المنزلتين)، وأنّه لا يمكن للإنسان الحصول على المغفرة دون توبة. وكذلك يعتقدون بالتوحيد الصفاتي، وينكرون التوحيد الأفعالي فهم من العدلية، حيث يعتقدون بعدالة الله وأنّ أفعاله لها غاية وهدف، وكلامه مخلوق، ويحصرون القدم بالله سبحانه وتعالى.

وقد استمرّت عقائد المعتزلة في الازدهار إلى زمن المتوكِّل، حيث نُكِّل بهم في زمانه بشدّة، ثمّ انتشر المذهب الأشعري من ذلك الزمان.

من أهمّ التفاسير الكلامية للمعتزلة هي:

١- تفسير أبي بكر عبد الرحمن بن كيان الأصم (ت:٢٤٠هـ).

٢- تفسير أبي علي الجبائي (ت:٣٠٣هـ)، محمّد بن عبد الوهّاب بن سلام.

٣- جامع التأويل لمحكم التنزيل، أبو مسلم الأصفهاني (ت:٣٢٢هـ).

٤- (متشابه القرآن)، و(تنزيه القرآن عن المطاعن)، القاضي عبد الجبّار الهمداني (ت:٤١٥هـ)، وهو شافعي في المذهب الفقهي، ومعتزلي في الكلام.

٥- تفسير الكشّاف، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)[٢].

---

[١] الجاحظ، كتاب الحيوان، ٣٤٣/١.

[٢] ذكرنا تفسير الكشاف ضمن المنهج البياني الأدبي، وندرجه ها هنا لما يمتاز بحظ أوفر في عرض الأصول العقائدية للمعتزلة وهو ما اثار عليه خصومه في الرد عليه، ومنهم:
١. "الإنتصاف" الإسكندري احمد بن المنير المالكي (ت:٦٨٣هـ) بين فيه ما تضمنه من الاعتزال، وناقشه، وربما ذكر كلام الزمخشري من غير كلام عليه إعجاباً به وموافقاً له.
٢. "الإنصاف" لعلم الدين العراقي (ت:٧٠٤هـ) جعله حكماً بين الكشاف والانتصاف.

٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي ناصر الدِّين أبو الخير عبد الله البيضاوي الشافعي (ت:٦٨٥هـ)، وقد كتب التفسير بالاعتماد على تفسير الكشّاف للزمخشري، والمشهور أنّ البيضاوي أشعريُّ المذهب، ولكن بعض المحقّقين يعتقدون أنّه معتزلي؛ لأنّه أعطى أهميّة كبيرة للعقل والعدل في تفسيره[١].

٧- وتفسير كبير لعبد السلام بن محمّد بن يوسف (ت:٤٨٣هـ) شيخ المعتزلة.

ثالثاً: المنهج الكلامي الأشعري في التفسير:

الأشاعرة وهم أتباع أبي الحسن الأشعري (ت:٣٣٠هـ تقريباً)، ومن أهمّ الشخصيات البارزة عندهم: القاضي أبو بكر الباقلاني (ت:٤٠٣هـ)، أبو إسحاق الأسفرايني، إمام الحرمين الجويني، الإمام محمّد الغزالي (ت:٥٠٥هـ)، والإمام الفخر الرازي[٢].

---

٣. "التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزالات في الكتاب العزيز" لأبي علي عمر السكوني المغربي (ت:٧١٧هـ).

٤. "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" للنسفي أبي البركات عبد الله (ت:٧١٠هـ)- مختصر وحذف فيه المُصنِف الاعتزال وهذب بعض الألفاظ-.

[١] ظ: محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ٢/٤٣٠.

[٢] الأشاعرة لا يعتقدون بحرّية واختيار الإنسان، ويقولون بأنّ أعماله مخلوقة من قبل الله سبحانه وتعالى، ولا يذهبون إلى أنّ الإنسان خالق لأفعاله، بل يقولون بالكسب، ولا يعتقدون بالحسن والقبح الذّاتي للأفعال، بل إنّ الحسن والقبح عندهم هو ما حسّنه أو قبّحه الشارع، وكذلك يعتقدون بأنّ العدل شرعي وليس عقلياً (ولهذا السبب اعتُبروا من منكري العدل)، ويذهبون إلى أنّ الإنسان الفاسق يعتبر مؤمناً، وأنّه يمكن أن تشمل المغفرة العصاة دون توبة، ويعتقدون بالشفاعة ويرفضون التوحيد الصفاتي، ويؤكّدون على التوحيد الأفعالي، وأنّ القضاء والقدر الإلهي وإرادته عامّة في جميع الحوادث، وأنّ الشرّ والخير من الله سبحانه وتعالى، وكلام الله قديم (الكلام النفسي وليس الكلام اللفظي)، وأنّ أفعال الله ليست معلّلة وليس لها غاية، وأنّ الله سوف يُرى يوم القيامة بالعين المادّية، وأنّ العالَم حادث زماني، وأنّه يجوز التكليف بما لا يطاق، ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي (المؤلف)، الفرق الإسلامية الكبرى، ص٢٧١.

من أهمّ التفاسير الكلامية المدوّنة للأشاعرة هي:

١- تأويلات القرآن، أبو منصور محمود الماتريدي (ت:٣٣٣هـ)، وهو في الفقه من أتباع مذهب أبي حنيفة، ويميل إلى المدرسة الكلامية الأشعرية.

٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، عبد الله بن أحمد بن محمود بن محمّد النسفي (القرن السابع). وقد دوّن هذا الكتاب من أجل نقد آراء الزمخشري في الكشّاف، والنسفي من أئمة المذهب الحنفي في زمانه.

٣- بيان المعاني، عبد القادر الملا حويش آل غاري، حنفي المذهب، ومن أتباع المذهب الأشعري في الكلام.

٤- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للفخر الرازي (ت:٦٠٤هـ) ويطلق عليه إمام المشكّكين، وقد أسرف في ذكر المباحث الكلامية حتّى قيل في تفسيره: فيه كلّ شيء إلا التفسير. ورغم كونه أشعريّاً في الكلام، ولكنّه قد يتكلّم خلاف العقيدة الأشعرية في بعض الأحيان[١].

إنموذج من التفسير الكلامي أو الحجاجي:

وإتماماً للفائدة سيكون نماذج منهج التفسير الكلامي عند:

١. الرازي(ت:٦٠٦هـ) في تفسيره مفاتيح الغيب.

٢. الشريف المرتضى (ت:٤٣٦هـ) في الأمالي (غرر الفوائد ودرر القلائد).

٣. أبو علي الجُبّائي (ت:٣٠٣هـ) في تفسير الجُبائي.

وعلى النحو الآتي:

[١] ظ: محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ٤١٤/٢.

أولاً: منهج الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب (التفسير الكبير):

الرازي: هو أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين، ولد في الريّ سنة ٥٤٤هـ وتوفي في هراة سنة ٦٠٦هـ، جمع كثيراً من العلوم وبرع فيها، فكان إماماً في التفسير، وعلم الكلام، وعلوم اللغة، والعلوم العقلية، وكان طبيباً حاذقاً، وقد ندم على الاشتغال بعلم الكلام وكان يقول: (ليتني لم أشتغل بعلم الكلام. ثم يبكي)[١]. وكان – لما تمتع به من منزلة علمية– مقصد العلماء، ومحط الأنظار.

وألف الرازي كتابين في التفسير: الأول: التفسير الكبير وسماه (مفاتيح الغيب)، والثاني: التفسير الصغير وسماه: (أسرار التنزيل وأنوار التأويل)[٢]، ويُعَدُّ تفسيره مفاتيح الغيب من أشهر مصنفاته، وهو تفسير مطبوع، ومتداول بين أهل العلم؛ وقد حظي هذا التفسير بشهرة واسعة بين أهل العلم؛ لما امتاز به من سعة في الأبحاث في نواحي شتى. وامتاز تفسره بالمنهج الكلامي، وكذلك الوضوح في تغليب هذا المنهج في تفسيره فهو (أبرز من يمثل هذا الاتجاه)[٣].

بدأ الرازي كتابة تفسيره في آخر حياته، بعد أن جاوز الخمسين من عمره، وبعد أن حصل من العلوم المختلفة على ما يؤهله للقيام بهذا العمل، وبعدما نضج عقله وكوّن فكره، وأكتملت أدواته، فأعطى عصارة جهده لهذا التفسير الضخم الكبير. ومما يدل على ذلك قول الرازي عند تفسيره سورة يوسف سنة ٦٠١ هـ: (...وإذا عوّل العبد على الله لم يرجع إلى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن وجه. فهذه التجربة قد استمرت لي في أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه إلى السابع والخمسين)[٤].

ولكن... قبل أن نتوقف عند منهج الرازي في تفسيره، نرى من المناسب والمفيد أن

---

[١] الداودي، طبقات المفسرين، ٢/٢١٥.
[٢] ظ: تفسير مفاتح الغيب، ١/١٣ (مقدمة الناشر).
[٣] د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص١٢٧.
[٤] تفسير مفاتح الغيب، ١٨/١٤٥.

ننبه على أمرين مهمين، يتعلقان بهذا التفسير:

الأول: أن الرازي لم يتم كتابة تفسيره إلى نهايته، بل أتمه من جاء بعده؛ وهذا القدر فيه شبه إجماع عند من ترجم لـ الرازي، ثم وقع الاختلاف بينهم في تحديد المكان الذي وصل إليه الرازي في كتابة تفسيره، وأيضًا حصل الخلاف بينهم فيمن أتم كتابة هذا التفسير، مع الإشارة إلى أن قارئ هذا التفسير لا يلحظ فيه تفاوتاً في المنهج والمسلك، فالكتاب يسير من بدايته إلى نهايته على وتيرة واحدة.

الأمر الثاني: وهو الأهم، أن كثيراً من العلماء والمحققين كانت لهم العديد من المآخذ على هذا التفسير؛ كتوسعه في ذكر مسائل علم الكلام، والعلوم الطبيعية والرياضية، التي لا علاقة لها بموضوع التفسير إلا بشيء غير يسير من التكلف والتأويل البعيد، والتعرض لمثل هذه الأمور مما يجلُّ عنه كتاب الله سبحانه؛ غير أن من أهم المآخذ التي سجلها العلماء على هذا التفسير انه يقوم بإيراد الشبهة الشديدة، ويقصِّر في حلِّها، حتى قال بعضهم عنه: (إنه يورد الشبه نقداً ويردها نسيئة)[١]، وهذا ملاحظ بالفعل في هذا التفسير؛ إذ يورد الرازي شُبه المخالفين لرأيه العقدي على غاية ما يكون الإيراد، حتى قيل: إنه يقرر مذهب خصمه تقريراً بحيث لو أراد خصمه تقريره لم يقدر على الزيادة عليه. لكنه عندما يعود لتقرير ما هو الحق في المسألة نجده يضعف، ولا يوفي الرد حقه. ولأجل هذا كان بعضهم يتهم الرازي في دينه، ويشكك في عقيدته.

بعد هذا التنبيه، نتوقف عند **منهج الرازي في تفسيره**، والذي يقوم على ما يأتي:

١. اهتمام الرازي ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره؛ فهو يهتم غاية الاهتمام بذكر المناسبات بين الآيات القرآنية بعضها مع بعض، وكذلك يهتم بذكر مناسبات السور بعضها مع بعض.

---

[١] ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ٤٢٧/٤.

٢. من أبرز معالم منهج الرازي أنه لم يكثر من تفسير القرآن بالمأثور، وهذا يتماشى مع عقليته وثقافته واتجاهه الذي سلكه في تفسيره وهو التفسير بالرأي والذي يميل إلى الأسلوب العقلي الفلسفي الكلامي[١].

٣. كثرة الاستطراد، إذ يقسم الرازي الموضوع إلى أقسام وتتشعب الآية إلى مسائل، والمسائل إلى وجوه، والوجوه إلى أقسام، والأقسام إلى تفريعات حتى يصل إلى غرضه المنشود في الشرح. والغرض قد يطول أو يقصر حسب كمية وكيفية خلافات الفِرق والمذاهب وغير ذلك من الأمور[٢].

٤. لا يكاد يمر بآية من آيات الأحكام، إلا ويذكر أقوال أهل العلم فيها، مع ترجيحه غالباً لمذهب الشافعي، الذي ينتمي إليه. ويفعل مثل هذا في المسائل الأصولية، والنحوية.

٥. من أسلوب الرازي في تفسيره استخدام الوعظ والإرشاد، بما له من نزعة صوفية عميقة تؤثر في سامعيه.

٦. يذكر الرازي كثير من المسائل في علوم: (الأصول والبلاغة والنحو وغيرها، وان كانت هذه المسائل في مجموعها بعيدة عن الاطناب والتوسع كما هو الحال في المسائل الكونية والرياضية والفلسفية بوجه عام)[٣].

٧. لم يذكر القصص القرآني في تفسيره إلاّ مختصراً، أو للرد عليه، وبعبارة أخرى أن الرازي لم يعر القصص القرآني أهمية خاصة، فهو وإن نقل عن وهب بن منبه الذي هو من أبطال الروايات الاسرائيلية لكنه لا يسترسل في ذلك[١].

---

[١] ورغم ذلك كان أحياناً يفسر القرآن بأقوال السلف من الصحابة والتابعين وأحياناً أخرى يفسر القرآن بالقرآن، ويجمع بين الآيات المختلفة في الموضوع الواحد لإزالة الغموض..

[٢] ومن أراد مزيداً فليراجع التفسير، فإني لا أكون مبالغاً إذا قلت: إنه لا تكاد تمر بضع صفحات إلاّ ويذكر الرازي مبحثاً كلامياً أو اصولياً، وأكثر هذه البحوث تستغرق صفحات متعددة، يصل بعضها إلى ست صفحات من القطع الكبير، ويزيد بعضها على ذلك، وقد تطول بحوث تفسير بعض الآيات نتيجة ذلك، فقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا....﴾ سورة البقرة، الآية: ٣٥، استغرق تفسيرها عند الرازي ثلاثين صفحة، أكثر بحوثها جانبية. ظ: الرازي، مفاتيح الغيب، ١٦١/٢ – ١٩١.

[٣] د. منيع عبد الحليم محمود، مناهج المفسرين، ص١٤٩ .

٨. أسباب النزول من علوم التفسير التي أعطاها الرازي اهتماماً كبيراً. ومما يدل على ذلك أنه قام بالتنبيه على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٢].

٩. ابتعد الرازي في تفسيره عن الإسرائيليات والخرافات والأساطير ولم يذكر إلا ما له نص صريح من المصادر الموثوقة من القرآن والسنة، ورفض كل ما هو غريب وشاذ ومشكوك في صحته.

والذي يظهر لقارئ هذا التفسير – إضافة لما تقدم– أن مؤلِّفه كان مولعاً بكثرة الاستنباطات في تفسيره، إضافة إلى توسُّعه – كما ذكرنا آنفاً– في ذكر مسائل الكون والطبيعة، فـ(تجوز كثيراً في الدخول بمتاهات ومناقشات وآراء واجتهادات لا يتحملها النص القرآني)[٣]، ولأجل هذا، فقد قلَّل بعضهم من قيمة هذا الكتاب، كتفسير للقرآن الكريم، بل وصل الأمر ببعضهم بأن وصف هذا التفسير بقوله: (فيه كل شيء إلا التفسير)[٤]، وهذا القول – فيما نرى– فيه شيء من المبالغة، فلا يسعنا أن نسلِّم به على إطلاقه فقد تضمن مع كل تلك العلوم منهجاً تفسيرياً نافعاً، يقول الدكتور فهد الرومي: (والصحيح أن فيه كل شئ مع التفسير)[٥].

أنموذج من تفسيره:

يقول الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٦]:

وفيه مسائل: المسألة الأولى: اعلم أنه تعالى رغب في ذكر الله، ولما آل الأمر إلى الفكر لم يرغب في الفكر في الله، بل رغب في الفكر في أحوال السموات والأرض، وعلى وفق هذه الآية قال (ﷺ): (تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق) والسبب في ذلك أن الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت

---

[١] ظ: تفسير مفاتيح الغيب، ٨٧/١٨.
[٢] المصدر نفسه، ١٠٩/١٨.
[٣] د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص١٢٧.
[٤] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٢٩٠/٢.
[٥] أصول التفسير ومناهجه، ص١٨٧.
[٦] سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

المماثلة، إنما يمكن وقوعه على نعت المخالفة، فإذن نستدل بحدوث هذه المحسوسات على قدم خالقها، وبكميتها وكيفيتها وشكلها على براءة خالقها عن الكمية والكيفية والشكل، وقوله (ﷺ): (من عرف نفسه عرف ربه) معناه من عرف نفسه بالحدوث عرف ربه بالقدم، ومن عرف نفسه بالإمكان عرف ربه بالوجوب، ومن عرف نفسه بالحاجة عرف ربه بالاستغناء، فكان التفكر في الخلق ممكنا من هذا الوجه، أما التفكر في الخالق فهو غير ممكن البتة، فإذن لا يتصور حقيقته إلا بالسلوب فنقول: إنه ليس بجوهر ولا عرض، ولا مركب ولا مؤلف، ولا في الجهة، ولا شك أن حقيقته المخصوصة مغايرة لهذه السلوب، وتلك الحقيقة المخصوصة لا سبيل للعقل إلى معرفتها فيصير العقل كالواله المدهوش المتحير في هذا الموقف فلهذا السبب نهى النبي (ﷺ) عن التفكر في الله، وأمر بالتفكر في المخلوقات، فلهذه الدقيقة أمر الله في هذه الآيات بذكره، ولما ذكر الفكر لم يأمر بالتفكر فيه، بل أمر بالفكر في مخلوقاته.

المسألة الثانية: اعلم أن الشيء الذي لا يمكن معرفته بحقيقته المخصوصة إنما يمكن معرفته بآثاره وأفعاله، فكلما كانت أفعاله أشرف وأعلى كان وقوف العقل على كمال ذلك الفاعل أكمل، ولذلك ان العامي يعظم اعتقاده في القرآن ولكنه يكون اعتقادا تقليديا إجمالياً، أما المفسر المحقق الذي لا يزال يطلع في كل آية على أسرار عجيبة، ودقائق لطيفة، فإنه يكون اعتقاده في عظمة القرآن أكمل.

المسألة الثالثة: دلت الآية على أن أعلى مراتب الصديقين التفكر في دلائل الذات والصفات وأن التقليد أمر باطل لا عبرة به ولا التفات إليه[١].

ومثالنا الآخر في أسباب النزول في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَّ يَرَى﴾[١]، قال الرازي: (المسألة الثانية هذه الآية وإن نزلت في حق أبي جهل فكل من نهى من طاعة الله فهو شريك أبي جهل في هذا الوعيد)[٢].

---

[١] سورة العلق، الآية: ١٤.

ثانياً: منهج السيد المرتضى (ت:٤٣٦هـ) في التفسير في كتاب (الأمالي):

هو السيّد المرتضى علَم الهدى، ذو المجدَين أبو القاسم عليّ بن الحسين.. المنتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام، درس على جملةٍ من الأساتذة الكبار، منهم: الشيخ المفيد، وهارون التَّلْعَكبريّ، والشيخ الصدوق وابن نُباتة.. وغيرهم.

ثمّ ارتقى في مدارج المعرفة حتّى أصبح أُستاذاً معروفاً في جملة من العلوم، فتخرّج على يديه مجموعة من العلماء الأفاضل، منهم: الشيخ الطوسيّ، والشيخ أبو الفتح الكراجكيّ، والشيخ أبو المعالي أحمد بن قُدامة، وأبو الفَرَج يعقوب بن إبراهيم البيهقيّ.

تُوفّي الشريف المرتضى في الخامس والعشرين من شهر ربيع الأوّل سنة ٤٣٦ هجريّة، فصلّى عليه ابنه وتولّى غُسلَه أبو الحسين النجاشيّ، ثمّ نُقل . كما روي . إلى الحائر الحسينيّ المقدَّس، وله مقامٌ أو ضريح في مدينة الكاظميّة إلى جنب الصحن الكاظميّ الشريف، يُعتقد أنّه قبره رحمه الله[٣].

١. **كتابه الأمالي (غرر الفوائد ودرر القلائد):** وهو عباره عن مجالس مختلفة، أملاها في أزمان متعاقبة، تنقل فيها من موضوع إلى موضوع، ومن غرض إلى آخر[٤]. فيختار بعض آي القرآن الكريم، ممّا يغمّ تأويله على الخاصّة بل العامّة، ويدور حولها السؤال، ويثار الاستشكال، وعالج تأويلها وتوجيهها على طريقة أصحاب

---

[١] ظ: تفسير مفاتيح الغيب، ٢٣/٣٢.
[٢] سورة العلق، الآية: ١٤.
[٣] للتوسعة في المصادر ظ: مقدمة المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، أمالي المرتضى، ص٥.
[٤] الأمالي: ما يميلها الشيخ أو من ينيبه عنه بحضرته، فيتلقفها الطلاب بالتقييد في دفاترهم وفي هذا يكون الشيخ قد اعدَّ ما يمليه، أو يلقى إلى الطلبة ما يشاء من تلقاء نفسه...
أما المجالس: فهي تسجيل كامل لما كان يحدث في مجالس العلماء، ففيها يلقي الشيخ ما يشاء من تلقاء نفسه، وفيها كذلك يسأل الشيخ فيجيب، فيدوَّن كل فيما يسمى مجلساً. ظ: مقدمة أمالي الصدوق، السيد محمد مهدي الخرسان، ص١٦.

العدل، وحاول جهده أن يوفّق بين تأويل الآيات المتشابهة، وما دار على ألسنة العرب من نصوص الشعر واللغة، وفي هذا أبدى تفوّقاً عجيباً، وبصر نافذٍ، وأعانه فيما فسّر وأوّل ووجّه وفرة محفوظه من الشعر واللغة ومأثور الكلام. وكان الطابع الّذي يغلب عليه عرض الوجوه المختلفة، والآراء المحتملة، مجوّزاً في ذلك إمكان الأخذ بالآراء جميعاً[١].

ثمّ عرض لمسائل في علم الكلام ممّا اشتجر فيها الرأي، ودار حولها الجدل، واصطرعت الأقلام، وأقيمت المناظرات، مثل القول برؤية الله، وخلق أفعال العباد، وإرادة الله للقبائح، والقول بوجوب الأصلح، وقرّر رأي أصحابه، وحاجّ عنهم، واحتجّ على خصومهم، وكان فيما جادل وناقش رفيقاً في الجدل، عفيفاً في المقال، واشتمل كتابه على (بحوث في التفسير والحديث، والأدب، وهو كتاب ممتع، يدل على فضل كثير، وتوسع في الاطلاع على العلوم)[٢].

٢. منهجه التفسيري:

١. الاستشهاد بنصوص القرآن الكريم، لاسناد ما يذهب اليها في فهم الآية وتقريب المعنى وتفسيره[٣].
٢. اتباع طريقة التمحيص مع الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وذلك بالاشارة الى ان الحديث مطمئن إليه، ومتأكد من صحة سنده[٤].
٣. استشهاده بالشعر في الأمالي، فلا تكاد آية تخلو من ذلك إلا نادراً.
٤. استشهاده بالامثال والحكم من كلام العرب في تأويلاته للآيات التي اعتمدت اللغة أساساً ترتكز عليه في الوصول الى المعنى المراد[٥].

---

[١] ظ: د. كاصد الزيدي، منهج الشيخ أبي جعفر الطوسي في تفسير القرآن الكريم، ص٣٥.
[٢] د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ٢٦٣/١.
[٣] ظ: المرتضى، الأمالي، ٨٧/١.
[٤] ظ: المصدر نفسه، ٣٤٠/١.
[٥] ظ: المصدر نفسه، ٣٥١/١.

٥. جعل الشريف المرتضى العقل كاشفاً عن صحة التفسير أو التأويل أو ضعفه فما يأباه العقل من وجوه التفسير أو التأويل مرفوض.

٦. اشار الشريف المرتضى الى القراءات المتعددة في المقام الذي يناسبها عند تفسيره للآيات القرآنية[١].

٧. موقفه من أقوال المفسّرين المعاصرين له لا يقل شأناً عن موقفه ممّن سبقهم؛ لأنّه كان يتهمهم بالانحياز لمذاهبهم، وهو أمر في غاية الخطورة؛ إذ لم يكن طلب الحقيقة هو المقصود في تفاسيرهم؛ ولذلك نجده يقف من تفاسيرهم موقف المتأمّل[٢].

٨. يذكر الآراء المختلفة، والآراء المحتملة، مجوزاً إمكان الأخذ بالآراء جميعاً.

٣. أنموذج من تفسيره:

١- نجد المرتضى يرد على المجبرة حينما يتعرض لآية ظاهرها يوحي بالتعارض مع حقيقة العدل الإلهي نحو قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾[٣]، إذ استدل بها المخالفون من بعض الفِرق الإسلامية على انه سبحانه أجبر عباده على أفعالهم، وانه لا خالق للأفعال إلا الله[٤].

والمرتضى قبل ان يشرع بتأويل الآية وما تحتمله من تخريجات متعددة للمعنى يذهب بهذه المسألة الى انه تعالى (كيف يجوز ان يخبرنا بانه جعلهم كفاراً وخلق كفرهم! والكلام خرج مخرج الذم لهم؛ والتوبيخ على كفرهم، والمبالغة في الإزراء عليهم! وأي مدخل لكونه خالقاً لكفرهم في باب ذمهم! وأي نسبة بينه وبين ذلك! بل لا شيء

---

[١] ظ: المرتضى، الأمالي، ١٨٢/٢.

[٢] ظ: وسام الحطاوي، المناهج التفسيرية عند الشريف المرتضى، ص٦٦.

[٣] سورة الانعام، الآية: ١٠٣.

[٤] وأراد الأشاعرة أن يوفقوا بين الجبرية والقدرية فجاءوا بنظرية الكسب وهي في مآلها جبرية خالصة لأنها تنفي أي قدرة للعبد أو التأثير، ويوضح هذه النظرية الرازي حين قال: (إن الإنسان مجبور في صورة مختار)، نهاية الاقدام، ص٧٧، للتوسعة في رأي الفرق الإسلامية بالأفعال الإنسانية ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، الفرق الإسلامية الكبرى، ص١٧٣.

أبلغ في عذرهم وبراءتهم من أن يكون خالقاً لما ذمهم من أجله. وهذا يقتضي أن يكون الكلام متناقضاً مستحيل المعنى؛...، وإن عقلاً يقبل هذه الشبهة لعقل ضعيف سخيف)[١].

ويوضح المرتضى ان هذا الجعل هو جعل عقوبة على الأفعال، فيقول: (وإنما جعلهم قردة وخنازير عقوبة لهم على أفعالهم وباستحقاقهم، فجرَى ذلك مَجرى أفعالهم، كما ذمَّهم بأن لعنهم وغضب عليهم؛ من حيث استحقوا ذلك منه بأفعالهم وعبادتهم للطاغوت؛ فإن كان هو خلَقها فلا وجه لذمهم بها؛ لأن ذلك مما لا يستحقونه بفعل متقدِّم كاللَّعن والمسخ)[٢].

ويرى المرتضى ان الآية تضمنت الإخبار عن خَلق الكافر لا فعل الكفر، فيقول: (لا ظاهر للآية يقتضي ما ظنُّوه، وأكثر ما تضمنته الإخبار بأنه خلَق وجعلَ من يعبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير؛ ولا شبهة في أنه تعالى هو خَلق الكافر، وأنه لا خالق له سواه؛ غير أن ذلك لا يوجب أنه خلَق كفره وجعله كافراً)[٣].

٢- **مسألة الرؤيا:** قال الشريف المرتضى في هذه المسألة: اعلم أن أصحابنا لمّا استدلوا على نفي الرؤية بالأبصار عن الله تعالى بقوله: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[٤]، وبينوا أنه تعالى تمدّح بنفي الإدراك الذي هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع إلى ذاته؛ فيجبُ أن يكون ثبوت الرؤية له في وقت من الأوقات نقص وذمّ. قال لهم مخالفوهم: كيف يتمدّح بأنه لا يُرى، وقد يشاركه في نفي الرؤية ما ليس بممدوح؛ كالمعدومات والإرادات والاعتقادات؟

---

[١] أمالي المرتضى – غرر الفوائد ودرر القلائد –، ١٥٧/٢.
[٢] المصدر نفسه، ١٥٨/٢.
[٣] المصدر نفسه، ١٥٨/٢.
[٤] سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

فقالوا لهم: لم يتمدَّح تعالى بنفي الرؤية فقط، وإنما تمدَّح بنفي الرؤية عنه وإثباتها له، فتمدُّحه بمجموع الأمرين؛ وليس يشاركه في هاتين الصفتين مشارك، لأن الموجودات المحدَثات على ضروب؛ منها ما لا يَرى ولا يُرى كالإرادات والاعتقادات، ومنها ما يُرى ولا يَرى كالألوان، ومنها ما يَرى ويُرى كالإنسان وضروب الأحياء؛ وليس فيها ما يَري ولا يُري؛ فثبتت المِدحَةُ لله تعالى بمتضمَّن الآية.

فقال لهم المخالفون: وكيف يجوز أن تكون صفةٌ لا تقتضي المِدحة بانفرادها، ثم تصير تقتضيها مع غيرها! ولئن جاز هذا ليجوزَنَّ أن يتمدَّح متمدحٌ بأنه شئٌ عالم، أو موجود قادِر؛ فإذا كان لا مِدحة في وصف الذات بأنها شئ وموجودة، وإن انضمّت إلى صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحاً، فكذلك لا مِدحة في نفي الرؤية عمن تثبتت له، من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحاً.

فأجاب أصحابُنا عن هذا الكلام بأن قالوا: ليس يمتنع في الصِّفة أن تكون لا تقتضي مدحاً إذا انفردت، وتقتضيه إذا انضمت إلى غيرها، ومثّلوا ذلك بقوله تعالى: ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**﴾[1]، وإن نفي السِّنة والنَّوم هاهنا إنما يكون مدحاً إذا انتفى عمّن هو بصفة الأحياء، وإن كان بانفراده لا يقتضي مدحاً لمشاركته ذوات كثيرة غير ممدوحة فيه، وفصَلوا بين الوصف بالشئ والوجود، وبين ما ذكروا من حيث لا تأثير لهاتين الصفتين في المدح.

واعلم أن صفات المدح المتضمنة للإثبات ما تكاد تفتقر إلى شرط في كونها مدحاً. وصفات النفي إذا كانت مدحاً فلابد فيها من شرط؛ وإنما افترق الأمران من حيث كان النفي أعم من الإثبات؛ فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح، والإثبات أشدُّ اختصاصاً؛ ألا ترى أن ما ليس بعالم من الذوات وليس بموجود أكثر مما ثبت له

---

[1] سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

العلم والوجود منها؟ لأن الأول لا يكون إلا غير متناه، والثاني لا بد أن يكون متناهياً، فلما شملت صفات النفي الممدوح وغير الممدوح احتاجت إلى شرط يخصصها.

وأنت إذا اعتبرت سائر صفات النفي التي يُتمدح بها وجدتها مفتقرة إلى الشروط؛ ألا ترى أن من ليس بجاهل إنما يكون ممدوحاً بهذا النفي إذا كان حيّاً ذاكراً، ومن ليس بعاجز إنما يكون ممدوحاً إذا كان أيضاً موجوداً حياً، ومن ليس بظالم إنما يكون ممدوحاً إذا كان قادراً على الظلم وله دواع إليه، ولا بد في الشرط الذي يحتاج إليه في صفات النفي حتى يكون مدحاً من أن يكون أيضاً إثباتاً أو جارياً مجرى الإثبات، ولا يكون نفياً لأنه إن كان نفياً لم يتخصص، وساوى فيه الممدوح ما ليس بممدوح؛ مثال ذلك أنا إذا مدحنا غيرنا بأنه لا يظلم، وشرطنا في هذه المِدحة أنه لم يَدعُه داعٍ إلى الظلم لم تحصل المِدحة، لأنه قد يشاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي إليه ما ليس بممدوح، فلا بد من شرط يجري مجرى الإثبات؛ وهو ان تقول: وهو ممّن تدعوه الدواعي إلى الأفعال ويتصرَّف فيها بحسب دواعيه. فإذا صحّت هذه الجملة فالوجه ان نقول: إن المدحة في الآية إنما تتعلق بنفي الادراك عن القديم تعالى، لكن بشرط أن يكون مدركاً، ولا نجعل كل واحدة من الصفتين تقتضي المدح مجتمعاً؛ مع أن كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفراد، وليس بمنكَر ان يقتضي الشئ غيره بشرط متى وجد حصل المقتضى، وإذا لم يوجد لم يحصل مقتضاه، ونفي السِّنة والنوم والظلم عن الله تعالى إنما كان مدحاً بشروط معروفة على نحو ما ذكرناه؛ وهذا التلخيص في هذا الموضع أولى وأحسم للشُّبَهِ مما تقدَّم ذكره[1].

[1] ظ: الأمالي – غرر الفوائد ودرر القلائد – ، ٤٩/١.

ثالثاً: منهج الجُبّائي (ت:٣٠٣هـ) في التفسير: (تفسير أبي علي الجبائي)

هو محمد بن عبد الوهّاب بن سلام الجبائي، المعروف بأبي علي الجبائي. شيخ المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره، مؤسس فرقة الجبائية. ولد سنة ٢٣٥هـ في مدينة جُبّى في محافظة خوزستان، وتوفي في البصرة سنة ٣٠٣ هـ[١].

نشأته: انتقل إلى البصرة وهو غلام، وهناك شهد حِلَق المتكلمين، ولزم أبا يعقوب يوسف بن عبد الله الشحّام المتوفى أواخر القرن الثالث الهجري، وكان هذا أحذق الناس في الجدل، انتهت إليه رياسة المعتزلة في البصرة، وعنه أخذ أبو علي الكلام، فنبغ مبكراً وقدر على الجدل والمناظرة في مسائل علم الكلام، شهد له المعتزلة جميعاً بالرياسة بعد أبي الهُذيل العلاف (ت:٢٣٥هـ)، وكان إلى ذلك فقيهاً ورعاً زاهداً (متوسعاً في العلم، سيال الذهن، وهو الذي ذلل الكلام وسهله، ويسر ما صعب منه. وكان يقف في أبي بكر وعلي : أيهما أفضل؟)[٢] .

٢. **تفسيره:** أشار مؤلفو الفرق والمذاهب الى أن للجُبّائي تفسيراً ضخماً للقرآن، حتى أن القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت:٤١٥هـ) قد اقتبس منه بعض الردود والآراء[٣]. إلا انه لم يصل إلينا، فتفرقت آراء الجبائي في بطون التفاسير، حتى جُمعت في مجلد واحد والمسمى: تفسير أبي علي الجبائي[٤].

---

[١] ظ: السيوطي، طبقات المفسرين، ص٨٨.
[٢] الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٨٣/١٤.
[٣] ظ: ابن النديم، الفهرست، ص٣٧، القاضي عبد الجبار، المغني، ٣١٥/٦.
[٤] ظ: تقديم: د. رضوان السيد، تفسير الجبائي، دراسة وتحقيق: د. خضر محمد نبها، ص ب.

٣. منهجه التفسيري:

١. اعتمد الجبائي في تفسيره على عدد من تفاسير السلف والقدامى، كتفسير ابن عباس الذي اختار الكثير من آرائه[١]، وتفاسير المعتزلة التي سبقته، كتفسير واصل بن عطاء[٢].

٢. اختار في تفسيره القراءة التي قال بها كل من الإمام علي عليه السلام، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة[٣].

٣. أهتم الجبائي بأسباب النزول في تفسيره، إذ تحدث في تفسيره عن تسع عشرة آية، فيها أسباباً للنزول[٤].

٤. يتجلى المنهج العقلي في أسلوبه الجدلي، والبرهاني في تفسيره[٥]. مما جعله يستدل من القرآن على نصرة مذهب الاعتزال[٦].

٤. أنموذج من تفسيره:

١- قال الجبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ**﴾[٧]: هذه الآية تدل على أنه سبحانه لا يريد شيئاً من القبائح لا من أفعاله ولا من أفعال عباده، ولا يفعل شيئاً من ذلك، وبيانه: أن الظلم إما أن يفرض صدوره من الله تعالى، أو من العبد، وبتقدير صدوره من العبد، فإما أن يظلم نفسه وذلك بسبب إقدامه على المعاصي أو يظلم غيره، فأقسام الظلم هي هذه الثلاثة.

وقوله تعالى: ﴿**وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ**﴾ نكرة في سياق النفي، فوجب أن لا يريد شيئاً مما يكون ظلماً، سواء كان ذلك صادراً عنه أو صادراً عن غيره، فثبت أن هذه

---

[١] ظ: تفسير الجبائي، ص٧٩.
[٢] ظ: المصدر نفسه، ص٨٢.
[٣] ظ: المصدر نفسه، ص١٥٨.
[٤] ظ: المصدر نفسه، ص٧٨.
[٥] ظ: المصدر نفسه، ص١١٨.
[٦] ظ: المصدر نفسه، ص٢٢٣.
[٧] سورة آل عمران، الآية: ١٠٨.

الآية تدل على أنه لا يريد شيئاً من هذه الأقسام الثلاثة، وإذا ثبت ذلك وجب أن لا يكون فاعلاً لشيء من هذه الأقسام، ويلزم منه أن لا يكون فاعلاً للظلم أصلاً ويلزم أن لا يكون فاعلاً لأعمال العباد، لأن من جملة أعمالهم ظلمهم لأنفسهم وظلم بعضهم بعضاً، وإنما قلنا: إن الآية تدل على كونه تعالى غير فاعل للظلم البتة لأنها دلت على أنه غير مريد لشيء منها، ولو كان فاعلاً لشيء من أقسام الظلم لكان مريداً لها، وقد بطل ذلك، قالوا: فثبت بهذه الآية أنه تعالى غير فاعل للظلم، وغير فاعل لأعمال العباد، وغير مريد للقبائح من أفعال العباد، ثم قالوا: إنه تعالى تمدح بأنه لا يريد ذلك، والتمدح إنما يصح لو صح منه فعل ذلك الشيء وصح منه كونه مريداً له، فدلت هذه الآية على كونه تعالى قادراً على الظلم وعند هذا تبجحوا وقالوا: هذه الآية الواحدة وافية بتقرير جميع أصول المعتزلة في مسائل العدل، ثم قالوا: ولما ذكر تعالى أنه لا يريد الظلم ولا يفعل الظلم قال بعده: ﴿**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾[1]، وإنما ذكر هذه الآية عقيب ما تقدم لوجهين الأول: أنه تعالى لما ذكر أنه لا يريد الظلم والقبائح استدل عليه بأن فاعل القبيح إنما يفعل القبيح إما للجهل، أو العجز، أو الحاجة، وكل ذلك على الله محال لأنه مالك لكل ما في السماوات وما في الأرض، وهذه المالكية تنافي الجهل والعجز والحاجة، وإذا امتنع ثبوت هذه الصفات في حقه تعالى امتنع كونه فاعلاً للقبيح والثاني: أنه تعالى لما ذكر أنه لا يريد الظلم بوجه من الوجوه كان لقائل أن يقول: إنا نشاهد وجود الظلم في العالم، فإذا لم يكن وقوعه بإرادته كان على خلاف إرادته، فيلزم كونه ضعيفاً عاجزاً مغلوباً وذلك محال[2].

---

[1] سورة آل عمران، الآية: ١٠٩.
[2] ظ: تفسير الجبائي، ص١٣٧.

٢- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[١]، أجاب الجبائي[٢]: عنه بأن قوله: ﴿لله﴾ إضافة ملك لا إضافة فعل، ألا ترى أنه يقال: هذا البناء لفلان فيريدون أنه مملوكه لا أنه مفعوله، وأيضاً المقصود من الآية تعظيم الله لنفسه ومدحه لإلهية نفسه، ولا يجوز أن يتمدح بأن ينسب إلى نفسه الفواحش والقبائح، وأيضاً فقوله: (مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) إنما يتناول ما كان مظروفاً في السماوات والأرض وذلك من صفات الأجسام لا من صفات الأفعال التي هي أعراض[٣].

[١] سورة آل عمران، الآية: ١٠٩.
[٢] المسألة التي أجاب الجبائي عنها هي: المسألة الثالثة: (احتج أصحابنا بقوله: ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ على كونه خالقاً لأعمال العباد، فقالوا لا شك أن أفعال العباد من جملة ما في السماوات والأرض، فوجب كونها له بقوله: (ولله ما في السماوات وما في الأرض) وإنما يصح قولنا: إنها له لو كانت مخلوقة له فدلت هذه الآية على أنه خالق لأفعال العباد). الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، ١٥٣/٨.
[٣] ظ: تفسير الجبائي، ص١٣٧.

الخاتمة

وفي نهاية المطاف وبعد رحلة في حنايا كتب التفسير ومناهج المفسرين، تحط رحالنا عند الخاتمة والتي لا اعدها اكتشافات بل خلاصات معرفية، لنقول:

• إنّ منهج الطعن الشخصي في المفسِّر لا المفسَّر، والتعامل مع الذوات لا الموضوعات، والذي نجده عند كثير من الكُتّاب القدماء حتى يومنا الحاضر، والذي يبرز في طريقة تصنيفهم للتفاسير والمفسِّرين على أساس السنّة والابتداع، والتعامل معها بهذا النحو...، إنّ هذه الطريقة في الحكم القبلي على الكاتب والكتاب من خارجه، بناءً على الموقف من رأيه واعتقاده، تفقد الحكم مصداقيته وتجعله منحازاً منذ البدء، وتلغي إمكانية النظر المحايد في محتويات الكتاب.

• لمّا ارتحل النبي الاَكرم "ﷺ"، وقف المسلمون على أنّ فهم القرآن وإفهامه يتوقف على تدوين علوم تسهل التعرّف على القرآن الكريم ولأجل ذلك قاموا بعملين ضخمين في مجال القرآن الكريم:

الاَوّل: تأسيس علوم الصرف والنحو واللغة والاشتقاق وما شابهها لتسهيل التعرف على مفاهيم ومعاني القرآن الكريم أوّلاً، والسنّة النبوية ثانياً، وإن كانت تقع في طريق أهداف أُخرى أيضاً لكن الغاية القصوى من القيام بتأسيسها وتدوينها، هو فهم القرآن وإفهامه.

الثاني: وضع تفاسير في مختلف الاَجيال حسب الاَذواق المختلفة لاستجلاء مداليله ومن هنا لا نجد في التاريخ مثيلاً للقرآن الكريم من حيث شدّة اهتمام أتباعه به وحرصهم على ضبطه، وقراءته، وتجويده، وتفسيره، وتبيينه.

• يثير "تفسير القرآن بالقرآن" إشكالات، يقتضي فكّها تحديد ماهيته، ببيان الجهة المسؤولة عنه، وتعيين المقدار الذي يدخل في مسماه، والنظر في مدى حجيته، وقد تبيّن أن تفسير القرآن بالقرآن لا يعدو أن يكون فهم مفسِّر لآية مستدلاً عليه بآية

أخرى، فهو اجتهاد ورأي من المفسِّر، وليس كما هو شائع ومسلّم عند بعض المختصين من التفسير بالمأثور.

- إنّ التفسير بالرأي لا يُعد تفسيراً معتبراً؛ وفي الحقيقة لا يعتبر تفسيراً للقرآن (بيانه في بحث التفسير بالرأي). فذكره بين أنواع المناهج التفسيريّة هو من أجل رَدِّه والتنبيه على خطره؛ أي إنّنا إذا تعرّضنا للمناهج التفسيريّة بصورة عامّة (أعمّ من كونها صحيحة أو خاطئة)، فحينئذٍ سيدخل التفسير بالرأي في نطاقها.
- وخلصنا إلى ملاحظتين اثنتين جديرتين بالانتباه، هما:

الأولى: أن تصنيف تفاسير القرآن الكريم ضمن هذين القسمين الأساسين – التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي– هو من باب الأغلبية، أو بمعنى آخر، إن كل قسم من هذين القسمين اعتمد بشكل أساس منهج التفسير بالمأثور، أو منهج التفسير بالرأي، دون إهمال أو إعراض عن المنهج الآخر كلية، فهو تصنيف أغلبي – إن صح التعبير – لا كلي.

الثانية: أن وصف بعض التفاسير أنها اعتمدت منهج التفسير بالرأي، لا يقصد به أن تلك التفاسير اعتمدت الرأي المجرد، بل المقصود من هذا الإطلاق أن ذلك النوع من التفسير اعتمد الرأي المستند إلى الدليل في الأعم الأغلب، وعلى هذا فالمصطلح ليس على إطلاقه، وإنما مقيَّد بالرأي المعتبر، والموزون بميزان الشرع؛ يرشد لهذا أن التفسير بالرأي المجرد لا اعتبار له عند من يُعتد بقوله من أهل العلم.

- التفاوت في فهم القرآن الكريم واضحاً منذ عهد نزول القرآن فيمن عاصر نزوله إلى وقتنا الحاضر، فكل من كان بلغة العرب أعرف كانت معرفته بمعاني نصوص الكتاب والسنة أكثر، وفهمه لمدولاتها أرسخ وأتقن.
- في التفسير اللغوي: أن الجمود على ألفاظ القرآن المجيد وعدم الاهتمام بالقرائن العقلية والنقلية المعتبرة هو نوع من الانحراف، كما أن التفسير بالرأي هو نوع آخر من الانحراف، وكلاهما يؤديان إلى الابتعاد عن التعاليم القرآنية السامية.

- في التفسير الصوفي: يجب حمل ألفاظ القرآن على نفس مفاهيمها العرفية، إلا أن توجد قرينة عقلية أو نقلية في باطن الآيات أو ظاهرها تدل على معان أخرى، ويجب تجنب الاعتماد على القرائن المشكوكة وعدم تفسير آيات القرآن بالتخمين.
- ان تقسيم القرآن على مواضيع معينة وتفسيرها، هي الطريقة المثلى في الكشف عن خبايا هذا الكتاب، من تشريعات، وقواعد، وسلوك حميد، وكل ما من شأنه يفيد الناس في حياتهم، وما يتعلق بسلوكهم، وهذا ما يشعرنا بما للقرآن من صلة وثيقة بنظامنا الديني، والاجتماعي، والأخلاقي.
- المنهج الأدبي هو: المنهج الذي دعت إليه المدرسة البيانية، والغاية التي يرمي إليها هذا المنهج هي استجلاء خصائص الأساليب القرآنية استجلاء يؤدي إلى تذوق القرآن، وهذا المنهج بدوره يهتم بالقضايا الأدبية والإنسانية وذلك كالقصة والنفس الإنسانية في القرآن، ثم قضايا الإعجاز النفسي والإعجاز البياني وما أشبه ذلك، وخير ما يمثل هذا المنهج، التفسير البياني للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، وهو تفسير نموذجي جمعت فيه المؤلفة بين التنظير والتمثيل للمنهج الذي أسسه أستاذها أمين الخولي.
- المنهج العلمي: ومنذ ذلك العهد والقضية في نقاش وجدال بين مؤيد ومعارض، وقد حمي وطيسها بعد صدور تفسير الطنطاوي الجوهري (الجواهر في تفسير القرآن الكريم)، فكان ما صدر في شأنه من ردود الفعل كانت لها نتائج إيجابية أدت في النهاية إلى وضع ضوابط منهجية للتفسير العلمي تؤصل له وتصحح مساره حفظاً لكلام الله من الأهواء والمغالاة.
- في المنهج الموضوعي: تقسيم القرآن إلى مواضيع معينة وتفسيرها، هي الطريقة المثلى في الكشف عن خبايا هذا الكتاب، من تشريعات، وقواعد، وسلوك حميد، وكل ما من شأنه يفيد الناس في حياتهم، وما يتعلق بسلوكهم، وهذا ما يشعرنا بما للقرآن من صلة وثيقة بنظامنا الديني، والاجتماعي، والأخلاقي.

• من أهم مبررات قيام المنهج الاجتماعي للتفسير المساحة الواسعة التي تغطيها القضايا الاجتماعية والأحكام التي تضبطها في القرآن الكريم، ويلحق بذلك الأمثال والقصص والسُنن وغيرها، مما يشكل منجماً زاخراً بالمعارف الاجتماعية من شأنه أن يفتح ميداناً واسعاً للتفكير الاجتماعي في القرآن الكريم.

• أكثر ما يهتمّ به المفسِّر في المنهج الكلامي هو الأهتمام بتفسير آيات العقائد، الاهتمام بالآيات المتشابهة في القرآن، إثبات عقائده ونفي عقائد الآخرين عن طريق تفسير الآيات، إنّ بواعث المفسِّر هو الدفاع عن عقائد المسلمين أو الدفاع عن المدرسة الكلامية الّتي يتبنّاها، الاستفادة من المنهج الاجتهادي والعقلي في التفسير، واتّباع الطريقة الاستدلالية، إضافة إلى استخدام الروايات والآيات أيضاً، ولهذا فقد تشتمل التفاسير الكلامية على مناهج واتجاهات متعدّدة. وأشهر المدارس الكلامية في التفسير عبارة عن: الاتجاه الاعتزالي، الأشعري، الشيعي، وقد ذكرنا بعض كتب التفسير ذات المنهج الكلامي لكلٍّ من هذه المدارس.

• وينبغي أن نُقِرَّ بأن المفسِّرين رغم جهدهم واجتهادهم لم يدّعوا احتكار الحقّ لهم دون غيرهم، وإنّما الحقُّ ما قام عليه الدليلُ، ولذا كان من أولويات التوفيق استماع القول واتّباع أحسنه، من خلال الاطلاع على مختلف الآراء، وتقصّي الحقيقة في سائر التفاسير، بعيداً عن التعصُّب المذهبي والجمود الفكري، خصوصاً وأنّنا في عصر التعددية في المناهج والأفكار، وقبول الاختلاف في الرأي وإشاعة روح التسامح وأجواء الحوار مع الآخرين، وقد كانت أُمّة الإسلام الرائدة في ذلك، فلا يفوتُنا الأمر ونحن أبناء ملّة واحدة، نجتمع في الكثير ونختلف في القليل، وقد قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾[1].

[1] سورة المؤمنون، الآية: ٥٢. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾. سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

أهم المصادر والمراجع

أهم ما نبتدأ به: القرآن الكريم.

١. ابراهيم العدوي، رشيد الرضا الإمام المجاهد، سلسة اعلام العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (دت).
٢. ابن الأثير(ت:٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.
٣. أبو عبد الرحمن، فضل تعدد الزوجات، دار المنار، الرياض، ١٩٩١م.
٤. إحسان الأمين(الدكتور)، منهج النقد في التفسير، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٧م.
٥. أحمد بن حنبل، مسند أحمد، دار صادر، بيروت، (دت).
٦. أمجد سعد شلال المحاويلي، مرتضى مطهري قراءة في رؤاه التاريخية، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، المجلد: ٢، العدد:٢ ، كانون الأول ٢٠١٢م.
٧. أمين الخولي (ت:١٩٦٦م)، دراسات إسلامية، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٦م.
٨. ــــــــــــ ، من هدى القرآن، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٦م.
٩. احمد عبد الكريم الشوكة(الدكتور)، أهمية التفسير الموضوعي ومنهجه في معالجة القضايا المستجدة، مجلة كلية الإمام الاعظم الجامعة، العدد ١٨، لسنة ٢٠١٤م.
١٠. الجُبائي(ت:٣٠٣هـ) ابو علي، تفسير أبي علي الجبائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
١١. جعفر السبحاني، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، دار الولاء، بيروت، ط٤، ٢٠١٣م.
١٢. ــــــــــــ ، مفاهيم القرآن، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠١٠م.
١٣. جعفر طالب، منهج مقداد السيوري في تفسيره لآيات الاحكام وتطبيقاتها من خلال كتابه كنز العرفان في تفسيره فقه القرآن الصيام أنموذجاً، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ٢٠١٩م، العدد ٥٧.
١٤. جمال سنكري، مسيرة قائد شيعي: السيد محمد حسين فضل الله، دار الساقي، ٢٠٠٨م.
١٥. ابن أبي حاتم الرازي (ت:٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.
١٦. حاجي خليفة(ت:١٠٦٧هـ)، كشف الظنون، دار احياء التراث العربي، بيروت، (دت).
١٧. تمام حسان(الدكتور)، مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن، عالم الكتب، القاهرة،٢٠١٠م.

١٨. حسيب السامرائي(الدكتور)، رشيد رضا المفسر، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٧م.
١٩. حسن محمد علي حسين الحكيم(الدكتور)، البُعد الحركي في منهج تفسير من وحي القرآن للسيد محمد حسين فضل الله، مجلة الأستاذ، جامعة بغداد، العدد٢٢١، المجلد الأول، لسنة ٢٠١٧م.
٢٠. حسين درويش حنتوش، الاتجاهات الحديثة في تفسير القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الشريعة.
٢١. حسين عليوي حسين الطائي، فاعلية بناء برنامج تعليمي لمادة مناهج المفسرين في تحصيل طلبة أقسام طرائق تدريس القرآن الكريم والتربية الإسلامية في ضوء حاجاتهم إليها، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، ٢٠٠٧م.
٢٢. حسين نجيب محمد، جمال السالكين العالم الرباني السيد عبد الأعلى السبزواري، قم المقدسة، (دت).
٢٣. خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٦هـ.
٢٤. ابن خلدون(ت:٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٤.
٢٥. خلود العموش(الدكتورة)، الخطاب القرآني – دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ، جدارا للكتاب العالمي ، عمّان ، ٢٠٠٨م.
٢٦. الخوئي ابو القاسم (مرجع ديني معاصر) (ت:١٤١٣هـ)، البيان في تفسير القرآن، مطبعة العمال، بغداد، ١٩٨٩م.
٢٧. الداوودي الحافظ شمس الدين (ت:٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
٢٨. الذهبي(ت:٧٤٨هـ) الحافظ أبي عبد الله محمد، ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة، بيروت.
٢٩. ــــــــــــ ، سير أعلام النبلاء، تحقيق: حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٩٩٣م.
٣٠. الرازي فخر الدين محمد (ت:٦٠٤هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.
٣١. الزبيدي أبو بكر(ت:٣٧٩هـ)، لحن العوام، تحقيق: رمضان عبد التواب، المطبعة الكمالية، القاهرة، ١٩٦٤م.

٣٢. الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠١م.

٣٣. الزركلي خير الدين(ت:١٤١٠هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م.

٣٤. الزركشي بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٥. الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، الكشاف، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.

٣٦. سامر عبد الرحمن رشواني(الدكتور)، منهج التفسير الموضوعي للقرآن: دراسة نقدية، دار الملتقى، سوريا، ٢٠٠٩م.

٣٧. سمير يونس أحمد صلاح، وسعد محمد الرشيدي، التربية الإسلامية وتدريس العلوم الشرعية، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣٨. سيروان عبد الزهرة الجنابي(الدكتور)، مناهج تفسير النص القرآني، دار الراية البيضاء، بغداد، ٢٠١٥م.

٣٩. السيوطي جلال الدين (ت:٩١١هـ)، الاتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

٤٠. ــــــــــــ ، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، (دت).

٤١. الشاطبي (ت:٧٩٠هـ) أبو إسحاق ابراهيم المالكي، الموافقات، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢م.

٤٢. صبحي الصالح (الدكتور)، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م.

٤٣. صلاح عبد الفتاح الخالدي(الدكتور)، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، عمان، دار النفائس، ط ٢، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٤٤. ــــــــــــ ، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط٤، ٢٠١٠م.

٤٥. الصواف محمد بن أحمد (ت:٣٥٩هـ)، فوائد ابي علي الصواف، تحقيق: محمود بن محمد الحداد، دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٨هـ.

٤٦. الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، مكتبة دار المجتبى، النجف الاشرف، ٢٠٠٩م.

٤٧. طنطاوي جوهري(ت:١٩٤٠م)، الجواهر في تفسير القرآن، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٠هـ.

٤٨. الطوسي(ت:٤٦٠هـ) محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠م.
٤٩. ـــــــــــــ ، الخلاف، المحقق: علي الخراساني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٤هـ.
٥٠. عائشة عبد الرحمن(الدكتوره)، القرآن وقضايا الإنسان، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٩.
٥١. عبد الأعلى السبزواري (مرجع الديني المعاصر) (ت:١٤١٤هـ)، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ١٣٨٨هـ.
٥٢. عبد الأمير زاهد(الدكتور)، مقدمات منهجية في تفسير النص القرآني، مطبعة الضياء، النجف الاشرف، ٢٠٠٨م.
٥٣. ـــــــــــــ ، منهج المقداد السيوري في كنز العرفان، مجلة فقه أهل البيت، العدد ٢٦، لسنة ٢٠٠٥م.
٥٤. عبد الرحمن صالح عبد الله، المرجع في علوم الشريعة، عمان، دار البشير ومؤسسة الوراق، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
٥٥. عبد القادر محمد صالح، التفسير والمفسرون في العصر الحديث، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٣م.
٥٦. عبد القادر المغربي، جمال الدين الأفغانى ذكريات وأحاديث، دار المعرف، ٢٠١٦م.
٥٧. عبد الله صوله، الحِجَاج من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.
٥٨. عبد الله بن يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مؤسسة الريان، بيروت، ط٥، ٢٠١١م.
٥٩. عبد المجيد المحتسب(الدكتور)، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، مكتبة النهضة الإسلامية، عمان، ط ٣، ١٩٨٢م.
٦٠. عدنان محمد زرزور(الدكتور)، مدخل الى تفسير القرآن وعلومه، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٨م.
٦١. ابو العلا عفيفي، الملامتية، دار الكتب الجامعية، الاسكندرية، ١٩٥٥م.
٦٢. علي أكبر باباني، مدارس التفسير الإسلامي، تعريب: كمال السيد، مركز الحضارة لتنمية الفكر إسلامي، بيروت، ٢٠١٠م.

٦٣. فضيلة علي فرهود(الدكتورة)، منهج السبزواري في تفسير القرآن، العتبة العلوية المقدسة، النجف الاشرف، ٢٠١٢م.

٦٤. فهد بن عبد الرحمن الرومي(الدكتور)، أصول التفسير ومناهجه، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط٢، ٢٠١٥م.

٦٥. قاسم عني(الدكتور)، تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة: صادق نشأت، منشورات البندقية، القاهرة، ٢٠١٦م.

٦٦. القرطبي شمس الدين (ت:٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

٦٧. كاصد الزيدي (الدكتور)، منهج الشيخ الطوسي في تفسير القرآن الكريم، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠٤م.

٦٨. كاظم عوده الأسدي، معالم المنهج التفسيري عند السيد عبد الاعلى السبزواري، مؤسسة العهد الصادق، ٢٠٠٩م.

٦٩. الكلاباذي أبو بكر (ت:٣٨٠هـ)، التعرف على مذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.

٧٠. الكليني محمد بن يعقوب (ت:٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، ط٤، ١٣٦٥هـ .

٧١. كمال محمود الهوبي وآخر، التفسير ومناهج المفسرين، طبع مطبعة المقداد، غزة، ط٢، ١٩٩٩م.

٧٢. ماجد زكي الجلاد، تدريس التربية الإسلامية الأسس النظرية والأساليب العملية، عمان، دار المسيرة، ١٤٢٥هـ،٢٠٠٤م.

٧٣. المجلسي محمد باقر (ت:١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي وآخر، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

٧٤. محسن جهانكيري (الدكتور)، محي الدين بن عربي الشخصية البارزة في العرفان الإسلامي، تعريب: عبد الرحمن العلوي، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٣م.

٧٥. محمد جميل وآخر، الصوفية الوجه الآخر، دار الإيمان، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٧٦. محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، دار ملاك، بيروت، ط٣، ٢٠٠٧م.

٧٧. محسن عبد الحميد(الدكتور)، الاتجاه الباطني في تفسير القرآن، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، بغداد، ١٩٧٣م. العدد ٥.
٧٨. ـــــــــــ ، تطور تفسير القرآن، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، ١٩٨٩م.
٧٩. ـــــــــــ ، دراسات في اصول تفسير القرآن، مطبعة الوطن العربي، بغداد، ١٩٨٠م.
٨٠. محمد باقر الصدر (ت:١٩٨٠م)، المدرسة القرآنية، التفسير الموضوعي والتفسير التجزيئي في القرآن الكريم، دار التعارف، بيروت، ١٩٨١م.
٨١. ـــــــــــ ، موسوعة الإمام الشهيد محمد باقر الصدر، بحوث في علوم القرآن، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم، ١٤٢٩هـ.
٨٢. محمد بكر إسماعيل، ابن جرير الطَّبَري ومنهجه في التفسير، دار المنار، القاهرة، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
٨٣. محمد حسين الصغير(الدكتور)، المبادئ العامة لتفسير القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
٨٤. محمد حسين الذهبي (الدكتور)(ت: ١٩٧٧م)، بحوث في علوم القرآن والفقه والدعوة، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٨٥. ـــــــــــ ، التفسير والمفسرون، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت،١٩٧٦م.
٨٦. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٩م.
٨٧. محمد رشيد رضا، تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١٠م.
٨٨. محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد، القاهرة، دار المعارف، ط ٣، ١٩٦٨م.
٨٩. محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، م ٢٨، العدد ٣، يناير . مارس، ٢٠٠٠م.
٩٠. محمد صالح عطية الحمداني (الدكتور)، التفسير ماهيته وطرائق تدريسه، ديوان الوقف السني، ٢٠٠٨م.
٩١. محمد صالح سمك، فن التدريس للتربية الدينية وارتباطاتها النفسية وأنماطها السلوكية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٣، ١٩٨٦م.
٩٢. محمد عبده، شرح نهج البلاغة، دار القلم، بيروت.

٩٣. محمد عفت الشرقاوي(الدكتور)، الفكر الديني في مواجهة العصر، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
٩٤. محمد علي ايازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، مؤسسة الطباعة والنشر لوزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، طهران، ١٣٨٦هـ.
٩٥. محمد علي الرضائي، دروس في مناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، تعريب: قاسم البيضاني، منشورات المركز العالمي للدراسات الاسلامية، قم، ١٤٢٦هـ.
٩٦. محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، الإعجاز في القرآن الكريم – دراسة في التفسير العلمي للآيات الكونية –، مطبعة الثقلين، النجف الأشرف، ٢٠١٥م.
٩٧. ــــــــــــ، الفرق الإسلامية الكبرى – الإمامية، المعتزلة، الأشاعرة–، مكتبة أقلام، النجف الاشرف، ٢٠١٦م.
٩٨. ــــــــــــ ، أصول التفسير، دار حدود للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٩م.
٩٩. محمد بن عمر بن سالم بازمول(الدكتور)، التفسير بالمأثور مفهومه وأنواعه وقواعده، دار الاستقامة، القاهرة، ١٤٣٣هـ.
١٠٠. محمد الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٨م.
١٠١. محمد لطفي الصباغ (الدكتور)، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٩٩٠م.
١٠٢. محمد نبيل غنايم زاهر(الدكتور)، بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي، مطبعة دار الهداية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
١٠٣. محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية، ط٢، ١٤٢٦هـ.
١٠٤. محمود شلتوت(ت:١٩٦٤م)، تفسير القرآن الكريم، دار الشروق، بيروت، ط٦، ١٩٧٤م.
١٠٥. محمود عبد الرزاق فيق، ومنير عطا سُليمان، تاريخ التربية، دراسة تاريخية، ثقافية، اجتماعية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٨م.
١٠٦. مجموعة باحثين، دراسات في مناهج التفسير، مؤسسة أهل الحق الإسلامية، ٢٠١٣م.
١٠٧. مرتضى المطهري(ت:١٩٨٠م)، المجتمع والتاريخ،قم، مطبعة العطار الثقافية، ٢٠٠٩م.
١٠٨. مصطفى مسلم(الدكتور)، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط٨، ٢٠١٣م.

١٠٩. المرتضى علي بن الحسين (ت:٤٣٦هـ)، أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار ذوي القربى، قم، ط٣، ١٤٣٥هـ.
١١٠. المقداد السيوري(ت:٨٢٦هـ)، كنز العرفان في فقه القرآن، تحقيق: عبد الرحيم، العقيقي، مكتب نويد اسلام، قم، ١٤٢٢هـ.
١١١. منّاع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، ط٢، ١٩٩٦م.
١١٢. منيع عبد الحليم محمود (الدكتور)، مناهج المفسرين، دار الكتاب المصري، ١٩٧٨م.
١١٣. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.
١١٤. نزار محمد جودة الميالي، الفكر السياسي عند السيد محمد حسين فضل الله، الناشر: مركز ابن ادريس الحلي للتنمية الفقهية والثقافية، بيروت،٢٠١١م.
١١٥. هدى جاسم أبو طبره، المنهج الأثري في تفسير القرآن، مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ١٩٩٤م.
١١٦. وسام الحطاوي، المناهج الروائية عند الشريف المرتضى، مؤسسة دار الحديث العلمية، بيروت، (دت).
١١٧. الواحدي ابي الحسن علي (ت:٤٦٨هـ)، التفسير البسيط، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار العماد للدراسات والبحوث القرآنية، دمشق، ٢٠١٣م.
١١٨. يوسف مرعشلي (الدكتور)، علوم القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت، ٢٠١٠م.

الفهرست

تقديم: استاذنا الدكتور محمد حسين الصغير ٩
مقدمة ١١

الفصل الأول

مبادئ عامة في مناهج المفسرين..... ١٥
أولاً: أهداف تدريس التفسير ومناهج المفسرين ١٧
ثانياً: دواعي البحث في مناهج المفسرين ٢٠
ثالثاً: العلاقة بين مناهج المفسرين والمصطلحات التفسيرية..... ٢١
رابعاً: الأغراض المقصودة من التفسير ٣١
خامساً: ضوابط تقويم التفاسير ٣٤
سادساً: أسباب أخطاء المفسرين ٣٩
سابعاً: عوامل نشوء المناهج التفسيرية ٤٢
ثامناً: علوم وآداب يحتاجها المفسِر ٤٤

الفصل الثاني

منهج التفسير بالمأثور ٤٩
التفسير بالمأثور: تعريفه، مسمياته، نشأته، مكانته، أنواعه ٥١
النوع الأول: منهج تفسير القرآن بالقرآن ٥٢
النوع الثاني: منهج تفسير القرآن بالسنة الشريفة ٦٠
أ: تفسير النبي ﷺ للقرآن الكريم ٦٠
نماذج من تفسير النبي ﷺ للقرآن الكريم ٦٥

ب: تفسير أهل البيت عليهم السلام للقرآن الكريم ٦٦
حجية سنة أهل البيت عليهم السلام في التفسير ٦٦
النوع الثالث: أقوال الصحابة والتابعين في التفسير ٦٩
حجية رواية الصحابي والتابعي في التفسير ٦٩
أشهر الصحابة والتابعين رواية للتفسير ومدارسهم التفسيرية ٧٤
أولاً: عبد الله بن عباس ومدرسة مكة المكرمة التفسيرية ٧٦
ثانياً: عبد الله بن مسعود ومدرسة الكوفة الغراء التفسيرية ٨٠
ثالثاً: أُبي بن كعب ومدرسة المدينة المنورة التفسيرية ٨٢
مزايا التفسير بالمأثور في عصر الصحابة ومآخذه ٨٥
أسباب الاختلاف في التفسير بالمأثور ٨٧
شروط التفسير بالمأثور ٨٨
من مصنفات التفسير بالمأثور ٨٩
أنموذج على منهج التفسير بالمأثور ٩٠
منهج الطبري في تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن الكريم ٩٢
انموذج من تفسيره ٩٣
صور التعارض بين التفسير بالمأثور والتفسير بالاجتهاد (الرأي) ٩٥

الفصل الثالث

منهج التفسير بالرأي ٩٧
اختلاف العلماء بين القبول والرفض وأدلتهم ٩٩
مناقشة إشكالات المانعين من التفسير الاجتهادي ١٠١
أسباب تؤدي الى التفسير بالرأي المذموم ١٠٦
نماذج على التفسير بالرأي المذموم ١٠٧

الفصل الرابع

منهج التفسير اللغوي ١١١
نشأة المنهج اللغوي في التفسير ١١٣
أهمية المنهج اللغوي ١١٥
إنموذج على التفسير اللغوي/ أبو حيان الاندلسي في تفسيره البحر المحيط ... ١٢٢

الفصل الخامس

منهج التفسير البياني "الأدبي" : ١٢٥
تأريخ وتطور المنهج البياني ١٢٧
ابعاد المنهج الأدبي ١٣٠
ضوابط المنهج البياني ١٣٢
انموذج على المنهج البياني / تفسير الكشاف للزمخشري ١٣٣
انموذج من تفسيره ١٣٦

الفصل السادس

منهج التفسير الصوفي، الباطني، الاشاري، العرفاني ١٣٩
الواقع التأريخي لمنهج التصوف ١٤٢
أنواع التصوف والفرق بين المنهج الصوفي النظري والفيضي ١٤٥
المؤآخذات على التفاسير الصوفية الباطنية ١٤٨
شروط التفسير الصوفي الاشاري ١٤٩
نماذج من التفسير الصوفي الباطني والاشاري: ١٥٠
١- منهج ابن عربي في تفسير القرآن الكريم / انموذج من تفسيره ١٥٠
٢- منهج السبزواري في تفسير مواهب الرحمن / انموذج من تفسيره ١٥٤

الفَصْلُ السَّابِعُ

منهج التفسير العلمي ١٥٩
تأريخ التفسير العلمي ١٦١
حكم التفسير العلمي وضوابطه ١٦٢
المؤيدين للتفسير العلمي ١٦٢
المعارضين للتفسير العلمي ١٦٣
ضوابط التفسير العلمي ١٦٣
أدلة (مسوغات) التفسير العلمي ١٦٦
منهج جواهري طنطاوي في تفسير: الجواهر في تفسير القرآن الكريم ١٦٨

الفَصْلُ الثَّامِنُ

منهج التفسير الموضوعي ١٧٥
مظاهر السبق في التفسير الموضوعي ١٧٨
أنواع التفاسير من حيث منهج المفسرين والترجيح بينها ١٨٠
أقسام التفسير الموضوعي ١٨٣
أهمية التفسير الموضوعي ١٨٤
طريقة البحث في التفسير الموضوعي ١٨٥
نماذج تطبيقية من منهج التفسير الموضوعي ١٨٧
أولاً: منهج الجصاص في تفسير: أحكام القرآن ١٨٧
ثانياً: منهج المقداد السيوري في تفسير: كنز العرفان ١٩٠

الفَصْلُ التَّاسِعُ

منهج التفسير الاجتماعي ١٩٥
أهمية المنهج الاجتماعي ١٩٨

علاقة المنهج الاجتماعي بالمنهج الأدبي ١٩٨
أهمية السنن التأريخية في المنهج الاجتماعي ٢٠٢
نماذج من التفسير الاجتماعي ٢٠٦
أولاً: منهج محمد رشيد رضا في تفسير: المنار ٢٠٦
منهجه التفسيري وإنموذج من تفسيره ٢٠٩
ثانياً: منهج محمد حسين فضل الله في تفسير: من وحي القرآن ٢١٢
منهجه التفسيري وإنموذج من تفسيره ٢١٢

الفصل العاشر

منهج التفسير الكلامي أو الحجاجي ٢٢١
أسباب الاختلاف في تفسير آيات العقيدة ٢٢٦
أهم الموضوعات الخلافية التي اعتنى بها منهج التفسير الكلامي ٢٢٧
عناية المفسرين في المنهج الكلامي ٢٢٧
اشهر المدارس الكلامية في التفسير ٢٢٩
أولاً: المنهج الكلامي للشيعة الإمامية في التفسير ٢٢٩
ثانياً: المنهج الكلامي الاعتزالي في التفسير ٢٣٠
ثالثاً: المنهج الكلامي الاشعري في التفسير ٢٣٢
إنموذج من التفسير الكلامي ٢٣٣
أولاً: منهج الرازي في تفسير: مفاتيح الغيب/ وانموذج منه ٢٣٣
ثانياً: منهج السيد المرتضى في التفسير: كتاب (الامالي)/ انموذج منه ٢٣٩
ثالثاً: منهج الجُبّائي في تفسير: أبي علي الجبائي/ وانموذج منه ٢٤٥
الخاتمة ٢٤٩
قائمة المصادر والمراجع ٢٥٣

المؤلف في سطور

الاسم: محمد كاظم حسين الفتلاوي.

* حاصل على اللقب العلمي: (أستاذ) Professor

في ١٧/ ١٢/ ٢٠٢٠م.

* أستاذ في التفسير وعلوم القرآن الكريم في كلية التربية المختلطة/ جامعة الكوفة.

شغل مهام:

* رئيس قسم علوم القرآن الكريم / كلية الفقه الجامعة (اعارة).

* مسؤول وحدة الارشاد النفسي والتوجيه التربوي / كلية التربية.

* أمين مجلس كلية التربية.

الشهادات الأكاديمية:

١. خريج قسم التربية الإسلامية في معهد اعداد المعلمين / الديوانية ١٩٩٧م. (العشرة الأوائل).

٢. حاصل على شهادة البكالوريوس في علوم القرآن والتربية الإسلامية/ جامعة بغداد / كلية التربية (ابن رشد)/ ٢٠٠١م.

٣. حاصل على شهادة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية / كلية الفقه / جامعة الكوفة عن رسالته الموسومة بـ(حرية العقيدة والرأي في الفكر الإسلامي) وبتقدير (أمتياز). ٢٠٠٨م.

٤. حاصل على شهادة الدكتوراه في علوم القرآن الكريم والحديث الشريف / كلية الفقه / جامعة الكوفة/ عن أطروحته الموسومة بـ(المنظور القرآني في بناء الإنسان – دراسة تفسيرية –) وحاصلة على تقدير (أمتياز). ٢٠١٣م.

* محاضر لمادة (الميراث) في كلية القانون / جامعة القادسية لسنتين: ٢٠٠٧ – ٢٠٠٩م.

* محاضر لمادة: (العقائد، الفكر الإسلامي، مناهج المفسرين، مدارس فقهية، حقوق الإنسان) في كلية الدراسات الإنسانية الجامعة (الكفيل) / النجف الاشرف/ لأربع سنوات: ٢٠٠٨ – ٢٠١٢م.

* شارك في مؤتمرات علميّة عديدة.

* نشر بحوث علميّة في مجلات علميّة محكمة.

* نشر مقالات ثقافية في مجلات معنية.

* عضو هيئة عامة في جمعية منتدى النشر / النجف الأشرف.

* عضو المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة – جمعية علميّة- النجف الأشرف.

* عضو نقابة المعلمين / فرع النجف الأشرف.

* عضو جمعية أبي طالب الخيرية / قضاء الشامية/ المسؤول الثقافي.

* عضو المركز الإعلامي العراقي المقر العام/ الديوانية.

*** عضو في لجنة:**

- عضو لجنة تأليف مناهج التربية الإسلامية في وزارة التربية.
- عضو لجنة تأليف مناهج التربية الإسلامية في وزارة الداخلية.
- عضو لجنة تأليف المناهج الإسلامية في ديوان الوقف الشيعي.
- عضو لجنة الارشاد التربوي المركزية في ديوان جامعة الكوفة. ٢٠٢٢م

للتواصل مع المؤلف:

mohamadk323@gmail.com
mohammedk.alfatlawy@uokufa.edu.iq
http://staff.uokufa.edu.iq/profile.html?mohammedk.alfatlawy

كتب صدرت للمؤلف

١- **كتاب: الإدارة المدرسية في الفكر التربوي الإسلامي**، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٠٣١) لسنة ٢٠١٠م.

٢- **كتاب: الفرائض العبادية وأثرها في البناء الإنساني – دراسة قرآنية** -، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١١٣٤) لسنة ٢٠١٤م.

٣- **كتاب: الإعجاز في القرآن الكريم – دراسة في التفسير العلمي للآيات الكونية** - رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٥٤٤) لسنة ٢٠١٥م.

٤- **كتاب: الفرق الإسلامية الكبرى** – الإمامية، المعتزل، الاشاعرة – دراسة مدخلية مقارنة في النشأة والأصول. رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٣٦) لسنة ٢٠١٦م.

٥- (كتيب): **اخلاقيات مهنة الشرطة في الفكر الإسلامي**. نشر كلية التربية / جامعة الكوفة ٢٠١٦م. رقم الإيداع: ٧٨٠ لسنة ٢٠١٦م.

٦- **كتاب: مناهج المفسرين – دراسة في النظرية والتطبيق**-، نشر دار حدود النجف الاشرف ٢٠١٧م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٦٢٨) لسنة ٢٠١٧م. طبعة ثانية: ٢٠٢٠م

٧- **كتاب: المجتمع الإسلامي المعاصر** -دراسة في ضوء الكتاب والسنة-، دار حدود للنشر، بيروت، ٢٠١٨م الطبعة الثانية: ٢٠٢١م، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٧٨) لسنة ٢٠١٨م.

٨- **كتاب: أصول التفسير** –دراسة في المبادئ العامة والضوابط والقواعد–، دار حدود للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م. ورقم الايداع في دار الكتب ببغداد (٣٩٠٧) لسنة ٢٠١٩م.

٩- **كتاب: أخلاقيات مهنة التدريس الجامعي**، تقديم: أ.د. بشرى اسماعيل أرنوط (مصر/ جامعة الزقازيق). الناشر: دار حدود، بيروت، ٢٠٢٠م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٣) لسنة ٢٠٢٠م.

١٠- (كتيب): **ميثاق أخلاقيات مهنة التدريس الجامعي**، دار حدود، بيروت، ٢٠٢٠م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٤) لسنة ٢٠٢٠م.

١١- كتاب: **التفسير التربوي للقرآن الكريم** -أضواء تربوية أخلاقية من وحي الآية الثانية عشرة من سورة الحجرات–، دار حدود، بيروت، ٢٠٢١م، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٨٥١) لسنة ٢٠٢١م.

١٢- كتاب: **أساليب القرآن الكريم** – دراسة في النظرية والتطبيق –، دار حدود، بيروت، ٢٠٢٢م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٤٤) لسنة ٢٠٢٢م.

١٣- كتاب: **علوم القرآن التاريخية** (تاريخ القرآن)، نشر: مؤسسة الصادق الثقافية، بابل، ٢٠٢٣م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٥٠) لسنة ٢٠٢٢م.

الملخص باللغة الانكليزية:

Commentators curriculum
- study in the theory and practice -

Interested in this book is the most important interpretive approaches involved in t he interpretation of the Koran, was the plan of the book from the front and the state ment of the objectives of the teaching of interpretation and methods, and the relation ship between trends in interpretation and curricula commentators, and intended pur pose of the explanation, and controls to evaluate the interpretations, and some com mentators errors, and factors of the emergence of interpretive approaches, and scie nce and ethics needed by the interpreter.

The interpretive approaches were:

First, approach the archaeological interpretation.

Second: Methodology interpretation opinion.

Third: The approach of linguistic interpretation.

Fourth, curriculum interpretation chart.

Fifth: curriculum mystical interpretation of internal and indicative. Sixth: The scient ific method of interpretation.

Seventh: curriculum subjective interpretation.

Eighth: The approach of social interpretation.

Ninth: curriculum verbal explanation or Hajaji.

And a list of sources.

Assistant professor the doctor
Mohammad Kadhim ALFatlawy
Shamieh / Iraq

2020